وطن وغربة

(ورد الجوري)

الكاتبة

حنان عبدالله

اسم الكتاب: وطن وغربة

اسم الكاتب: حنان عبدالله

تنسيق: نورهان هاني

رقم الإيداع: ١١٤٢٩ /٢٠٢٤م

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٧٩١-٢٥-٩

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

وطن وغربة

(ورد الجوري)

إهداء

إلي روح أبي الغالي

إلي صاحب الضمير الحي إلي منارة الحق إلي الصوت الحر إلي ملح الأرض يا شمس غابت عن حياتي إليك يا قدوتي ومثلي الأعلي .

أهدي إليك روايتي وكلماتي.

إلي أمي الحنونة

إلي ملحمة الحب والسعادة ومثال التفاني والعطاء عجزت الكلمات علي أن تكتب ما يحمله قلبي لك بارك الله لنا في عمرك حبيبتي.

البوسفور

وقف هادئ كعادته متأمل في الافق أشعة الشمس تنسدل من حوله تنعكس علي مياه البوسفور الزرقاء تشبه لون عينيه كان منق المظهر كالعادة يرسل شعره الأسود للخلف ويلبس معطفه الطويل وقفازه وعصاه في يده يمسكها بكلتا يديه يتشبث بها وكأنها سولجان ملك وقف سائق عربته ذات الحصانين منتظر من سيده أمر وقف اليوم كثيرا ليس من عادته إن يقف هكذا لمدة ساعتين يبدو إنه أمر هام يفكر به فكل قراراته أخذها وهو واقف هكذا ولكن اليوم أمر جلل الذي يستدعي كل هذا الوقت من التفكير.

إنه عبدالله خورشيد رجل ثلاثني العمر اسطنبولي الإقامة عربي الهواية فأصوله مختلطة تجعله دائم التأرجح بين الأمرين جده لأبيه من الأناضول رجل عصامي بدأ بالزراعة إلي إن أمتلك من الأراضي ما جعله كبير عشيرته وحاكمهم الفعلي أما جده من أمه لم يراه عبد الله خورشيد أبدا يقال إنه تاجر من حلب توسع في تجارته وذاع صيته ولكنه لم ينجب إلا ابنة واحدة فلما داهمه المرض تذكر هذا الظابط الشاب التركي الذي طلما بهره أخلاقه التي تختلف عن كل زملائه فأوصاه علي ابنته خشية سرقتها بعد موته ونهب مخازنه فأحبها هذا الضابط وهو علي كايا واصطحبها إلي بلاده ليفرضها عروس علي عائلته في الأناضول فتقبلها أبوه خورشيد كايا إكراما لقرار ابنه وانجبا عبدالله خورشيد حمل أسماء جديه عبدالله جده لأمه وخورشيد جده لأبوه.

شب عبدالله بين يدي جده بعد أن توفا والداه في عمر مبكر فوالده علي كايا ذهب بعد ولادة عبدالله مباشرة إلي بيروت لينضم إلي ضباط الحامية العثمانية ولكنه قتل علي يد شاب عربي من أصول أرمنية قتل علي انتقاما من الأتراك وما فعلوه بأحد أقاربه الأرمن ولم تكن مجازر الأتراك ضد الأرمن بدأت بعد ولكن ما بال علي وما حدث إنه وديع مسالم ولكن من يعرف ذلك وهو مخبأ تحت هذا الزي العسكري العثماني.

لم يلبث خبر وفاة علي أن يصل إلي ابيه في الأناضول حتي قامت الدنيا ولم تهدأ علي زوجته اسماء أو اسما كما كان يناديها علي، فقد قتل علي يد العرب قومها، ومال أسماء والأرمن وهي فتاة مسلمة من حلب لم تري بيروت يوما ولكن الحماة لم تكن تفقه من الأمر شيء قومك قتلوا إبني ما أنا فاعلة بك اليوم.

كان حب أسماء لعلي ليس بهين لم يكن يهمها مما تسمعه من سباب من الحماة شيء هي أصلا لا تفهم معظمه حتي ملامحها القاسية كانت أسماء تتفهمها جيداا، فهي الأخري أصبحت أم لصبي، ما كان يقتلها هو رحيل الحبيب، ما كان يعذبها ليال طوال بدونه وحياة باتت خالية من صوته ولا أمل في الرجوع اليوم كانت معتادة علي غيابه ولكن تظل صامدة علي أمل رجوعه في كل صيف، كانت زهور الجوري تتفتح مع قدوم علي وبات الصيف يأتي وزهور الجوري تتفتح علي حياء من أسماء إنها لا تشاركها حزنها كما شاركتها أفراحها يوما بعودته.

لم تكن علي يعرف الورد الجوري قبل أن تأتي أسما إلي هنا كان تصفه له دائما وعندما أتوا إلي الأناضول زرعه علي في حديقة منزلهم لها كان يتفتح في أواخر الربيع ويستمر طوال الصيف يملء حياتهم جمالا ونعيما.

لم تسطع أسما فراق الحبيب طويلا، ذبلت كأوراق الشجر في الخريف في رحلة ذبولها رأت الأشياء علي حقيقتها إنها لا تنتمي إلي هذه الأرض كم أحبت إن ترحل إلي الشام إلي موطنها إلي بلادها ولكن هل سيرضي خورشيد باشا بأن يترك لها ابنها، إنها تدرك إن هذا من المستحيلات فهو يري في الحفيد العوض عن الابن بل إنه يعوض كل ما فاته مع ابنه نفسه

كل ما يمتلك ليس من مال فقط بل من خبرة الحياة ومآثرها يريد أن يتركها لهذا الحفيد. ماذا تفعل يا أسماء يا ابنة القبائل وزهرة العرب لقد زرعت نفسها في غير أرضها كيف لها أن تتجذر بتلك الربوع.

ليس موت علي فقط ما جعلها تذبل بل الغربة غربة الوطن والأهل والأحبة والصحبة بل وغربة اللغة أيضا.

اللغة كانت أسماء حريصة كل الحرص علي تعليم عبدالله خورشيد اللغة العربية بلهجتها الشامية ليكون لها الجليس والصاحب في ظل غياب الجميع فظل هذه الوحدة والعزلة الموحشة، شب عبدالله خورشيد يجيد العربية والتركية وأضاف جده لذلك الفرنسية لإنه كان يخطط لسفر حفيده لدراسة الحقوق في فرنسا ليبتعد عن الجيش فلا يصيبه ما أصاب والده.

جولسن

إن هواء الصباح علي البسفور أصبح أكثر برودة أنه الشتاء هبت نسائمه فبعثرت شعر عبدالله خورشيد ليفيق من شروده وليتنبه لسائقه الذي بدأ الملل والضجر يفزعه فهو يحب عبدالله خورشيد كثيرا ليس سيدا ولكن يظن إنه أكثر من ذلك.

ألتفت عبد الله خورشيد إليه مبتسما تركتك طويلا تنتظر اليوم هيا بنا فلتصحبني إلي البيت.

في منزل كبير هي هضبة عالية تطل علي البسفور كان منزل عبدالله خورشيد، لم يكن بيته لم يشعر أبدا به هو منزل أو مسكن له ولكن أبدا ليس بيتي، فهذا البيت العتيق تمتلكه زوجته جولسن ورثته عن أبيها أثرت إن يبقي كل شيء مثلما تركه أبوها، فظل عبدالله كالزائر لا يترك أثر علي هذا المكان حتي خزانته التي أتى بها من الأناضول تقف وحيدة في غرفته لا تنتمي إلي بقية الغرفة ولا أثاث البيت هي غريبة غربة صاحبها.

جولسن كانت امرأة هادئة كسكون الليل في ليالي الشتاء القارصة عندما تتحدث تشعر إنها تخرج الكلمات عن مضض كأنها تتبرع بها، وكانت ملامح وجها كتمثال يوناني جميل نحت ببراعة من الرخام الأبيض ولها شعر أحمر مجعد لا أحد تحديدا يعرف طوله لم يرها أحد ترسله علي ظهرها كأي أنثي بل كان دائما منمق مرفوع لأعلي في شكل كلاسيكي لربة منزل ارستقراطية.

دخل عبد الله خورشيد من باب المنزل بعد أن فتحت له أحدي الخادمات فهو لا يملك مفتاح للدار أو ربما يملك ولكنه لا يريد أن يحتفظ به، دخل ليسأل الخامة هل استيقظ الجميع لتخبره أن جولسن هانم والأبناء علي مائدة الافطار، دخل عبدالله خورشيد ليجد أبناؤه ثلاث قد بدأوا بالفعل بتناول طعامهم وتتوسطهم أمهم، ابتسم عبدالله لابناؤه وألقي عليهم تحية الصباح وتمدد علي مقعده المعتاد لترمقه جولسن بنظرة ريبة وشك، لتقول بدأنا الافطار بدونك لم نكن نعرف متي ستعود، راح عبدالله يكمل طعامه دون النظر لها (كنت في عملي استلم البضائع واتمم علي دخولها المخازن).

كان خورشيد يعمل في تجارة التوابل والحبوب لم يكن يوما يتخيل هذا المصير فهو شب مزارع حتي وإن كان هو المالك فهو ينتمي للأرض كجده، حتي عندما سافر إلي فرنسا بعد وفاة أمه ليدرس الحقوق كان لا يعرف أيهما يحب إن يعود إلي أرضه أو يصبح رجل قانون كما يحب جده إن يكون.

ولكن قد داهم الجد المرض وسرعان ما تدهورت حالته ليرسلوا إلي الحفيد الوحيد (عد جدك يحتضر) ليعاود عبدالله خورشيد إلي الأناضول بعد عامه الثاني من دراسة القانون، ليجد جده وقد أصبح بقايا إنسان بعد أن بترت ساقه من داء السكري.

كانت جدته ما زالت حية في ذلك الوقت رغم إن أمه المسكينة ماتت من بضعة أعوام، رحلت في شتاء قارص عصفت بكيان عبدالله خورشيد، رحلت وهي تهمهم لابنها عد لبلادك عد لبلاد العرب، فأمك لم تجد هنا إلا الغطرسة والقسوة عد يا بني إنك تنتمي إليهم، فقلبك الغض وروحك الطيبة السمحة.

تنتمي إلي هناك. لم يفهم أحد ماذا كانت تقول إنها تتحدث معه بالعربية هو وحده الذي يفهم أمه ويرد عليها.

لا تقلقي يا أمي يوما سأعود إلي أرض جدي عبدالله اشتاق لهذه البلاد من غير إن أراها، فأنني أراها في عينيكي.

مات الجد بعد رجوع عبدالله خورشيد من فرنسا بأيام ليأول له كل ممتلكات الجد، لم يبقي له من الدنيا غير جدته ورغم سوء فعلها مع أمه كان عبدالله خورشيد بارا بالجدة، لم يحزنها يوما حتي عندما أرادت إن تزوجه حفيدة أخيها في أسطنبول فهي تراها نسخة مصغرة منها ومثال للعروس التي تليق به، وترضي به فأمه عربية وذلك يمكن أن يقلل فرص مصاهرته للعائلات كبيرة في الأناضول.

نهض خورشيد مسرعا بعد أن ودعه ابناؤه لذهابهم إلي مدارسهم وصي عليهم سائقه الأمين لا تتركهم إلا بعد التأكد من دخولهم المدرسة.

نهضت جولسن لتتبع عبدالله خورشيد إلي مكتبه وتقف أمامه والشرر يتطاير من عينيها لتسأله أين اختفي بالأمس وكيف يتجاهل أن يأتي ليرحب بضيوفها من أبناء أعمامها وزوجاتهم.

- لقد تعمدت الغياب.... بدأت الحديث بذلك

- أي غياب الذي تعمدته أنا الحاضر الغائب دائما في مثل هذه المناسبات.

- أردت احراجي أمامهم واذلالي أمام زوجاتهم.. الجميع كان يثرثر علي علاقتنا طوال الليل

- ليس ذنبي إن أقاربك مغرمين بالغيب غزيزتي

وقبل إن تعود لتجاوب عليه نهض من علي مكتبه ليداهمها بكلامه

جولسن أنا ذاهب هذه الحياة لا أستطيع تحملها أنا لا أنتمي لكل ذلك.

وقعت كلماته عليها كالصاعقة وقفت تنظر له بعينين تتفحص ملامح وجهه هل يهدد فقد بالرحيل أم إنها كانت نية مبيتة.

- تتركني بعد كل ما قدمت لك

- أنا لم أطلب منك شيء في يوم من الأيام كما أنني لم أكن بحاجة إلي أحد أنا عبدالله خورشيد حفيد سيد الأناضول وكبير عشائرهم.

- وحفيد تاجر حلب هكذا نطقت بها جولسن في تسرع كما إنها كانت تحفظها عن ظهر قلب من قبل ولكن لم تمتلك الشجاعة لتقولها.

- نعم وحفيد تاجر حلب ولي الشرف

- الشرف ما اعطيته لك أنا جعلتك من صفوة هذه البلاد ناسبت أعرق بيوت إسطنبول وورثت قصر صابانجي وصرت سيده.

- قصرك يا سيدتي أنا ضيف فيه متي كنت سيده؟!

- لم تجد جولسن طريقة لوقف هذا الحديث إلا سلاح المرأة فبدأت في البكاء...... أعرف إنك لا تحبي......

الجوري

وقف عبدالله خورشيد يجمع ورد الجوري وينسقها لا زال يحب الزراعة والبستانية وتنسيق الزهور ظل المزارع مخبأ تحت معطفه الأنيق لا يتخلي عنه أبدا فحبه للأرض كحبه لجذوره ولذاته فهو رجل لم تنسيه التجارة أصوله يوما.

جمع عبدالله خورشيد ورد الجوري بألوانه قد أتي بشتلات الجوري معه من الأناضول يحمل بينها ذكرياته وعشق أمه وهواها... رحيق الجوري وعبقه كأنفاس أمه يشعر بالحنين فلا يجد إلا ورد الجوري ليذكره بها...

ظل ينسق باقة الورد بشغف المحب لا محبوب له ولكنه سيهديها إلي جولسن هو يعلم إنها لا تهوي الزهور ولا تكترث كثيرا لها هي في نظرها بضعا من زينة المنزل وإضافة للحديقة، و لعلها تري في زهور التيوليب الفخامة والرقي أكثر من ورد الجوري فالتيوليب رمز لأجدادها والدولة العثمانية.

ولكن كل هذا لا يهم سأهدي لها أغلي ما أملك لعلها تدرك ما أعني هكذا كان يفكر عبد الله خورشيد.... لعل جولسن تستوعب إن هذه محاولتي الأخيرة لإصلاح ما بيننا لقد كنت أخذت قراري أمس أن أرحل ولكن دموعها أقصتني عن هذا. يا للمرأة تعلم متي تحارب بسلاح ضعفها أمام الرجل.

أتي السائق إلي عبدالله خورشيد ليسأل سيده متي سينطلقا إلي الوكالة فأخبره.. لن اذهب اليوم سنحتفل بعيد ميلاد علي إبني.

كان عبدالله خورشيد وجولسن يملكون ثلاث أطفال علي وإيمري وإيبيك كان يتمني عبدالله إن يسمي أولاده بأسماء مسلمة توضح هويتهم التركية العربية المختلطة ولكن جولسن عارضت بالطبع كان اسم علي يكفيه وهذا تمجيدا لذكري والده الراحل فقط وليس لينتمي لأصله العربي.

دخل عبدالله خورشيد القصر حاملا الورود آملا أن يطيب خاطر جولسن بعد ما حدث بالأمس قد لامست دموعها شيء في قلبه هي أم أولاده وقريبته شاء أم لم يشأ جولسن هي كل ما تبقي له في هذه البلاد من عائلة... آه يا جولسن لو تتعلمين التنازل قليلا عن هذا التكبر والزهو تقول إنها تحبني وللحب دلائل فأين هي؟!

لم تلبث إن رأت جولسن عبدالله خورشيد إلا همت مسرعة تطلب من الخادمة أن تخلع حذاء زوجها الذي بدي متسخا من بقايا الحديقة، نظر عبدالله لها فأدركت أنه يحمل بين زراعيه ورد الجوري..... آه من هذا الورد السخيف ذو الأوراق المتساقطة لا أعلم ما حبه فيه وما ضر زهور التيوليب الأنيقة... ولكنها رسمت علي وجهها ابتسامة متصنعة...

شكرا حبيبي...

أصطحبت جولسن عبدالله خورشيد إلي غرفة الطعام كما يصطحب صاحب الدار ضيفه العزيز يكرمه ويرحب به ولكنه يظل ضيف.

جلس الجميع علي الطاولة وابتسم عبدالله لابنه علي... كل عام وأنت بخير يا أسدي القوي سنحتفل بك اليوم.. فردت عليه جولسن قبل أن يكمل جملته قد أعددت حفلا كبيرا يليق به ودعوت الجميع إليه.. قالت جملتها وعادت لتناول الطعام.

عاد عبدالله خورشيد بظهره يرتمي بانهزام علي مقعده... حفلا.. ودعت الجميع.. إذن هو حفل آخر ممل سأجبر عليه ومدعوون من الطبقات الأرستقراطية التافهة الثرثارة التي تتملقها جولسن..

كم وددت أن نحظي باحتفال عائلي يرمم الصدع يا جولسن.

لم يستطيع عبدالله تحمل الإعدادات الصاخبة في القصر لحفل الأمس فالتمس العذر من جولسن وتحجج بتذكره تسليم بضاعة لأحد التجار ليذهب إلي وكالته.

كان عبدالله خورشيد يتاجر بالحبوب والغلة وأيضا بالتوابل والبخور، عرف عنه نزاهته وسمعته الطيبة فزاع صيته واستطاع إن يملك زمام الأمور بعد وفاة صهره.

نزل عبدالله خورشيد من عربته ذات الحصانين أمام الوكالة ليجد رجلين فرنسيين بانتظاره، رحب بهما عبدالله بعد أن عرفا عن نفسيهما هم عالمين أثار أتيا إلي تركيا في رحلة للبحث عن حفريات في منطقة جانكيري وسط تركيا، وإن أخ إحداهما كان زميل لعبدالله خورشيد في جامعة السوربون في فرنسا بعث له عطرا كان محببا لعبدالله كهدية ومعه رسالة يوصيه علي أخيه الاصغر وأن يساعده في عمله في تركيا.

سعد عبدالله خورشيد كثيرا لأن صديقه تذكره بعد كل هذه الفترة الطويلة، ورحب بالضيفين وراح يسألهم عن الأخبار بفرنسا وهل أخبار الحرب التي تدق علي الأبواب يتأثر بها وعن أخبار الأصدقاء والمعارف هناك، كم كان يحب عبدالله إن يكمل دراسة الحقوق هناك ليصبح ما اختاره له جده ولكن الأقدار تبعد الإنسان عما يحب، فلا ينسي ولا يسلي الذكري أبدا.

انتهت الجلسة الطويلة وهم الضيوف بالانصراف فاستدعي عبدالله سائقه ليوصل الضيوف إلي سكنهم ولم يفوت الفرصة ليدعوهم إلي حفل الأمس، فسيكون هذان الضيفان طوق النجاة لعبدالله من مهاترات الرجال وثرثرة النساء في حفل جولسن .. هكذا يمكنني حضور الحفل بلا مخالطة

أحد بحجة قوية وهي الانشغال بضيوفه كانت جوري بالقصر مشغولة بالإعداد للحفل لم يكن حفل عيد ميلاد فقط بالنسبة لها.

ولكن حفل إعادة صورتها أمام الأقارب والأصدقاء بعد أن سمعت ورأت منهم عن أحاديثهم عن علاقتها بعبدالله وأنه تزوجها مرغما لطاعة أوامر جدته هذا الوسيم بالطبع له عشيقة هي سببت لتغيبه عن كل المناسبات مع زوجته وكانت جولسن تعرف أن بعضهن ينظرون لخورشيد نظرة الصياد لصيد ثمين فهو في نظر النساء وسيم ثري ذو شخصية جذابة حنون لا تليق به جبل الثلج ذات الشعر الأحمر.

أعدت جولسن قائمة الطعام التي لا تخلو من كل ما لذ وطاب لتظهر مدي كرم البيت وأصحابه وأمرت الخدم بتقديم الطعام في الأطباق العثمانية التي ورثتها عن أمها فهي لا تستخدم

تلك الأطباق غير في المناسبات المميزة جدا.

لم تفوت جولسن هذه المناسبة دون أن تعد قائمة من المدعين من أصحاب النفوذ والسلطة في إسطنبول ولا بأس من تحمل عبء ثرثرة ونميمة العجزة من زوجاتهم مقابل أن يعرف

الجميع أي بيت هو بيت صابانجي وسط اهتمامات جولسن وتطلعاتها لم تكن تكترث بأولادها كثيرا من الناحية العاطفية

فالإنسان بارد المشاعر لا تجيش عواطفه حتي الفطرية مثل

مشاعر الأمومة مثلا كانت جولسن تنظر لأبنائها إنهم أحفاد عائلة صابانجي ولذلك اهتمت بهم من ناحية المظهر ومستوي التعليم وأسلوب التحدث والتعامل مع الأخرين ولذلك أتت لهم بمربية فرنسية تعلمهم اللغة والأتيكيت ولم يكن ذلك إلا قيودا للأبناء فلقد ضاقوا من القوانين من يوم ميلادهم كانوا يرددوا

- ليت أبي يكون هنا دائما هو الوحيد الذي يسمع لنا

أتي المساء والكل في حالة تأهب قصوي وبدأت العربات في الوصول لحديقة القصر.

وقف عبدالله خورشيد مع جولسن للترحيب بالضيوف بينما كانت الحقيقة أنه لا ينتظر غير ضيوفه أو بمعني أدق منقذيه.

تأخر الضيفين كثيرا بدأ ارتباك خورشيد وقلقه يسيطر عليه إنه لا يريد الدخول في مناقشات أفلاطونية مع أحد هؤلاء المتغطرسين فخورشيد لا يشبه أحد من معرف جولسن فهو رجل جاء من الأناضول بكل مبادئ وأخلاق المزارع فهو قليل الكلام هادئ الطباع كليل الشتاء راسخ لا يميل شامخ كالجبال.

لمح خورشيد من بعيد الطبيب اليوناني كومانوس ويستند علي عكازه ويساعده خادمه علي الصعود لدرج القصر فسارع خورشيد إليه ليستقبله فكومانوس هذا العجوز الحكيم له في قلب خورشيد مكانة فهو لا يمل من قصصه عن بلاد العرب وتحديدا مصر وقصصه عن الخديوي إسماعيل وابنه توفيق.

كان خورشيد تعرف علي الطبيب اليوناني كومانوس في أحد الصالونات الأدبية في إسطنبول التي كان يتردد عليها خورشيد لحبه للأدب الفرنسي والروسي وأيضا العربي فهو يجيد كل تلك اللغات كانت جولسن تعتبر الطبيب كومانوي أحد التحف والمقتنيات الثمينة التي تزين بها حفلاتها لكي تعطي انطباع عن اهتمامات العائلة والمستوي الثقافي لها ورغم ذلك فأنها لم تكن في الحقيقة تهتم بالثقافة أو العلوم يوما فكانت فقط تحب أن

تظهر إتقانها للغة الفرنسية لتحظي بنظرة إعجاب من سيدات المجتمع الراقي.

أتكأ الطبيب كومانوس علي زراع خورشيد مبتسما مبادلا له الود بود فلم يكن للطبيب أولاد أو أحفاد ولكنه كان يتوسم في خورشيد الحفيد الذي بخل الزمان في أن يمنحه إياه.

جلسا خورشيد وكومانوس في أخر مقعدين في بهو القصر بجانب الشرفة ليبتعدا عن صخب الحضور فسأل كومانوس خورشيد

- ماذا قررت؟

أخذ خورشيد نفسا عميقا ثم قال

- تراجعت

- لماذا؟

- لم أستطيع كسر قلب جولسن إنها ضعيفة بدوني هي وصي جدتي لي كيف لي أن أتخلي عنها؟ كما أن الأولاد ما زالوا صغارا ماذا سيحل بهم؟

- وماذا عنك أنت؟ خورشيد يجب أن تبحث عن نفسك في

مكان أخر أنت لست مجرد تاجر ثري بإسطنبول أنت رجل

يملك ما هو أكثر بكثير تخلص من أغلالك وأبحث عن نفسك وجودك هنا هو انتحار وتعذيب لذاتك.

نظر خورشيد لكومانوس ثم صمت فهو يعرف أنه علي حقو لكنه لا يملك نفسه نظر خورشيد للحضور في محاولة منه للهرب من كومانوس ليلمح وصول الضيفيين الفرنسيين.

ذهب خورشيد لاستقبال ضيوفه وهو لا يعرف تحديدا لما دعاهم ولكن حاول فتح الحوار معهم فلم يعد لديه غيرهما للهرب من ضيوف جولسن. كانت طبول الحرب العالمية الأولي تقرع في جميع أنحاء العالم وها هي السلطنة العثمانية أعلنت عن مشاركتها في الحرب ويبدو أنها تورطت بالفعل بعد أن هاجمت سفينتان حربيتان لها في البحر الأسود موانئ روسيا ويبدو أن السلطنة العثمانية قد اختارت التحالف مع ألمانيا ودول المحور.

كان القلق يبدو علي ضيفي خورشيد فهما فرنسيان والوضع أصبح مقلق لهما فأكد لهم خورشيد أنه لا داعي للقلق فالحرب ما زالت بعيدة عن إسطنبول وهما في بعثة علمية، ولكن الرجلان أخبرا خورشيد علي عزمهم الرحيل قريبا فقدت بلغتهم القنصلية الفرنسية اليوم أن علي كل الرعايا الفرنسيين الرحيل من اسطنبول فروسيا يبدو أنها لن تصمت طويلا علي ما فعلته اسطنبول وسترد علي العثمانيين الصاع صاعين.

سمع خورشيد كلام ضيوفه ولم يغضب منهما فهو يعلم أن الحق معهم في القلق فلقد تورطت حقا اسطنبول في هذه الحرب فالسلطان عبد الحميد الثاني رجلا من السهل علي ألمانيا أن تورطه معها وهو في غني عن التورط في مثل تلك الصراعات فالدول العظمي في أوروبا مثل إنجلترا وفرنسا وبقية دول المحور لا طاقة للأسد العثماني العجوز في مجابهتهم الآن كما أن مجازر العثمانيين ضد الأرمن أصبحت ممنهجة كحرب إبادة جماعية ورغم أن الأرمن هم من قتلوا والد خورشيد ولكنه يمتلك ضميرا يجعله يتعاطف معهم لأنه رجل بعقل راجح مستنير.

لاحظ خورشيد أن جولسن يبدو عليها الغضب من انصرافه عنها طوال الوقت وانشغاله مع ضيوفه فأستأذنهم لينضم لها في الترحيب بالبقية كان

الجميع يتهامس عن الحرب في العلن يؤيدون السلطان علي قراره وفي الخفاء يلعنونه علي طيشه فيقولون مالنا نحن وحرب ضد الدب الروسي القابع علي أبوابنا الجميع كان خائف ومن لا يخاف فالحرب ما هي غير آلة قتل وخراب ما باتت أن تتحرك حتي لا يمكن إيقافها تأكل الأخضر واليابس كوحش جائع هارب من الأسر ليذيق الجميع مرارة الألم وسكرات الموت وسط كل هذا لم ينسي هذا القاضي العجوز أن يعكر صفو الحفل أنه (أردال أغلو) كان أردال من ألد أعداء خورشيد كايا جد عبدالله خورشيد فقد كان قاضي في الأناضول يوما ولكن قاضي بلا محاكمات أو سلطة فلقد كان يجري العرف هناك في هذه المناطق الرجوع إلي كبير عشائرهم في جميع الاختلافات وكان خورشيد كايا هناك هو الحاكم والقاضي وصاحب الكلمة العليا بين قومه لم ينساها يوما أردال لخورشيد كايا كان يقول دائما هذا المغرور خورشيد أفقدني سلطتي وأضاع هيبتي ومكانتي ولم يفوت فرصة أو مناسبة حتي يسمع حفيده عبدالله خورشيد كلام لا يتحمله أحد عن جده ولكن كان خورشيد يستقبل هذا بحكمة احتراما لعمر أردال ولأنه قريب جولسن من جهة أمهاأخد أردال مكانه وسط الحضور يجلس علي مقعده يكاد أن يقتله الكبر والغرور وعندما لمح خورشيد بدأ حديثه يقول

- أنا لا أشك في قدرة دولتنا العثمانية علي إعطاء الروس

درسا قاسيا وخاصة بعد تحالفنا مع الألمان ولكن كل ما أخشاه الخيانة، خيانة العرب لنا محتملة هؤلاء الرعاع سينتهزوا الفرصه ليتخلصوا من سلطتنا عليهم فهم خونة وأغبياء.

كان أردال يقول هذا الكلام وهو ينظر لخورشيد في عينيه كأنه يوجه له هو كل هذا السباب والإهانة وكأن أصول خورشيد العربية من جهة أمه جريمة يعاقب عليها في البداية منعت حكمة خورشيد ورزانة عقله من أن يرد علي كلام أردال ولكن تدخل جولسن قلب الموازيين فأنها لم توافق أردال علي رأيه فقط بل قالت

- هذا طبع العبيد دائما يتمردوا مهما أطعمتهم

هنا ارتجفت أوصال خورشيد وهو يري في جولسن تاريخ جدته الأسود مع أمه فزفر نفسا عميقا وقال

- عبيد؟؟؟

القرار

نظر خورشيد إلي جولسن في زهول وكأنه يراها للمرة الأولي إن حديث جولسن لم يكن عن العرب بل موجه له، إنها تحاول أن تستعرض أمامه شرف زواجه بها، بالتقليل من أصله العربي، لم يكن فقط غضب خورشيد مما تقصده جولسن ولكن من جوهر تفكيرها وسواد قلبها وسقم روحها، لم تكن كلماتها عابرة بالأمس هي تعيي كل كلمة تلفظت بها.

اعتدل خورشيد في جلسته وقال في هدوء

وهل يحتاج العرب الحرب للتخلي عن الدولة العثمانية لقد تخلينا نحن عنهم إن أوروبا أحتلت كل بلاد العرب دون أي مقاومة أو حتي اعتراض من العثمانيين، الإنجليز يسعون فسادا في مصر من سنوات والفرنسيون امتلكوا بلاد الشام والجزائر. سلطانكم أصبح بلا سلطنة وخليفة المسلمين بات خائنهم في معاهدات رسمية مع الأوربيين.

انتهي خورشيد من كلامه وعم الصمت الجميع إن كلام خورشيد كفيل بأن يكون سببا أن يصدر حكم بإعدامه.

صبغ وجه جولسن اللون الأحمر فسار بلون شعرها وكانت عينها لست أقل اشعاعا منهم فكان يتطاير الشرر منهما كمحاولة لإسكات خورشيد.

مرت دقائق ثقال علي الجميع في زهول وصمت تنظر العيون لبعضها البعض دون كلمات، حتي وقف القاضي أردال أوغلو متعلل بتأخر الوقت، انصرف تاركا الحفل والجميع يعرف إلي أين سيتوجه هذا العجوز الخبيث، فبالطبع لن يفوت هذه الفرصة إنها حالة حرب وما صدر من خورشيد هو خيانة عظمي للسلطان والعرش.

بدأت الهمهمات تسود المكان وبدأ الجميع في الانصراف علي عجل وكأن قصر صابانجي تحول إلي سفينة غارقة يتصارع الفئران للقفز منها.

وهذا طبيعي فعندما يكون الود متصنع والصداقة غلاف مزركش للمصلحة فالوفاء يصبح عملة نادرة عفا عنها الزمن لا يتم تداولها في مثل هذه المجتمعات الزائفة.

انصرف الجميع لم يتبقي غير ضيوف خورشيد الفرنسيين والطبيب العجوز، ويبدوا إن الفرنسيين لم يفهما كلام خورشيد أو يترجموه جيدا، ولكنهم هما للانصراف بعد أن انتهت الحفلة بشكل مفاجأ مبهم لهم.

ظل الطبيب كومانوس جالسا ينتظر انصراف الجميع ويبدو عليه أنه قرر أن يبقي مع صديقه للنهاية.

- قلت لي من قليل إنك لم تتخذ القرار ولكن يبدو لي إنك اتخذته بالفعل.

قال كومانوس لخورشيد

- أنا بالفعل لم أتخذ أي قرار لما تقول هذا

- لما أقول؟؟ ألم تسمع ما قلته منذ قليل لهذا أردال أوغلو أنت تعرف أين أردال الآن أليس كذلك؟! إنه بالتأكيد بمكتب أحد ظباط الذين يهوي أردال التقارب منهم بالنميمة طارة وبالقرابين طارة أخري.

- فليفعل ما يريده لم أقل غير الحقيقة.

- حقيقتك هذه يا ولدي يمكن أن تفقدك حياتك إنها الحرب ولا مكان للرحمة في الحروب.

اذهب يا خورشيد من هنا في أسرع وقت اذهب لتبحث عن حقيقتك عن هويتك عن من تكون إن أسير يا خورشيد في إسطنبول لم تكن تنتمي لها يوما.

- هل تريد مني أن أعود إلي الأناضول؟! واترك كل شيء.

- لا فات الأوان علي عودتك إلي هناك أريدك أن تذهب إلي ما هو أبعد إلي الأناضول؟ يجب أن تترك تركيا وفورا.

- وقع كلام كومانوس علي خورشيد وقع المفاجأة، لم يفكر خورشيد في الرحيل إلي ما هو أبعد من الأناضول.

انصرف كومانوس وهو يشد علي يد خورشيد

- ارحل في أسرع وقت.

بعد انصراف كومانوس وقف خورشيد يودع بالحديقة لم يرد إن يعود للقصر فورا فالليلة ستدار حرب من نوع آخر مع جولسن حرب طالما كان يتجنبها خورشيد.

تمشي خورشيد قليلا في الحديقة أخذته أقدامه إلي أحواض ورد الجوري، لا يعرف هل آتي هنا متعمدا ليشم رائحة أمه فيها أم إنها الصدفة.

ورد الجوري أيها الضيف الغريب علي أرض ليست بأرضك إنها تعاند الطبيعة هنا تتشبث بالحياة كطفل ضعيف انزلقت قدمه من سفح جبل شاهق فتمسك بكلا يديه بالصخور يتحدي الموت بعناده ولكنه مدرك إنه قاتله.

شرد خورشيد طويلا لا يعرف كم من الوقت قد مر ولكن نسمات الفجر وصقيعها بدأت تتخلل معطفه ليدرك إن يديه تكاد أن تتجمد.

دخل خورشيد إلي القصر وهو في حالة بين اليقظة والنوم من السقيع في الخارج ولكن كان سقيع الخارج أكثر دفئا من سقيع جولسن.

يبدو عليها أنها لم تحاول حتي النوم إنها بإنتظاره منذ ساعات، وأول ما نظر لها خورشيد سارعت بسخبه إلي غرفة المكتب.

غدا مبكرا ستذهب إلي نظارة الحربية لتقديم تبرع لصالح الحرب وستطلب مقابلة رستم باشا دفتر دار السلطنة لتقديم هدايا للسطان عبدالحميد الثاني بمناسبة ذكري جلوسه علي العرش.

- لما كل هذا؟! جاوبها خورشيد

- هل تسأل؟؟؟ ألا تعرف ماذا فعلت اليوم قد أخطأت في حق السلطان والسلطنة العثمانية كلها أمام الجميع، أدعو الله أن نلحق بتصحيح الأمور وإلا يكون سبق السيف الغزل.

- إن أردال الجبان لا يجرؤ أن يشي بي.

- إن لم يشي أردال وشى بك الأخرون.

- الآخرون أقاربك وأصدقاك يشون بزوجك هل تعي ماذا تقولين؟!

- نعم أعي جيدا وهذا ما يحدث إنها فرصتهم للنيل مني سأكون أرملة لخائن.

- هذا كل ما يهمك أرملة الخائن وليس موتي يا جولسن.

- لا يوجد وقت لهذه المهاترات يجب أن تنفذ ما أمرتك به.

-آسف يا مولاتي أنا عبد مارق لن ينفذ أوامرك أنا ككل بني جنسي من العرب عبيد خونه مارقون.

- العرب؟ أنت؟ كيف تنسب نفسك لهم؟؟

- أنا لم أنسب نفسي لهم أنتي دائما ما تنظرين لي أنني واحد منهم وأني لن أكذب حدثك أنا منهم يا جولسن أنا انتمي إلي هذا الجد الذي لم تراه عيني أنا انتمي لهؤلاء القوم الذين لم أراهم من قبل ولكن دائما لا أشعر بالانتماء إلي هنا إذن أنا انتمي لهناك.

- أنت لا تعرف بماذا تهزي أنت تقلل من شأني وشأن أولادك أنت تضع النهاية لعائلتنا هذا القصر هو رمز من رموز العثمانيين علي مر العصور صابانجي خرج من نسلهم وزراء يخدمون الباب العالي أوفياء لسلاطينهم وعرش الدولة العثمانية.

- بل أعرف تماما لماذا أهزي عزيزتي ولهذا لا يمكن لسيدة مثلك بالاستمرار مع رجل هجين مثلي.

- لقد أصبت بالجنون يا خورشيد

- بل صدمت بالحقيقة عزيزتي حقيقتك صدمتني دعينا الآن ننهي هذا النقاش إن أشعة الصباح ملئت المكان وبعد قليل سيستيقظ الأولاد للذهاب إلي المدرسة.

انسحب خورشيد من أمام جولسن دون أن ينتظر الرد انسحب كجندي منهزم في معركة خاسرة ولكن بعض الحروب في خسرانها شرف.

لم يذهب خورشيد للنوم ولكنه بدل ثيابه وخرج مسرعا ليوقظ سائقه ليذهب إلي الوكالة.

كانت جولسن تستشيط غضب ولا تعرف ماذا هي فاعلة، تحولت حفلة أخري إلي مأساة.

وصل خورشيد إلي الوكالة مبكرا وجلس يحتسي فنجان قهوته وحيدا شاردا، وبينما هو في شروده دخل عليه ضيوفه الفرنسيين ليخبره أنه تم إعلان جلاء الرعايا الفرنسيين رسميا من اسطنبول لخطورة الأمر وأنهم أتوا لتوديعه.

ظن خورشيد إنهم سيتوجها إلي فرنسا مباشرة، ولكنهم أخبروه إنهم في طريقهم للشام وأنهم يحاولون الحصول علي تذكرة علي أي باخرة ذاهبة للشام.

الشام... ما هذه البلاد الغريبة أي سحر هذا في ذكرها يسري في عروق خورشيد عندما يسمعها هل يمكن للمرأ أن يشتاق لوطن لم تراه عينه من قبل، أن كلمات أسما ما زالت تتردد في عقله وتتسلل إلي أعماقه (عد يا بني إلي الوطن أنت لا تنتمي إلي هنا).

انصرف الضيوف وخورشيد غارق في همومه وأفكاره المتخبطة، وفجأة جاء أحدي العاملين في الوكالة يلهث يا بك أحد الظباط بالخارج يطلبك.

تأكد عبدالله خورشيد أن ظنون جولسن في محلها لقد فعلها أردال الخسيس، قد وشي بخورشيد عند أسياده إنه كان يتمني أن ينتقم من خورشيد كايا الجد يوما وها هو ينجح في الإيقاع بالحفيد غير ذلك مثل هذه الوشاة ربما علت من شأنه عند أحدهم ربما سيمنح الباشوية عليها لينهي بها عمره الطويل في خدمة أسياده، ولكن نسي أردال أن الكلب الذي يحرس الدار لا يكون من سكانه فهو أبدا لن يفوز بما يحلم.

لم يهتز عبدالله خورشيد أبدا كان شيء متوقع تقدم عبدالله خورشيد من الضابط.

- أنا عبدالله خورشيد كايا.

- أهلا يا بك إنك مطلوب في نظارة الحربية

- وما الموضوع؟؟

- سيتم إخبارك هناك ذهب خورشيد مع الضابط في هدوء وقد عزم أمره لمواجهه ما قاله بالأمس لم يخشي خورشيد شيء هو رجل عرف عنه الشجاعة، يتحمل عواقب أفعاله بمفرده.

وصل خورشيد والظابط إلي نظارة الحربية جلس علي مقعد أمام ضابط أخر يبدوا إنه أعلي رتبة من السابق.

تحدث الضابط بهدوء مع خورشيد لم يذكر من أمر ما حدث بالأمس شيء ولكن كان يطلب من عبدالله خورشيد أمر أخر يبدو أنه مساومة.

- أنت تعرف إن الحرب مع الروس بدأت في البحر الأسود ونعتقد أن الروس سوف يحاولون مهاجمة سفننا الحربية، فما فعله أبطالنا معهم قد أعاد للأذهان هناك هيبة دولتنا وتاريخها إن الروس يرتعبون اليوم منا علي ما نظن سيكون لهم محاولات فاشلة للرد.

- ولكن أعتقد أن سفننا الحربية أثناء الهجوم كانت تحت القيادة الألمانية يا سيدي... تلفظها خورشيد وهو ينظر في عين الضابط

- ما كاد خورشيد ينطق بكلامه حتي تغيرت ملامح الضابط العثماني وفجأة وجه الحديث إلي وجهة أخري ليرد علي سؤال خورشيد بسؤال

حقا أنت لك أصولا عربية؟؟

- ابتسم خورشيد لمحاولة الضابط تغير مجري الكلام وجاوبه بثقة نعم جدي لأمي من بلاد الشام سيدي. ولكن هل هذا يجعلني مواطن من الدرجة الثانية مثلا؟!

- تنهد الضابط ورد علي خورشيد بالطبع لا.

- إذن لما أنا هنا الآن؟

- أنت هنا لأن دولتك العثمانية بحاجه إليك يا بك. هكذا كان رد الضابط الذي أدهش خورشيد برده هذا.

- تحتاجني أنا؟! كيف؟!

- ألست تاجر حبوب؟! إن الجيش بحاجه لمن يمده بالمؤن في هذا الوقت. وأنت مواطن شريف محب لوطنك ودولتك العثمانية مخلص لسلطانك.

- ابتسم عبدالله خورشيد قليلا ابتسامة المعرفة بعد الجهل، فقد أتي إلي هذا المكان وهو لا يعرف لما تم استدعاءه ولكن الآن وضحت الصورة، إنها عملت مقايضة علي حياته أن يقدم لهم

كل ما يطلب منه، مقابل العفو عنه. إنهم ليسوا أقل خسة من أردال للأسف.

انتهت المقابلة ووضح الأمر المال أمام حياته.

كومانوس

خرج خورشيد من نظارة الحربية أطلق قدمه للسير بطرقات إسطنبول العتيقة ظل يسير صامت شامخ كجبل من الثلج يسبح في المحيط لا يري الناس منه إلا قمته وتحت الماء اختفي حقيقته.

بين الصدمة والحقيقة العارية أمام عينه عجز الكلام عن التعبير عما يجول في خاطره ألف سؤال ولا يجد لهم جواب واحد.

من تكون هذه المرأة التي أنجبت منها ابنائي؟

هل أنتمي إلي هذه المدينة؟ ماذا أفعل وسط هؤلاء؟ أنا وحيد تماما، إلي أين المسير قد ضاقت الطرقات أنا وحيد تماما أشعر بالغربة رغم أنني في وطني.

بعد وقت من السير لم يلاحظه خورشيد قد أبتلعه الوقت تماما فهذا ما يحدث للإنسان الغارق في همومه يمضي عليه الوقت فلا يدركه لأنه خارج هذه الحياة.

وجد خورشيد نفسه أمام البوسفور

- أيها البحر الهادئ كيف تمكنت من احتضان هذه المدينة وما زلت بكل هذا الهدوء.كان خورشيد يردد في داخله هذه العبارة كلما أتي إلي البوسفور، جلس خورشيد علي أحد المقعد الخشبية ألتحم بالمقعد تماما كما لو كان جزء منه كأنه لن ينهض منه مجددا.واستغرق في التفكير في حياته منذ طفولته الحزينة علي أمه وآلامها عن قصصها عن بلاد الشام عن عادات قومها، عن حقول الزيتون عن تعريشة الياسمين وليال الصيفية والشتاء الدافئ، تذكر أغاني كانت ترددها بصوت عذب بلغتها العربية.

كانت تغنيها له ودموع عينيها تسبق كلماتها، لم يفهم دموعها وهو صغير ولكنه الآن يعي تمام دموع وأحزان أمه، إنها الوحدة إنه الشوق للوطن.

ولكن هل أنا في شوق لوطن وأنا أحي في وطني كان يسأل خورشيد نفسه في دهشة من أمره.

ما هو الوطن؟ أرض أحي عليها وبيت أسكنه أم أن الوطن أكثر من هذا بكثير.

أن أصعب اللحظات التي تمر علي الإنسان لحظة افاقة من دوامة الحياة لحظة يقف الإنسان أمام نفسه مذهول من كل ما يحيط به كأنه كان يحيي فاقد للوعي كالسير وهو نائم ولكن مضي عمرا كاملا يسير وهو فاقد الوعي.

تذكر خورشيد أيضا جده، نعم كنت أحبه هو الجد والسند جعلني أشعر أنني أملك الدنيا وما عليها لم أشعر بالغربة أبدا في وجود جدي، كان جدي لي وطن.

أحيانا يكون الوطن أشخاص وليس أماكن أحيانا يكون الوطن روح وليس أرض، يكون الوطن حلم وليس بيت، أن الوطن هو ما يحيا فينا وليس ما نحيا فيه، هو حقيقة تسكننا ولا نسكنها.

بدأت الشمس تغوص في أعماق البوسفور معلنة عن انتهاء اليوم، وإن لحظات الغروب تثير في الإنسان مشاعر من الشجن حتي في أفضل أيامه فما بال خورشيد في أصعب أيامه علي الاطلاق.

شعر خورشيد في لحظة إن عينه تريد أن تفصح عما يجول بداخله، ولكن كرجل شرقي أيقظه ذلك من شروده ليعتدل في جلسته يلملم هيبته ويمسح عينه بكلتا يديه عسي أن تكون غافلته دمعتين.

وقف خورشيد منتبها لنفسه كفارس قرر المضي في حربه ليدخل جولة أخري فالحرب جولات وخسارة معركة ليست خسارة الحرب.

تلفت خورشيد حوله فوجد إنه قريب من (حي زيرك) حيث يسكن الطبيب كومانوس، ومن غيره يذهب له خورشيد في مثل هذه الظروف إنه رجل الحكمة والعقل الراجح وكيف لا يكون إن كومانوس ليس مجرد طبيب يوناني يعيش بإسطنبول بل إنه طبيب الأمراء والملوك كان طبيب أسرة محمد علي في مصر وتحديدا في عصر الخديوي إسماعيل تعرف عليه إسماعيل شابا طموحا، في أحدي رحلاته إلي فرنسا أعجب به إسماعيل كثيرا عندما شفي علي يده ابنه توفيق، وقرر أن يحضره إلي مصر ولكن كان الشاب يخشي فقد حياته الأوروبية ولم يكن رجل يحب المال ولا السلطة وجوده في قصر الخديوي سيحرمه الكثير من مشاركات في المجال الطبي ولكن إسماعيل استطاع أن يقنع الطبيب الشاب، وعزف علي وتر الإنسانية حيث وعده إنه في مصر لن يكون طبيب القصر فقط، بل سيدرس في مدرسة الطب في مصر .

إنك ستخدم شعبا كاملا يا كومانوس وليس ملكا هكذا قال الخديوي للطبيب.

سار عبدالله خورشيد في شوارع زيرك الممهدة بالحجارة الصغيرة صعودا ونزولا المشي بهذه الأزقة متعب رغم متعته إنك تشم عبق الحضارة والتاريخ هنا بيوت صغيرة من الحجر تحف النوافذ الخشبية العتيقة الزهور تروي قصص لبيوت بسيطة عامرة بالحب هنا تري أإسطنبول عاصمة الخلافة الإسلامية الرجال الملتحين تمسكوا بالسبح بحبات العقيق الأحمر أو ربما بخشب أشجار الصنبور نقشت عليها حروف أسمائهم علت الوجوه ابتسامة وأثار السجود علي الجبهات أما النساء جميعا بوشاح علي الرؤوس لا يوجد أثر لمساحيق التجميل علي الوجوه كل شيء هنا جميل كما خلقه الله .

لا يعرف خورشيد لماذا شعر بالراحة والطمأنينة شعر بالوطن هنا يسمع دبيب أقدامه إنها تسير علي أرض صلبة.

لم يكن خورشيد معتاد علي زيارة الطبيب في منزله أتي هنا مرة أو اثنين فقط حتي إنه لم يتعرف علي البيت، البيوت جميعها متشابه في اللون والطابع .

بدأ خورشيد في السؤال علي منزل الطبيب كومانوس، يبدو أن الجميع هنا يعرفه، يبدو أن كومانوس أشتهر بأنه طبيب

الشعوب هنا أو مصر أو حتي في اليونان كومانوس يتبع إنسانيته أينما حل .

الجميع يرحب بضيف كومانوس شيء غريب فهو يوناني الأصل والخصومة التي بين بلدين تعرف للقاصي والداني منذ عصور إنها الخصوم الأبدية علي اللاشيء فالشعبان التركي واليوناني يملكان نفس العادات والتقاليد وأسلوب الحياة في البلدين واحد ولكن ربما هي اللغة التي تفرق بينهما .

أهتدي أخيرا خورشيد إلي منزل كومانوس دق الباب الخشبي ليفتح له الخادم هذا الرجل ذو البشرة السمراء عرف خورشيد من الوهلة الأولي ورحب به وأدخله إلي قاعة الضيوف، إنه رجل صالح أتي مع كومانوس من مصر كان يظنه خورشيد سابقا إنه من الحبشة ولكنه عرف أنه مصري مسلم من بلاد النوبة .

انتظر خورشيد في القاعة التي كان يزين حوائطها النياشين التي حصل عليها كومانوس من حكام مصر كما كانت هناك صور لهم، فهذه صورة محمد علي باشا مؤسس حكمهم وصورة للخديوي إسماعيل وأخري للخديوي توفيق وأخري لامرأة يبدو عليها إنها من علية القوم ولكن لم

يذكر كومانوس لخورشيد عن اسمها، ولم يسأله خورشيد يوما لعل بدي له أن هذا الأمر لا يصح وفيه تجاوز لخصوصيات الرجل وأسراره .

- ولكن شيء ملفت في هذه المرأة لا أعرفه لا أدري ابتسامتها أو نظرة عينيها ملفت أهي تبتسم أم تبكي كيف لم ألاحظ هذه الصورة جيدا من قبل ولما لم أسأل كومانوس عنها من قبل .

دخل كومانوس القاعة مستندا علي ذراع خادمه النوبي عارف رحب بخورشيد بابتسامة ثقة وكأنهما كانا علي موعد مسبق .

- كنت انتظرك

- كيف؟ لم أذكر في الحفل أنني وعدتك بزيارة قريبة

- ولكني كنت أعرف أنك ستأتي اليوم

نظر خورشيد في دهشة لكومانوس وقبل أن يبدأ الكلام عاود كومانوس حديثه

- خورشيد يا بني لماذا تعتقد تقربي الدائم لك؟

أعلم إنك تعتقد أنني أجد بك الابن أو الحفيد الذي افتقد، ولكن هذا ليس كل شيء .

هب كومانوس من مقعده بشكل مفاجأ تعجب له خورشيد وصار إلي أحد الصور المعلقة علي الحائط ينظر إليها .

أندهش خورشيد لقوة الرجل التي ظهرت بشكل مفاجئ من دقائق كان لا يقوي علي السير بمفرده .

نظر خورشيد لكومانوس لم يلاحظ يوما قوة هذا الرجل يوما إنه ذا هيبة عينيه لهم نظرة ثاقبة كشجر الزيتون قصير القامة لكنه ثابت شامخ مفرود القوام كفارس يتكأ علي سيفه لا علي عصاه .

- نظر كومانوس إلي خورشيد وقال له هل اتعبك البحث عنه؟ !!

- رد خورشيد عن أي شيء تتحدث ما الذي ابحث عنه.

رد كومانوس الوطن.

- ولماذا ابحث عنه وأنا أحي به؟

- هل أنت متأكد أنت تحيي بوطنك هل تنتمي إلي هنا يا خورشيد؟!

- صمت خورشيد قليلا ...ثم تذكر أزقة زيرك من حوله وقال نعم .

ثم استأنف خورشيد كلامه شعرت كثيرا بما تتحدث عنه ولكن وجدت الوطن هنا وأنا أسير إليك اليوم وجدت الوطن في ازقة زيرك نعم هنا وطني .

- رد كومانوس لا أتحدث عن زيرك يا خورشيد هل تستطيع أن تنتقل إلي حي زيرك هل ستقتنع جولسن بالحياة هنا وهي التي ألفت الحياة في قصر صابانجي منذ أن أتت إلي الدنيا هل حياة هؤلاء تتماشي مع الحياة الأوروبية التي تحياها أنت وهي .

أن إسطنبول يا ولدي تنقسم إلي بلدين في الواقع نصف اوروبي من أصول أوربية أو غير ذلك ولكنهم يقتنعون كليا بأفضليتهم عن النصف الأخر الذي ينتمي إلي الشرقيين النصف الذي ينتمي إلي التاريخ والماضي وأنني اري انتصار النصف الأوروبي قريبا لا محال له .

- وما علاقتي أنا بكل ذلك رد خورشيد

- علاقتك أنت وأنا أننا نبحث عن الانتماء وليس المكان عن الهوية وليس الجنسية، أنا يوناني عشت أجمل أيام حياتي في مصر، كانت أيام الشباب والصبا ذهبت هناك لأُعلمهم فتعلمت هناك الكثير، صرت مصريا وجدت الانتماء والهوية هناك، ولا تستعجب من هذا قد سبقني أجدادي الإغريق في ذلك عندما ذهبوا إلي مصر انصهروا هناك لم يخرجوا منها أبدا ألم تسمع بالبطالمة .

- نعم سمعت ودرست تاريخهم أيضا .

- نعم هم اليونانيون القدامي ذهبوا إلي مصر ليبنوا ميناء الإسكندرية لكنه ابتلعتهم مصر فصارو ا من أهلها مثلي .

لم تذكر لي يوما لماذا تركت مصر؟ أعلم إنك أتيت إسطنبول لتدير أحدي الأوقاف هنا، ولكن لما لم تعد إلي مصر؟

- لأنها لم تعد هناك ...لا أستطيع العودة لأري الاماكن وقد خلت منها ... رد كومانوس وهو ينظر إلي صورة المرأة علي الحائط .

- تردد خورشيد بسؤاله عنها؟ من تكون ولكن إن أراد الرجل بالبوح سيقول هو لا داعي أن أسأله؟

فجأة عاد العجوز كومانوس كما كان بل كاد يقع، هم خورشيد بإسناده ومساعدته للجلوس علي مقعده .

- خورشيد يا بني أريدك أن تذهب لتبحث عن نفسك وهويتك الحقيقية، أنت رضيت بأن تسجن داخل تمثال المثالية لا يجب أن تكون الرجل المثالي المضحي طوال الوقت استمع إلي نفسك قليلا ثم عاد لينظر إلي الصورة علي الحائط ليكمل حديثه دامع العينين

- لماذا يستبيح البعض أرواحهم ويقومون هم بتعذيبها ألا يكفيهم ما يفعل بهم البشر والدنيا؟!

صمت كومانوس دقائق مطأطأ الرأس ليس هين علي رجل مثله إن تداهمه دموعه أمام الأخرون.

عم الصمت المكان وتلعثم خورشيد فوقف الكلم في حلقه لا يعرف بماذا يواسي هذا العجوز وعلي أي شيء ولكن يبدو الأمر واضح جرح قديم ما زال يدمي في قلبه الذي أوشك عن التخلي عن نبضه ولكنه لم يتخلي عن حبه.

تراجع خورشيد علي أن يبوح بهمه إلي كومانوس كيف يزيد هذا الرجل هموم فيبدو أنه يحمل منها الكثير.

لاحظ كومانوس خجل خورشيد فأحب أن يرفع عنه وأن يلاطفه وأن يبعد غيمة الأحزان التي أظلت المكان بكأبتها.

- ألم تقع في العشق يوما يا خورشيد؟؟ رجل وسيم مثلك بالطبع كان هناك الكثير من القصص قالها العجوز وهو يحاول الضحك.

- ابتسم خورشيد وقال ربما كان هناك قصص ولكنها لم تكتمل يوما.

- ولماذا؟

- لا أعرف هل هو عيب في أم سوء حظ، ولكن القدر كان دائما ضدي.

دخل عارف حامل معه القهوة التركية هو يعرف كيف يحب أن يشربها خورشيد من زياراته السابقة.

- شكر خورشيد عارف وهم بتناول الفنجان منه.

- أحبها بدون سكر.

- أعرف يا سيدي هي كذلك. رد عارف

تعجب خورشيد لم يحضر هنا غير مرتين علي الأكثر كيف تذكر هذا الخادم العجوز.

ولكن كومانوس قطع علي خورشيد دهشته وتعجبه للأمر.

- عارف عندما يعجب بشخص يهتم بتفاصيله ليقدم أفضل ما عنده كان دائما هكذا ومن زيارتك الأولي أبدي عارف لي إعجابه بك يا خورشيد.

شكر خورشيد الرجل وبادره بابتسامة رضا عن اهتمامه.

ابتسم عارف لسيده وضيفه واستأذن منهم.

ليعاود الحديث بينهم

- القصص التي كانت لم تكتمل كانت في فرنسا يا خورشيد.

قالها كومانوس وهو ينتزع الحديث من خورشيد انتزاعا.

- لا لم تكن في فرنسا بل في الأناضول، كانت ابنة أحد المزارعين هناك، فتاة بسيطة باسمة الوجه طفولية الطلة كنت ألمح نظراتها تتطلع علي كلما خرجت للسير مع جدي لمتابعة الأعمال لا أعرف متي بدأت أهتم بها ربما في سادسة عشر من عمري كانت ما زالت طفلة تصغرني بعامين.

ولكني كنت أنظر لنفسي حينها كرجل يحق له العشق والزواج، ربما لاهتمام جدي بي واعطائي مكانة وسط عشيرته.

كما أن (ايبيك) كانت حلم يمشي علي قدمين في ضيعتنا، يتهامس عليها الفتيان ليلا، ويتتبعون دروبها نهارا.

- قلت لي اسمها ايبيك أليس ابنتك تحمل نفس الاسم؟!

- نعم

قالها خورشيد في خجل

- لم يكن اهتمام مراهقة فقط يا خورشيد، علي ما يبدو كان أكثر من ذلك يبدو لي عشقا؟

- لا أعرف له اسم ولم أحاول يوما أن اسميه ولكن هو شيء لا ينسي يبقي محفور علي جدران القلب.

- ولماذا لم يكن هناك نهاية سعيدة لهذه القصة؟

- استشعر جدي بما يجول في عقلي وقلبي وهناك في الضيعة لا شيء يمكن كتمانه وأنا ابن كبيرهم كنت تحت المراقبة دائما، ربما وصل لجدي بعض من الأقوال التي لم تعجبه. وعندما واجهني بالأمر لم أنكره بل ذهب معه إلي أنني أريد الزواج منها وأنا بهذا العمر، وكان هذا الأمر ليس بغريب في منطقتنا الجميع يتزوجون صغارا.

ولكن جدي لم يوافق كان يرسم لي مستقبل أخر غير الزواج وتمضية بقية عمري في الضيعة. أراد لي أن أذهب لأدرس في فرنسا، كان يتمني أن يراني قاضي عادل يصل إلي أعلي المناصب.

- استسلمت لرغبات جدك بهذه السهولة يا خورشيد؟

- لم أكن غير صبي صغير وقتها.

- ألم تنظرك محبوبتك؟

- لا انتظرتني عندما عدت للمرة الأولي من فرنسا، قابلتها كان الحزن قد رسم علي وجهها لم ترد أن تخبرني بشيء، ولكن عرفت إن بعد أن رحلت ازداد الحديث عنها ومضوا في نسج القصص الوهمية عن صغيرتي.

وبات زواجها أمر حتمي لأبيها أن يتقبله من أول خاطب، ولكنها كانت لم تيأس بعد من محاولاتها من استعطافه علي أمل رجوعي يوما.

- وهل حاولت نجدتها؟

- لا بل حررتها من أي وعود، حررتها مثل تحرير عصفور زينة من قفصه الذهبي، تعتقد أنك تفتح له الباب ليطير بحريته في سماء الله الواسعة، ولكنك تدرك بعد ذلك إنك انهيت حياته.

فما بال عصفور زينة بحياة البرية تأكله الجوارح أو يموت جوعا.

- وماذا كانت نهاية عصفورتك يا خورشيد؟ أكلها أحدي الجوارح أم ماتت جوعا لحب تخلي عنها؟

- كلاهما للأسف.

تزوجت بعد سفري بعدة شهور من شاب من أحدي المدن المجاورة للضيعة. تركت الضيعة الهادئة وذهبت معه، لا أعرف ماذا حدث لها هناك ولكنهم يقولون إنها عاشت أيامها تعسة منزوية، كزهرة اقتلعت جذورها من أرضها لتزرع في غير الأرض.

- تتحدث كما إنها ماضي رحل.

- نعم رحلت سريعا بعد أن تزوجت وأنجبت ابن وحيد هاجمها المرض والحزن والغربة ليتكاتفوا علي القضاء علي صغيرتي، فلم تقاوم استسلمت سريعا ورحلت في هدوء.

- ولذلك اسميت ابنتك علي اسمها، تحاول أن تكفر عن ذنبك بهذا.

- لا لن يكفر من ذنبي شيء أعلم. اسميت ابنتي علي اسمها حتي اتعذب بهذا الذنب طوال حياتي، كي لا أنسي ذنبي.

- إنه جلد للذات يا خورشيد.

- وأنا أستحقه.

صمت الإثنين لفترة ليست بقصيرة.

استأنف بعدها كومانوس الحديث بعد أن شعر أنه لم يبعد غيمة الأحزان تلك بل جعلها تمطر.

- لم أسألك يا خورشيد لماذا أتيت اليوم؟

تنهد خورشيد وكأن أحزانه اتفقوا اليوم إن يشنوا عليه هجمة واحدة قاضية ترديه قتيلا.

- هل تتذكر حديثي أمس مع أردال أوغلو؟

- نعم وشي بك الملعون أليس كذلك؟

- نعم اليوم صباحا أتي إلي أحد الظباط من نظارة الحربية واصطحبني إلي هناك، يبدو الأمر كتهديد ومساومة يريدون مني أن أمد الجيش خلال الحرب بالمؤن ويبدو الأمر مساومة علي حياتي.

- وهل ستفعل ما يريدون؟

- لا أعرف ماذا أفعل، الأمر ليس بيدي التجارة ليست مالي وحدي بل مال جولسن أيضا وتركة أبيها. أنت تعرف لن يسدد لي الباب العالي شيء من مال المؤن إن أعطيته بلا مقابل فسدت تجارتي وضاع ما أملك أنا وزوجتي، وما ذنبها هي بفعل قمت به أنا؟ لا أريدها أن تدفع ثمن اخطائي؟

- أنت لم تخطأ لم تتفوه غير بكلمات الحق يا خورشيد.

- إن كانت جولسن تتفق معي مثلك ما كنت أخشي شيء أو أشعر بالذنب، ولكنها تري إن ما فعلته خطأ وكارثة حطت علي رؤوسنا.

- وماذا الآن؟ ماذا تنوي أن تفعل؟

- لا أعرف أشعر بالذنب

- أنت تشعر بالذنب دائما بلا مبرر، لا تخضع لهم يا خورشيد أعرف إن في هذا مخاطرة ولكن إن خضعت لن تكون الأخيرة أبدا.

- أعلم وهذا ما يؤرقني.

شعر خورشيد أن الوقت مر سريعا مع كومانوس وجاء الليل والرجل بهذا العمر يحتاج إلي راحة فنهض وأستأذنه في الرحيل مع وعد إنه سيعاود الزيارة في أقرب وقت.

اصطحب عارف خورشيد إلي البوابة الخارجية للمنزل وعندما فتح الباب صدم خورشيد بفتاة كانت ستدق البوابة في نفس الوقت من فتحها.

لم يعرف خورشيد هل نظر هو أولا لها أم هي ولكنه نظر ليحدق في عينين صب العسل فيهما صبا ووجها استدار كأنه القمر أكتمل في سماء صافية تتوسطه ابتسامة ناعمة هادئة.

كان نسيم الليل يداعب خصلات شعرها فوق جبهتها فتحاول الإمساك به بيديها لتبتسم مرة أخري.

لا يعرف خورشيد ولكنه بادلها الابتسامة.

- جوري

- أهلا بالعم عارف

- تفضلي لم نعرف أنك ستأتين الليلة.

انتبه عارف أن خورشيد ما زال منتظرا نظر له في تساؤل.

- شكرا يا عارف أنا أعرف الطريق.

هكذا انسحب خورشيد وهو يلتفت خلفه ليري الفتاة تدخل المنزل ويغلق الباب.

من هي لم يذكر كومانوس يوما عن أقارب في إسطنبول والرجل لم ينجب يوما ليكون له أحفاد من هذه؟

لا تبدو من الجيران أو تنتمي لمنطقة زيرك إن هيئتها المنمقة وملابسها لا تدل علي ذلك، من تكون صاحبة هذه الابتسامة.

عاد خورشيد للمنزل ليجد أن جولسن نامت، وقد حمد الله علي ذلك كثيرا.

- يا ويحي من جولسن عندما تعرف ماذا حدث اليوم وما دار بنظارة الحربية.

ستمطرني بعبارات اللوم كسيل من المطر وتتوقع أسوء ما يمكن أن يحل بنا.

جلس خورشيد يضع السيناريوهات التي سوف تقصها جولسن بالصباح.

- آه يا خورشيد إن الهموم تتزاحم عليك كالضواري التي

أتحدت علي صقر وقع من السماء جريح فأتفقوا عليه كوليمة لهم فكيف له إن يحلم بالطيران مرة أخري؟!

تنهد خورشيد وذهب إلي مقعده في الحديقة بجانب أحواض الجوري ينظر إليها.

فجأة ابتسم وكأنه تذكر شيء أنساه همومه

- الجوري... قالها عارف اليوم بالعربية جوري اسمها جوري من في إسطنبول يسمي ابنته بهذا الاسم؟ هل هي من إسطنبول هل هي عربية؟ لكنتها كان يخالجها شيء ما؟ هل يمكن أن تكون عربية حقا؟؟

ابتسم خورشيد مجددا ورفع رأسه إلي السماء ليجدها منيرة بقمر مكتمل كم يشبها؟!!!

جوري إذن اسمك جوري..... يا المصادفة.

لا أعرف من أنتي يا زهرة الجوري الغريبة التي اجتاحت فكري في هذه الليلة.... أصعب الليالي هذه الليلة أم أجملها ظهورك أربكني لا أعرف حزين أنا أم يملئ وجداني شيء

آخر. أشعر كأنها نسمة عابرة في ليلة صيفية تسري في صدري برفق لتنعشني. أتذكر ابتسامتها أشعر برعشة تسري في شرايين دمي. مرت سنين طواااال من العمر نسيت هذا الشعور.

من أنتي يا زهرة الجوري.

جلس ممددا علي المقعد الخشبي في الحديقة شاردا في السماء لا يعرف أن قدرا يكتب له سيغير حياته شقاء ونعيم في انتظاره، حب وتضحية، أمل ويأس، ميلاد وموت، بداية لكل شيء، ونهايات كثيرة، كل تلك الأقدار كتبت في هذه الليلة ليست له فقط بل لأجيال من بعده.

جوري

فريدة أنتي

لا تشبهين أحد

تشبهين كل الجمال الذي يلون الأرض

تشبهين أشياء لا يمكن أن تري

تشبهين الأحلام والرؤي

لعل هذه الأبيات كانت تختصرها الفتاة الصغيرة التي لا تشبه الأخريات، ليست أجملهم لست أكثر فتنة وسحر، ولكنها دائما كانت مميزة.

جوري هى كنية عنها أكثر من اسم أطلقه عليها والدها اسمها الحقيقي (جولفدان ورد) قد ورثت اسم جولفدان من جدتها لأمها جولفدان قادين الزوجة العاشرة لمحمد علي جوري هي حفيدة لأحد بنات محمد علي .

جولفدان اسم فارسي يطلق على المرأة الجميلة والرقيقة، وهو من الأسماء القديمة ولكن يتميز بمعناه الجميل الذي يصف المرأة وصاحبة اسم جولفدان ذات شخصية أرستقراطية تعتز بنفسها كثيراً وقد يصل إلى درجة الغرور وتهتم بأناقتها وجمالها.

كان والد جولفدان من الطبقة الأرستقراطية في مصر ولكن لم يكن أحد أفراد أسرة محمد علي ولذلك هي ليست أميرة كجدتها.

نشأت جوري وحيدة هي وأمها بعد وفاة والدها وهي ما زالت في عمر الزهور كل ما تبقي من والدها بضعا من الذكريات واسم أطلقه عليها لولعه بالزهور ولذلك أضاف لاسم جولفدان كلمة ورد وهي كلمة عربية لتنتمي إلي أصلها العربي وتعبيرا لحبه للزهور.

جوري... هذه الزهرة التي تحمل اسم أجمل زهور الشرق في مصر كان الجوري هو الورد البلدي كما يلقبه أهل مصر من المزارعين البسطاء، ولدت جوري في مزرعة أبوها في الفيوم هذا البلد ذات الطبيعة الخلابة كان أبوها رغم الثراء محبوب وسط الفلاحين في أرضه لم يكن كغيره من الاقطاعيين، لم يشعر أحد أنه يختلف عنهم كان يتودد للجميع، أحبه أهل البلدة، أما زوجته صاحبة الأصول النبيلة والدماء الزرقاء (زينب هانم) لم تكن تختلف عن زوجها، ابتسامتها الرقيقة وحنوها علي أبناء الفلاحين والاهتمام بهم وبتعليمهم زاد حبهم وتعلق الجميع بها.

كانت(زينب هانم) تشبه كثيرا (فاطمة إسماعيل) في الطباع والهوي وحب الأعمال الخيرية والشغف بالعلم وأهله فلم يربطهم مجرد صلة دم من عائلة محمد علي فقط بل صداقة قوية جمعت بين الفتاتين من نعومة أظافرهم.

كل شيء كان جميلا هادئ أيام تمر بسلام يظلها غمام من السعادة والهدوء.

ولكن هيهات أن تترك الدنيا أحد علي حال زار المرض في يوم أعتاب منزل (عبدالكريم باشا علام) والد جولفدان لم يكن مرض في الواقع بل الوباء أو الشوطة كما كانوا يسموها المزارعين في ذلك الوقت إنها الكوليرا هذا الوباء اللعين لقد ضرب أرجاء البلاد شمالها وجنوبها سمع عنه الجميع عن قري كاملة تفني، وأسر تزول بالكامل من الحياة، هو الرعب الذي عاشه المصريون في ذلك العصر، لم ينج منه عائلة أو قرية أو مدينة، لم ينج منه أمير أو باشا أو أفندي أو فلاح.

أمام الموت الجميع سواسية.

نجت جولفدان ووالدتها من الوباء لحرص عبدالكريم باشا إلي إرسالهم إلي القاهرة، فور سماعه بأول حالة ظهرت وسطت المزارعين في أرضه، خشي عبدالكريم علي ابنته الوحيدة والتي لم يكتب الله له ولزوجته أبناء غيرها، هي كل ما يملك في الحياة إن أستطاع أن يخفيها في جوف الجبل لفعل لحمايتها.

ولذلك بعث بها هي وزوجته زينب هانم إلي القاهرة إلي قصر الأميرة فاطمة إسماعيل، فقصور الأمراء يشرف عليهم فريق كامل من الأطباء ويوجد متابعة لكل الخدم و المساعدين من حولهم، ليتجنبوا وصول الوباء لأفراد الأسرة الحاكمة أسرة محمد علي.

سافرت جولفدان وأمها للقاهرة دخلوا قصر الأميرة فاطمة إسماعيل ضيوف ولكن سرعان ما أصبحوا من أهل الدار أحبت الأميرة فاطمة جولفدان كابنة لها وزاد هذا الشعور، بعد وصول نبأ وفاة عبدالكريم باشا.

استقبلت زينب هانم نبأ وفاة زوجها بصدمة أفقدتها عافيتها وتدهور صحتها سريعا، استدعت الأميرة فاطمة طبيب القصر الطبيب كومانوس ليباشر بنفسه حالة زينب، أهتم كومانوس بزينب بشكل شخصي، حاول أن يخرجها من حالة الحزن التي أدمت بها لعلها تسترد عافيتها.

مع مرور الأيام لم تعد زينب مجرد مريضة عند كومانوس، بل يبدو أنها صارت عشقه الأوحد.

ما أصاب زينب هو الاكتئاب الشديد لوفاة زوجها وكومانوس يعرف أنها لن تبادله يوما عشقه ليس لحزنها علي الزوج فقط ولكن لاختلاف الديانة والجنسية أيضا.

لم يبح يوما كومانوس بحبه هو يتفاني في محاولات علاج مريضته، لكن أثناء ذلك خشي كومانوس أن يبوح حتي لنفسه بهذا الحب، وأي حب هذا الذي لا يوجد له أرض ينبت بها أن الحواجز والسدود بينه وبين محبوبته فاقت المستحيلات السبع في الروايات الإغريقية القديمة التي يحبها، ما بينه وبينها أكثر اتساعا من البحار السبع وأكثر خطورة من العنقاء إما الغول الحقيقي هو أن ينفضح أمر حبه لها لأي إنسان.

أن زينب وإن لم تكن تحمل لقب أميرة ولكنها تنتمي إلي أسرة محمد علي، وإن انفضح أمر حبه لها سيصدر فرمان من الخديوي فورا بإعدامه، أو ربما مات بفنجان قهوة مسموم كمان كان يسمع في أروقة القصر عن تخلص الخديوي من أعدائه بهذه الطريقة.

كل هذه الأفكار كانت دائما ما تخطر علي بال كومانوس في كل ليلة بعد أن يقتله عشقه وشوقه ألف مرة لمحبوبته.

كما أحب كومانوس زينب كان حبه لجوري كان اسم جولفدان صعب نطقه عليه وعلم من الفتاة إن هذا الاسم كان يناديها به أبوها، فأحب كومانوس إن ينادي به جولفدان ربما ليقلل شعور اليتم عند الفتاة، وربما هذا ما يتمناه الرجل أن يكون أبا للفتاة بعد أبوها وأن كان هذا حلم في خياله فقط.

لم تعترض زينب علي تدليل كومانوس لجوري، وجدت فيه العراب لابنتها من بعد أبيها، كما كانت تشعر دائما أنها علي موعد مع الموت قريبا، وقد كانت تثق في كومانوس إنها تستشعر حبه لا يوجد امرأة لا تشعر بحرارة تنبعث من قلب محب وإن أخفى عن العالم أو حتي نفسه، ولكنها كانت تعي ما يعرفه كومانوس جيدا من استحالة هذا الحب، وهي أيضا لا تحب أن تتزوج بعد عبدالكريم لن أتي لجوري برجل غريب يتحكم بها كزوج أم أبدا ابنتي ستظل حرة تحي علي ذكري أبوها وربما أمها فيما بعد.

بدأ كومانوس بتعليم جوري كما طلبت منه زينب هانم، جوري لا تحمل وجه جميل فقط بل عقل أجمل، أن الفتاة من يوم إن أتت القصر وعثرت علي مكان المكتبة به لم تبرح مكان إلا وهي تحمل كتاباَ َمعها إنها نحلة تنهم من رحيق الكتب نهما بلا هوادة أو كلل، أن حبها للقراءة بات ظاهرا للجميع حتي أن الأميرة فاطمة إسماعيل لاحظت ذلك، مما جعلها تهتم لأمر جوري أكثر فأتت للفتاة بمعلم للغة الفرنسية وأخر للإنجليزية وزادت بمعلم للغة التركية.

فصارت الفتاة تتقن خمس من اللغات بعد أن تعلمت الكثير من اللغة اليونانية من كومانوس الذي قام بدور المعلم لها ليدرس لها مواد علمية.

هكذا شبت جوري في أجواء تتنفس علم ومعرفة كما التحقت جوري بالمدرسة السنية للفتيات التي أسسها محمد علي نفسه في السابق، بعد إصرار منها وحروب مع والدتها والأميرة فاطمة حيث أنهما لم يريا أن ذهاب جوري للمدرسة ضروري، حيث أن أبناء أسرة محمد علي يتم تعلمهم في القصور دون الحاجة إلي الخروج إلي المدارس كالعوام.

ولكن جوري أصرت أن تواظب تعليمها في مدرسة كانت تشتاق لمعرفة أجواء الدراسة وسط التلاميذ والزملاء، أحبت أن تذهب إلي المدرسة لتحصل علي صديقات مختلفات في التوجهات والشخصيات. كانت المدرسة لجوري عالم خاص أحبته وانصهرت به.

لم ينسي جوري حبها للعلم والقراءة عن اهتمامات كل أنثي وفتاة أحبت جوري أن يكون لها المظهر المهندم دائما ذا الطابع الخاص الذي لا يشبه الأخريات في الأوساط التي كانت تخالطها جوري، فلم تحب يوما المبالغة في ملابسها بما يدل علي انتماءها الأرستقراطي، بل أحبت أن تختار دائما لنفسها مظهر بسيط ولكنه مميز يتماشي مع شخصيتها، حتي الشعر لم تحب جوري ربطات الشعر التقليدية للأرستقراطيات في ذلك الوقت، بل أطلقت خصلات شعرها يحركه الهواء كيفما أحب.

كأنها أحبت الحياة فأحبتها وأغدقت عليها من الهبات والنعم، لقدّ كانت تؤمن بأن الحياة ستهديها سعادةً كبيرة يوما ما، ولهذا السبب ظلّت تتشبث بالأمل بينما تمر الأيام.

عندما يتصالح الإنسان مع أقداره ويملك الرضا، ينعم بأيامه ليس ضروري قصار أيام السعادة أم طوال ولكن مرورها بحياتنا تعطينا القوة والإصرار علي السعي لتحقيق الأحلام.

فتحت جوري للدنيا قلبها وأملت أن تنصرها السعادة علي الأحزان، فقدت الأب والسند ولكنها صنعت من قوة إيمانها قارب تبحر به عبر الأيام، أخذت من الحب قبسا من النور يضئ لها عتمة ليالي الأحزان.

هكذا كانت جوري يلتفت لها الصديقات وهي متوهجة بالأمل يحبها الكثير ويحقد القليل، ولكنها قدمت الحب للجميع سواء.

كثيرا ما سمعت جملة (أجمل مافيكي إبتسامتك) يسعدها كثيرا سماع ذلك، ولكن لا أحد يدري أنها أيضا تبتسم وهي تبكي، حتي وإن انخدع الجميع في ابتسامة لا تغرب عن وجها كان هناك وجع بداخلها وقلق يكبر مع الأيام، الوجع كان علي فراق الأب والقلق علي أم تذبل مع الأيام.

لم تمر كثيرا الأيام ولكن لا سرور يبقي ولا حزن يدوم. انطفئ شمعة زينب هانم مبكرا وبشكل مفاجأ. لم تمرض يوما واحدا، وإن كانت تعني من شيء للاحظه كومانوس العاشق فورا، وهل يفوته مرض المحبوبة، ولكن زينب فضلت رحيل هادئ مثلها بلا ضجيج، في أحدي الليالي الشتوية رحلت وهي نائمة في سلام تام، كانت تعصف ليلا وترعد يبدو أن رحيلها أوجع حتي الغمام.

ذهبت جوري لتوقظ أمها صباحا لتجدها فقدت دفئ الحياة وفارقت الدنيا بلا عودة وبدون وداع.

كان الحزن مهول وقعت جوري علي الأرض بل وقعت في يم الأحزان، استدعت الأميرة فاطمة كومانوس فورا ليأتي وهو لا يعرف هل يخطو علي الأرض أم ترسله الرياح لم تعد قدماه تتحملان أن تحمله ثقل الجسد عليهما حتي خرت قواه بجانب جثمان زينب، لم يتفحصها كطبيب بل ودعها كعاشق، ما عاد يهم إن لاحظوا دموعه، ما عاد يهم أن اتفضح سره، ما عاد يهم غضبهم، بطشهم، أقوالهم، أفعالهم، لم تعد الحياة تهم

- رحلت زينب... رحلت وتركت خلفها عاشق ماتت الحياة بداخله فرغ الجسد من الروح.

- لما لم أبوح يوما لها؟ هل كانت تعرف؟ هل أصبحت تعرف الآن؟

- يا محبوبتي إن قتيلك عصف رحيلك بقلبه وبعثرته الرياح، قد كنت أظن أن لا ألام بعد الموت ولكن إن الروح تعذب ببعدك عني حبيبتي فراقك أوجعني حتي صوت الآلام يسمع من داخلي لكل من حولي.

الجميع كانوا يروا موت زينب في عيون كومانوس، البعض لم يتفاجأ وأولهم الأميرة فاطمة، والبعض ذهل من دموع كومانوس كأبنتها جوري.

- هذا الرجل أكان يعشق أمي؟! رغم حزني الأبدي علي أمي وانفطار قلبي، ولكن عندما ألقاه أجدني أنا من يعزيه، أن عينيه تفضحه كلما رأني، يتذكرها فتدمع عينه، ويحبس صوته ليخرج الكلمات في صعوبة.

- إن عينه تخجل مني، لعله يراني صغيرة لا أقدر المشاعر أغار علي أمي وذكراها منه ولكن يا عزيزي كومانوس إني أقدرك وأفهم عليك، يا معلمي العزيز لا تخجل اصرخ بما داخلك ودعني أشاطر أحزاني معك، أنا وأنت فقط من نفتقدها لما نخاف من الأخرين.

كانت جوري تتعاطف مع كومانوس وتنظر في عينيه وهو يسرد قصة أو ذكري عم أمها، بل إنها يوما وهو يصطحبها إلي زيارة قبر أمها قالت له.

- أستاذي ومعلمي أنت علمتني أن الحزن والبكاء ليسوا ضعفا يخفيه الإنسان بل هم اسمي ما يعبر به عن المرء عن إنسانيته، فلا تخف أفهم عليك ووضعت يديها علي كتف أستاذها وثم نظرت إلي قبر أمها، وعادت تقول له

- اليوم هي ليست بيننا لتخشي شيء اسمعها صوت بكاءك هذا حقها عليك وحقك أنت علي.

جهش كومانوس في البكاء بعد سماع كلمات الصغيرة جوري لم يكن رجل شرقي يخشي الدموع يوما كان يخشي أن يفقد جوري إن علمت الحقيقة، ولكن هذه الصغيرة كم تملك من قلب كبير يتسع الدنيا وما عليها.

- صرتي فتاة تنتظرك الدنيا لتخط قصتك يا جوري كبرتي يا أميرتي.

- ابتسمت جوري له ابتسامة العرفان بالفضل وابتسامة المواساة.

أنصرفا جوري وكومانوس في هذا اليوم بعد أن تعاهدا ألا تنتهي علاقتهما بموت زينب ستستمر بقوة أكثر من مجرد فتاة وأستاذها ربما تستمر كأبنة وأبيها.

مرت الأيام وجوري في بيت الأميرة فاطمة إسماعيل أصبح الجميع ينظر لها أنها ربيبة الأميرة وابنتها المتبناه كانت جوري تتقدم في دراستها بشكل أبهر الجميع وكانت دائما حديث المدرسة السينية.

الفتاة لا تتعلم كوجاهة اجتماعية مثل أقرانها من هذه الطبقة بل إنها تنهل العلم بنهم بلا توقف وبإصرار يفوق الصبية والرجال.

كان عم جوري (شريف باشا علام) يتابع أخبارها ويتردد علي قصر الأميرة فاطمة كان يتمني أن يأخذ جوري لديه لتتربي وسط أبناء العم ولكن الأميرة فاطمة رفضت ذلك.

لعلها بما تحمله زوجته من حقد وكراهية لزينب يمكن أن تجعلها تسئ جوري أو جولفدان كما كان يناديها عمها.

كان الرجل لا يستوعب تعليم الفتيات وخروجهن من منازلهن لتلقي العلم، وكان هذا الفكر سائد في المجتمعات الشرقية ككل فبناته قد تزوجوا في مثل عمر جولفدان تقريبا وأنجبنا الأطفال، لم لا تذهب هذه الفتاة إلي بيت زوج ميسور الحال لكي يطمئن قلبي عليها ويتحمل مسؤليتها زوجها أمام الناس، فلقد كان يجد من أقاربه كلمات اللوم عليه لتخليه عن الصغيرة ووضعها في قصر إحدي بنات الخديوي إسماعيل، الكلام والحديث عن الأميرات بنات إسماعيل كثير هن لم يتم تربيتهم كبنات المجتمع الشرقي لقد كلف إسماعيل مربيات فرنسيان وانجليزيات بتربية بناته منذ الصغر، ليشبن لا يشبهن الشرقيات في شيء كل منهن تمتلك عربة مخصصة لها تخرج بها من القصر ذات ستائر سوداء لا يعرف من بداخلها يجرها الأحصنة تتجول بهن الأميرات في أنحاء المحروسة، والجميع يتكلم منذ متي كان للنساء مثل هذه العربيات.

وأيضا هذه الصالونات الأدبية التي عرفت بتحضيرها الأميرات للشعراء والأدباء بل سمع أن هذه الصالونات كانت لا تخلوا من الطرب والغناء أيضا، كل ذلك كان يقلق شريف باشا كثيرا كان يتمني زواج زينب بأسرع وقت.

ولكن كانت الأميرة فاطمة له بالمرصاد لا زواج إلا بعد أن تنتهي هذه الفتاة من دراستها وتبقي علي طريق العلم كيفما شاءت، لم يكن شريف باشا بالقوة لمجابهة أميرة من أسرة محمد علي فما كان منه غير الانسحاب في هدوء عند كل مرة يحدث الصدام.

لم تكره جوري في يوم العم نظرت له إنه الذكري الوحيدة المتبقية من أبيها كانت تقول لأتحمل كلماته وتعنته في أراءه ولكنه يظل عمي أشعر بالدفيء عند كل معانقه له لي بعد نقاش حاد وصراخ منه ولكنه لا ينسي

أن يضمني إلي صدره كل وداع، ليترك لي رسالة إنه خوف عمك عليكي يا ذكري أخي الوحيد.

- ترك عبدالكريم علام لجوري إرث لا بأس منه شاركها بالطبع عمها وتركت الأميرة فاطمة إدارة الإرث لشريف باشا كمقابل لوجود جوري بقصرها.

ورغم علم العم أن زواج جوري سيجلب له رجل يقاسمه أملاك أخيه ولكنه كان يتمني زواج جوري رغما عن ذلك.

أما عن كومانوس فحزنه علي زينب أصبح يطارده فداخله يعتصره الألم ومن حوله العيون تترقب والألسن تتحدث، حتي استدعته الأميرة فاطمة إسماعيل يوما إلي لقائها بالقصر ذهب كومانوس وهو يعرف عن ماذا ستحدثه الأميرة فاطمة، إنه رجل ذكي وقد علم من حياته وسط المصريين ما يدار خلف الأبواب من نميمة وثرثرة.

- ذهب كومانوس وهو مستعد لمواجهة الأميرة ليوجه الخدم إلي الصالون حيث كانت تنتظره الأميرة فاطمة.

- مرحبا بطبيبنا الوفي كومانوس

- أهلا بسموك لعل الأمر خير هل صحتك بخير

- أنا بخير يا كومانوس والجميع بخير، ولم استدعيك اليوم كطبيب.

- نظر إليها كومانوس وقد أصبح متأكد من سبب الاستدعاء

- كومانوس أنت تعرف مكانتك في العائلة أنت من يوم أن أتيت إلي مصر بصحبة والدي الخديوي إسماعيل صرت جزء من كيان قصر أسرة محمد علي أصبحت تحتل مكانة لم يصل غيرك إليها من الأجانب والأوربيين أمثالك.

- لاحظ كومانوس ذكر الأميرة إنه أوربي مرت سنين طوال عن ذكر أنه أوربي قد منحه الخديوي إسماعيل الجنسية المصرية منذ زمن ولكن إن الحقائق التي يضمرها البشر في ضمائرهم تظهر وسط الأزمات دائما.

- أكملت الأميرة الحديث ولكن يا كومانوس أنني لم أرغب يوما أن تصل الأمور بيننا إلي ذلك، لقد ذهبت إلي أبعد الحدود والتمادي بتناسي من تكون.

- أنا لم أنسي من أكون يوما سموك

- بل نسيت أو تناسيت عندما وضعت عينك علي أحدي نساء أسرة محمد علي. - لم يحدث ذلك سموك في يوم أنا طبيبكم الوفي أقسمت للخديوي علي الوفاء والاخلاص فكيف أخون الأمانة.

- وماذا تقول عن زينب هانم؟

- فليتغمدها الرب بالرحمة ماذا عنها غير كل احترام وتقدير مني لها، لم أسأ الأدب يوما ولو فعلت ما كانت تعهد لي بتدرسي ابنتها الوحيدة بل الاشراف علي تربيتها؟ وزينب هانم كانت مثلا للاحترام.

- أنا أعرف صديقة عمري جيدا يا كومانوس وابنه عمومتي أيضا ولكن أتحدث عنك، لماذا تقوم بزيارة قبرها أسبوعيا وأحيانا يوميا لما صورتها معلقه علي جدار منزلك؟ لم الدموع أمام الرجال عند ذكرها، نحن الشرقيون يا كومانوس لا نسمح بذلك وأنت تعلم جيدا. أخشي ما أخشاه أن يصل مثل هذه الأقوال إلي شريف باشا وهو رجل تعرفه رجعي متعصب، فيجد الزريعة لانتزاع جولفدان مني.

- أعلم أعلم جيدا ولا يمكن أن اسئ إلي زينب هانم حية أو ميتة إن كانت حياة كومانوس مقابل ذكراها فليذهب كومانوس للجحيم سموك.

- لا ليس للجحيم كومانوس اذهب إلي إسطنبول. عندما ذهب أبي إلي هناك قام بعمل وقف خيري بالأستانة عبارة عن بيمارستان، وقد أُهمل هذا الوقف بعد وفاته، طلبت أن يصدر لك مرسوم بإدارته والإشراف عليه، وهكذا لن يراك الناس هنا وستنسي قصة أحزانك علي زينب بعد رحيلك عن مصر.

- سمع كومانوس كلمات الأميرة وكانت تقع عليه كالأحجار أو أثقل هل أرحل عن مصر قد صارت لي وطن يحمل في باطنه رفات الحبيبة هل يرحل المحب عن محبوبة بإرادته؟! ولكن ليكن إن هذا سيكون آخر تضحيات عشقك يا كومانوس ألقي بنفسك في جحيم الغربة بإرادتك الحرة فداءاً للمحبوب.

- وبعد تنهيدة رجت أرجاء المكان سيدتي أنا علي استعداد أن أفعل أي شيء يكون فيه حفاظا علي ذكري زينب هانم ويخدم مصلحة جولفدان، سأرحل ولكن هل لي أن أودع جوري

- بالطبع سأذهب لأرسلها لك ولا داعي بالطبع أن تعرف شيء عن حديثنا هذا.ودع كومانوس جوري في هذا اليوم وتبادلا العهود علي ألا ينسي أحداهما الأخر فلقد صارا ابنة وأبيها.

- سأراسلك يا جوري دائما ابعثي لي أنت أيضا أخبارك.

- سأفعل لا أدري كيف ستمر الأيام علي وحدي أنت أيضا ستذهب ألا يكفي أبي وأمي

- ليس بيدي يا ابنتي الجميلة أنه تكليف وواجب نحو الأسرة الحاكمة ويجب أن أقوم به

- وداعا.... لن أنساك أبدا.

الحقيقة

أشرقت الشمس لتعلن عن يوم أخر في حياة خورشيد.... كم يعني الصباح له من أشياء لا أحد يعلمها غيره، الصباح يحمل لخورشيد كل الذكريات الطفولة الجميلة مع جده، الصباح كان يحمل قبلة علي جبينه من أمه، الصباح كان الموعد لرؤية المحبوبة، الصباح في حياة عبدالله خورشيد يحمل الكثير من الذكريات، أنه بمثابة ترياق الحياة الذي يرتشف منه يوميا ليعينه علي الاستمرار.

خرج خورشيد مبكرا كالعادة ربما كان ليتجنب رؤية جولسن وإلحاحها في معرفة ما الذي ينويه، هو نفسه لا يعرف إنه غارق في أعماق بحر من الهموم والأفكار.

لم ينسي خورشيد أن يقف أمام البوسفور ليملئ صدره من عبق رائحة البحر ونسيمه، ولكنه اليوم ارتسمت ابتسامة علي وجهه لاحظها حتي سائقه، فلقد مرت جوري بخياله بابتسامتها.

لا يعرف ما الذي جذبه لها تحديدا وكيف يجد وقت لنفسه أن يفكر في فتاة وهو في هذه المواقف العصيبة، ولكن جاءت ابتسامتها لتأكل الهم أكلا، الفضول يقتله لمعرفة من هي ربما أجد الوقت اليوم للمرور علي كومانوس لسؤاله.

- ماذا أقول للرجل من هي ضيفتك بالأمس، وماذا لو كانت

أحدي أقرباؤه لا يصح، ربما أجد طريقة أخري ولكن يجب أن أعرف ابتسم مجددا وهو يتعجب من نفسه ركب خورشيد العربة ليتوجه إلي الوكالة وما إن وصل حتي وجد ورقة قد وصلت من نظارة الحربية بالمتطلبات والمؤن التي بدت أنها لم تكن للجيش فقط فالبنود التي جاءت في المتطلبات لا حاجة بها في الجيوش مثلا... توابل هندية وبخور ومسك

وأنواع من الحبوب مثل الحمص والفاصوليا الحمراء وغيرها من أشياء لا تبدو أنها متطلبات مؤن لجيش يخوض المعارك وسط البحر الأسود أبدا.

إنها طلبات لكبار الضباط بالنظارة ومن الممكن أن بعضها سيصل إلي قصر السلطان أو الحاشية.

تنهد خورشيد وطبق الورقة ليضعها بجيبه لينظر إليه أحد الموظفين متساءل

- هل نبدأ بإعداد القائمة من المخازن

- يا بني إن أعددنا هذه القائمة اليوم سيأتي بغيرها غدا يحمل ما هو أثمن وأكثر، هل أفرغ مخازني لأضعها علي أعتاب هؤلاء العصابة.

- صمت الموظف وهو يري الحسرة في عين خورشيد

لم يجد خورشيد مفر من مواجهة جولسن فهي تقاسمه التجارة بمال أبيها ويجب أن تأخذ معه القرار، فخورشيد لم يكن رجل مستبد برأيه وإن كان رجال عصره لهم الحق في اتخاذ القرار حتي في مال الزوجات، ولكنه مختلف يراعي الله في مال الزوجة ويتعامل أنها أمانة عنده.

قرر خورشيد العودة مبكرا إلي المنزل ليتشاور مع جولسن، عاد في غير وقته وعندما فتحت له الخادمة الباب سمع صوت يعرفه من الصالون إنها (أيسون) ابنة آردال اوغلو.

يا للوقاحة جاءت بعد ما فعله أبوها لا عجب إنهم لا يخجلون أبدا لكن أظن أن جولسن ستسمعها كلم.

لم يتعمد خورشيد أن يسترق السمع بل كان الصوت واضح وجلي

- عزيزتي جولسن أنا لا أعرف ماذا أقول لكي أصبحتي في موقف لا تحسدي عليه

- نعم لا أصدق ما فعله خورشيد بي وبنفسه، إنه لا يعنيه شيء غير الدفاع علي هؤلاء العرب التي أتت أمه منهم، أحيانا أحمد الله أن توفاها قبل أن أتزوجه كيف لي وأنا ابنة عائلة مثل عائلة صابانجي أن أتعامل مع أمثالها، لقد سمعت من أبي وهو يقص كيف فرضت علي عمتي ولولا حبها لحفيدها لطردتها بعد موت والده.

- أنتي من أخترتي خورشيد يا جولسن، كم حذرناكي كثيرا ولكنك أصررتي علي الزواج منه.

- أنت تعلمين لماذا تزوجته، إنني ابنة وحيدة لأبي، إن تزوجت أبن أحد عائلات إسطنبول ضاعت سيطرتي علي تجارة أبي وانصهرت في مال زوج، ولكن خورشيد ليس له هنا عائلة غيري وظفه أبي لإدارة التجارة ولكن تحت سيطرتي الكاملة، هو يعرف ممن تزوج جيدا وأنا لا أترك له مجالا لينسي.

وقع الكلام علي خورشيد وقع جبل علي رأس رجل أعزل، هل هكذا تنظر لي زوجتي أم أبنائي عامل أجير عندها، إنني أملك من التجارة ما يقرب من نصفها أو يزيد أنا من أسست هذه الوكالة واشتريت أضعاف مخازن أبوها تلك.

لم يستطيع خورشيد أن يسمع مزيدا من الحديث خرج إلي الحديقة يبحث عن ورد الجوري لعله يجد أنفاس عنده تغيثه فلقد ضاق صدره واختنق.

وبعد فترة لم يستطع حسابها خورشيد من كتر ما ألم به من ضيق خرجت أيسون تركب عربتها ورحلت عن القصر، ليدخل خورشيد مرة أخري يدعي أنه أتي للتو.

استقبلت جولسن خورشيد بتجهم بعد أن أخبرتها أيسون بما حدث في نظارة الحربية

- أيسون اوغلو كانت هنا وخبرتني أنهم استدعوك في نظارة الحربية بالأمس كيف لك ألا تخبرني بأمر مثل ذلك.

- أسف سيدتي عبدك قد نسي أن يقدم لكي تقريرها مفصلا عن يومه بالأمس

- هل يمكنك المزاح بعد كل الذي حدث يا خورشيد ألا يكفيك ما فعلت بنا؟ ألا تشعر بشيء من المسؤولية؟

شعر خورشيد بضيق أكثر في صدره كادت أنفاسه أن تكون متقطعة، الكلام لا يستطيع أن يخرج منه.

- نعم أشعر يا جولسن بالندم بالطبع ولكن ليس الندم علي ما قلته لذلك التافة الواشي قريبك أردال أغولو ولكن أشعر بالندم لعدم معرفتي بالحقيقة طوال هذه السنين.

- عن أي حقيقة تتكلم أنت الآن؟

- عن حقيقة زواجنا ألم تتزوجيني لتضعيني عبدا مخلصا يحرس مالك ألم تتغاضي عن نسبي غير اللائق بعائلة صابانجي بسبب رغبتك بإدارة مالك.

- فهمت جولسن أن خورشيد قد سمع ما دار بينها وبين آيسون

إذا أصبحت تتسمع علي أحاديث النساء أيضا يا خورشيد.

- عذرا سيدتي لا يليق بعبد مثلي أن يفعل ذلك ولكن صوتكم كان يسمع كل الخدم بالمنزل فسمع عبدك هو أيضا.

- لا بأس أنك سمعت إذن لتعرف أن مالي وتجارة أبي ليست بالشيء الهين الذي سأخسره بسبب هراءك وكلامك الغير متزن.

- إذن أصبحت رجل غير متزن في نظرك أيضا ولماذا إذن الاستمرار مع رجل فاقد لكل الأهلية مثلي؟

- نظرت جولسن لخورشيد بغضب اتهددني بالطلاق يا خورشيد

- بل أحررك من رجل لا يليق بك.

- أنا جولسن صابانجي يا خورشيد وأمثالك لا يستطيع تهديدي

- وصل الأمر عند خورشيد للذروة لا يستطيع تحمل أكثر من هذا أخرج ورقة نظارة الحربية من جيبه وأعطاه لجولسن.

هذا الدين يكون من الجزء الخاص من مالي في تجارة الوكالة بعد ذلك ستتم تصفية التجارة وفض شراكة ما بيننا لكي لا تتأذي أكثر من هرائي

- أدركت جولسن أن خورشيد لا يتكلم فقط بل هو عازم علي الأمر

فض الشراكة ماذا تعني شراكة التجارة أم كل شيء؟!

- ما ستشائين سيحدث يا جولسن ولكن ما بعد هذا اليوم لم يعد بيننا في الحقيقة غير المال والتجارة وسأعمل جاهدا علي انهاءهم في أسرع وقت.

ترك خورشيد المنزل وذهب إلي الوكالة مرة أخري ليستدعي القائمين علي حسابات التجارة ليعلمهم أنه عزم علي إنهاء الشراكة مع عائلة صابانجي.

ذهل الجميع وحاولوا إثناء الرجل عن قراره ولكنه كان يبدو عليه الإصرار بما لا يدع شك في إنه لن يتراجع أبدا عن قراره.

مضي اليوم كله وسط دفاتر الحسابات في الوكالة حتي أنهك موظفيه وظهر علي الرجال الضجر والتعب فأذن لهم خورشيد بالانصراف.

جلس خورشيد وحيدا في الوكالة وقد أتي المساء وهو لا يحب العودة لقصر صابانجي مجددا فكر كثيرا بأي باب يترك وهو لا يملك في الحقيقة صديق حقيقي في هذه المدينة الكبيرة.

قفز بالطبع في عقله كومانوس هو رجل أعزب ويحيي بمفرده يمكنني أن أذهب له أن قصصت عليه ما حدث سيقترح هو علي الإقامة عنده الليلة ولكن ماذا عن ضيفته ربما كانت مقيمة عنده؟ تسأل خورشيد ولكنه لا يملك خيارا أخر غير كومانوس.

سأذهب وأري ماذا سيكون.

ذهب خورشيد وهو في حيرة من أمره يخالجه القلق والخجل ولكنه لم يكن في حاجة إلي مكان غير قصر صابانجي ليقضي به ليلته فقط بل كان في حاجة إلي أحد يسمعه يحتويه يشاركه أفكاره، في أول الأمر فكر خورشيد في الخان الذي يسكن به الفرنسيان أصدقاؤه لويس وسبستيان ولكن إن الأخبار تنتشر في اسطنبول سريعا لو عرف أنه يقيم في خان ستنال الشائعات جولسن زوجها الهارب من بيته والمقيم بالخان كالأغراب .

حتي وإن عزم خورشيد علي الانفصال من جولسن سيكون حريصا دائما علي ألا يؤذي مشاعرها حتي ولو قتلته حقيقتها اليوم ولكن من أجل سنين طوال عاشها معها لن يؤذيها أبدا.

وصل خورشيد إلي منطقة زيرك بعربته ذات الحصانين ثم سار علي قدميه هذه الطرقات ليصل إلي منزل كومانوس .

وقف خورشيد أمام المنزل مترددا في طرق الباب ولكن داهمه عارف محدثا إياه

- اهلا بخورشيد بك لماذا تقف هكذا؟

-اهلا عارف هل كنت بالخارج في هذا الوقت تاركا الطبيب كومانوس وحيدا

- لا فجوري بالداخل معه ذهبت لأحضر له الدواء من البرميستان فلقد أعد له أحد الأطباء دواء مسكن له تعلم عظام الرجل تؤلمه كثيرا هذه الأيام.

- من تكون جوري؟

- هي ضيفة الطبيب من مصر هي بمثابة ابنة له

- ابتسم خورشيد إذن جوري ليست يونانية هي عربية وأغلب الظن مسلمة أيضا

فتح عارف الباب لخورشيد مرحبا به ولكن تراجع خورشيد قليلا بعد أن عرف أن بالمنزل سيدة الآن.

فطلب من عارف أن يعلم كومانوس بوصوله أولا حاول عارف أن يرفع الحرج عن خورشيد ولكنه ظل متمسكا برأيه دخل عارف إلي داخل الدار ليأتي ومعه جوري نفسها

- تفضل خورشيد بك لا داعي للانتظار بالخارج العم كومانوس ينتظرك قالتها وهي تبتسم وتنظر إليه كأنها علي معرفة مسبقة به لم يكن خورشيد سمع صوتها من قبل كان صوتا عذبا يملؤوه اللطف كانت تتحدث التركية بطريقة تختلف عن أهل البلد ولكنها نطقها في التركية كان محببا ولطيف بالنسبة له .

دخل خورشيد يتبع جوري إلي أن وصلا غرفة كومانوس لم يدخلها خورشيد من قبل ولكن يبدو أن العجوز هزمه المرض هذه المرة قد بدي عليه من المرة السابقة أن أحزانه هي علته الحقيقية .

تمدد كومانوس علي الفراش وبدي في حالة إعياء تام إنه يلتقط أنفاسه بصعوبة ولكنه عندما رأي خورشيد تبسم مرحبا به ونظر إليه هو وجوري وعاد ليبتسم مرة أخري .

- كيف حالك يا خورشيد يبدو أن شيء ما حدث.

- ولم لا تقول أنني أشتقت لك يا رجل.

- ضحك كومانوس إنك لا تأتيني أبدا يومين متتاليين هكذا إلا أن يكون حدث أمرا جديدا.

- نظر خورشيد إلي جوري ثم عاد ليكمل حديثه مع كومانوس وكأنه يخبره أنه لا يوجد مجال للتحدث أمام الضيفة.

لاحظت جوري ارتباك خورشيد فتعللت بتأخر الوقت وأنها يجب أن تعود لمنزل جولنار هانم لكي لا تقلق السيدة عليها استدعي كومانوس عارف لكي يصطحبها إلي منزل جولنار .

وهمت لتودع خورشيد وتعبر له عن سعادتها للقائه وأكملت حديثها

- سعدت بلقائك خورشيد بك وكم كنت سابقا أتمني رؤياك فالعم كومانوس كثيرا ما كان يحدثني عنك في خطاباته لي .

- ابتسم خورشيد وبادلها المجاملة السعادة لي ثم نظر لها متسأل جوري هانم أليس كذلك؟

ضحكت جوري بعفوية ثم عادت لتضع يديها علي فمها لعلها ضحكت بشكل مبالغ نظر لها خورشيد متعجبا.

- لتسارع بتوضيح الأمر لا يليق اسم جوري بأن يأتي بعده هانم وهو اسم أطلقه علي ابي لحبه للزهور ومن بعده كان عمي كومانوس يدللني به اسمي جولفدان ورد تشرفت بمعرفتك خورشيد بك

- ورد بالعربية هو الزهور أيضا يبدو أن الجميع رأي أنك تشبهين الزهور .

- أحمر وجه جوري كزهرة جوري حمراء ما قاله خورشيد يقترب من الغزل

انصرفت جوري دون أن تحاول أن تنظر مرة أخري إلي خورشيد خرجت جوري من بيت كومانوس بصحبت عارف واستقلا العربة لمنزل جولنار هانم كان جوري في حالة صمت كامل لم يعتاد عارف عنها ذلك فمنذ أتت إلي اسطنبول وهي ترهقه يوميا بالسؤال علي كل مناطق اسطنبول الأثرية ومساجدها وأسواقها القديمة لم يمر يوما إلا وذهبت مع عارف إلي منطقة جديدة بإسطنبول قد سمعت بها من الأميرة فاطمة أو اقترحت عليها جولنار أن تزورها.

كانت جلنار هانم هي زوجة القنصل المصري في اسطنبول وهي أيضا صديقة للأميرة فاطمة التي كافأت جوري برحلة إسطنبول بعد حصولها علي البكالوريا وهو شهادة اتمام المرحلة الثانوية في هذا العصر ولم يكن معتاد في المجتمع المصري علي حصول البنات علي مثل هذه الشهادة المتقدمة فلقد كان معظمهن يكتفين بالحصول علي شهادة الثقافة لتسمي الفتاة متعلمة فحسب .

لكن جوري لم تكن كذلك هي تعشق التعليم والعلم ولا تنظر لهما نظرة اكتمال واجهة اجتماعية فقط بل هو حب وشغف.

- إنه رجل صالح

قاطع عارف صمت جوري الغير معتاد

التفتت جوري إلي عارف في اندهاش

- من تقصد؟!

-خورشيد بك

- شعرت جوري بالخجل هل حقا كان واضحا عليها الاهتمام بالرجل إن اهتمامها مجرد فضول طلما ذكره كومانوس في رسائله وكانت تتوق شوقا لرؤيته أعلم ذكر العم كومانوس الكثير عنه في رسائله

ردت جوري في خجل.

وصلت العربة إلي بيت القنصل ودعت جوري عارف فأكد عليها سيمر عليها غدا ليأخذها إلي العم كومانوس .

دخلت جوري لمنزل القنصل لتجد جولنار في انتظارها وقد انتابها القلق علي جوري فهي أمانة الأميرة فاطمة لديها ويجب أن ترعاها جيدا في الغربة، سألت جولنار جوري عن أحوال الطبيب العجوز اليوم وما الذي جعلها تتأخر.

- سردت جوري لجولنار تفاصيل اليوم وكيف أنها اضطرت لأن تمكث مع كومانوس حتي يأتي عارف بالدواء ثم انتفضت جوري بتنهيدة وقالت لجولنار ثم أنني رأيت هذا خورشيد أخيرا.

- تقصدين عبد الله خورشيد كايا

- نعم هل تعرفيه؟ وكيف توقعتي من يكون؟

- طلما قابلته عند كومانوس إذن هو عبد الله خورشيد كايا لم يخالط كومانوس من يوم مجيئه إلي هنا أحد غير خورشيد بك هو صديقه المقرب في اسطنبول، ذكر لي زوجي أن كومانوس عندما جاء الي أسطنبول منذ سنوات لم يخالط أحد ولم يندمج مع المجتمع هنا، رغم أعماله الخيرية الكثيرة ورعايته لكثير من المرضي ولكن لم يراه أحد في أي من المناسبات أو المحافل هنا ولكن تغير هذا بعد معرفته بخورشيد يقال أنه يتعلق به كأبن له، مسكين هذا العجوز سيموت وحيدا ليس له أبناء ولا زوجة.

حزنت جوري من حديث جولنار لا أنه ليس وحيدا أبدا وله أبنة تحبه هي أنا، كلانا أخذت مننا الدنيا الأهل ولقد عوضنا الله ببعضنا البعض.

- تأثرت جولنار بكلام جوري وشعرت أنها لامست جرح الفتاة فحاولت التخفيف عنها، أنت لست مثله يا جوري أنت تعيشين في بلدك وسط عائلتك، يوجد لديك الأميرة فاطمة وعمك شريف باشا، كومانوس يوناني يا جوري أتي من بلاد غربية وأخذته الحياة بدروبها فمرة إلي مصر وأخري إلي هنا في تركيا، لا تقارني نفسك به.

- لم يعجب الكلام جوري ولكنها فضلت الصمت علي أن تشرح ما بداخلها من غربة وحزن بعيدا عن كومانوس، هو فعلا بمثابة الأب لها.

- استكملت جولنار كلامها خورشيد كايا هو أيضا غريب عن هنا سمعت أنه من الأناضول هل تعرفت عليه؟ كيف يبدو؟

- يبدو مختلفا عن الجميع هنا يوجد به شيء مألوف بسيط وغير متكلف عندما تكلمت معه شعرت أنني أعرفه منذ زمن كأنه لم يكن أول لقاء ربما لأن العم كومانوس حكي لي عنه كثيرا في رسائله.

- -هل حقا مثلما يقولون أنه وسيم جدا؟

- أعتقد أن ما بداخله أكثر جمالا.

- هنا ضحكت جولنار بشكل أخجل جوري وقالت ومن أين عرفتي يا صغيرة ما بداخل الرجل؟

- شعرت جوري بالحرج مرة أخري.

- أعتقد ذلك أنا أثق كثيرا في حدثي وما أشعر به تجاه الأخرين.

- لا أدري ما حدثك به حدثك هذا ولكن هو بالتأكيد رجل بائس تعيس.

- كيف عرفتي ذلك؟ هل تعرفينه من قبل؟

- لا داعي أن أعرفه لأعرف أنه تعيس يكفي أنني أعرف جولسن هانم زوجته.

- هل تعرفينها؟

- نعم ومن لا يعرف جولسن أي أحد أعتاد أن يحضر هنا حفلات رسمية يعرف جولسن صابانجي المتعجرفة جيدا هي تحب حضور مثل هذه الحفلات المملة كثيرا امرأة وصولية امرأة تعيش لنفسها لا تري في العالم غيرها الجميع يشفق علي زوجها فهذا المخلوق الأسطوري جولسن لا تطاق ولكن يقولون أن زوجها يختلف عنها اختلاف الخير عن الشر ويبعد عنها بعد السماء عن الأرض .

- هل يمكن أن تكون زوجة رجل مثله هكذا؟ أمر محزن حقا .

- نعم يا جوري أنت ما زلت صغيرة ستعرفين أن الحياة لا تكون جميلة دائما كالروايات التي أعدت أن تقرأيها.

- ذهبت جوري إلي غرفتها ولكنها لم تنم هذه الليلة كانت الأفكار تتزاحم في عقلها ولكن كان هناك فضول يقتلها تجاه خورشيد لقد واجهت نفسها بحقيقة واحدة هي اهتمامها المبالغ به ولكن لماذا الاهتمام برجل مثله متزوج في منتصف العمر لم تراه عيناها إلا مرتين كل هذه الأسئلة ظلت تدور في عقلها إلي أن داهمها النوم .

أما في منزل كومانوس كانت الأجواء تختلف فلقد قص خورشيد علي كومانوس ما كان من جولسن وشعر كومانوس بالأسف الشديد علي حزن خورشيد أنه يشعر أن عمره ضاع هباء كيف لم يفهم جولسن يوما أنه يعرف كل مساؤها ولكن لم يتخيل أنها تزوجته فقط حفاظا علي تجارة والدها.

ظلا يتبادلان الحديث لوقت طويل ولكن بدي أن الحزن قد رسم علي وجه خورشيد فقد أسلوبه الساخر في الحديث فأحب كومانوس أن يخفف عنه.

ـستمكث هنا معي يا خورشيد لا داعي للرجوع إلي قصر صابانجي الآن ستتصادم مع جولسن هانم وسيؤذي ذلك الأولاد هل فكرت يا خورشيد متي ستخبرهم أنك عزمت علي الانفصال عن أمهم؟

- لم أفكر غير في ذلك طوال اليوم ولكن أن قررت الرجوع إلي الأناضول سوف أخبرهم بالعودة معي أو المكوث هنا مع أمهم.

- لا أظن أن هذا قرار سليم سوف تشتت أفكارهم أنت هكذا تخيرهم بينكما أنتم الأثنين، وهذا لأمر عصيب علي صغار مثلهم.

- ماذا أفعل إذن هل أرحل دون مبرر وأترك جولسن ترسم لهم أحدي قصصها عني الأب الأناني الذي تخلي عن أبنائه .

- لا تتكلم معها هي أنك تريد نقاش الأمر مع الأولاد يجب أن تخبرهم أنك ترغب في العودة إلي أرض أجدادك ولكن حفاظا منك علي سعادتهم والتي ستكون مع أمهم ستتركهم لفترة لتعود لتخيرهم مع من يحبون الإقامة وهكذا لا تفقد أولادك يا خورشيد

- ابتسم خورشيد ليس لرأي كومانوس الحكيم ولكن ليخبره كم كنت ستصبح أب جيدا عزيزي؟ ألم تفكر يوما بالزواج؟

- الزواج .. لا أنا حتي لم أبح بحبي يوما للمرأة الوحيدة التي أحببتها .

- أحببتها، إذن أحببت يوما لماذا لم تتزوجها؟

- لم يكن مسموح أن أحبها فما بالك أن أتزوجها

وقف كومانوس مستندا علي عصاته وطلب من خورشيد أن يأتي معه سار خورشيد مع كومانوس وهو يصعد الدرج الخشبي القديم في منزله كان يبدو أنه يصل لعلية المنزل وبعد أن أنتهي من السلم وجد بابا خشبي عتيق فتحه كومانوس ليدخلا الغرفة كانت عبارة عن مرسم صغير وبعض اللوحات مسنودة علي الحائط والأخري معلقة كانوا جميعا لامرأة واحدة، تفحص خورشيد اللوحات بعينه ثم نظر إلي كومانوس، هل أنت من رسم هذه اللوحات؟

- نعم أنا هل أعجبك رسمي؟

- نعم كثيرا لم أكن أعرف من قبل أنك ترسم، ومن هذه السيدة حبيبتك؟

- حبيبتي تخيل لم أجرأ يوما أن أشير إليها حتي في خيالي بلفظ حبيبتي .

- ولما؟

- لأنها ليست يونانية مثلي يا خورشيد هي تعتبر من أسرة حكام مصر .

- مصرية مسلمة من الأسرة الحاكمة إذن يالا تعاستك ألم تجد غيرها لتحبه.

- نعم أنا كومانوس أغسطس اليوناني الكاثوليكي أحببت زينب غالب المصرية المسلمة حفيدة سلالة أسرة حاكمة أحببت المستحيل... قالها وعيناه قد أمتلئت بالدموع .

- ألم تجد غير هذا الاختيار يا رجل؟

- وهل يوجد في الحب اختيارات أنه قدر نولد به مكتوب علينا نمضي في طريقه من غير إرادة منا ولا اختيار الإنسان مخلوق مخير في كل شيء إلا العشق هو مسير في طريقه وقد أنتزعت منه إرادته فيسير علي هذا الدرب عبد لعشقه بلا قيود.

- يبدو لي أنه عشق حقيقيا وإلا ما كان ليحي إلي الآن نظر خورشيد إلي الصور مجددا، وقال وأين هي الآن؟

- بالطبع في جنات الله.

- هل ماتت؟ قالها خورشيد في أسي.

- نعم قبل أن أتي إلي إسطنبول.

- إذن أتيت هربا من ذكراها.

- وهل يهرب المحب من ذكري المحبوب يا خورشيد أنها تحيي هنا وهنا وأشار إلي قلبه وعقله.

- عاد خورشيد ليتفحص اللواحات مرة أخري ولكنه وقف عند احداها كانت زينب مرسومة بشعر ينسدل علي كتفيها فبدت تشبه جوري بل قاربت أن تكون هي .

- هذه الصورة تشبه جوري كثيرا هل هذه جوري؟؟

- لا إنها أمها زينب غالب.

- هنا أدرك خورشيد أن جوري هي أبنة من يعشقها كومانوس فنظر له في زهول

- فرد عليه كومانوس والد جوري قد توفاه الله قبل أن ألتقي بهما.

- أذن هذا سر تعلقك بجوري.

- لا إن جوري أبنتي أشعر بذلك حقا حتي وأن لم تكن أبنة زينب.

بعد ذلك اصطحب كومانوس خورشيد للغرفة التي سيمكث فيها خلال إقامته في بيت كومانوس فشكره خورشيد علي ذلك كثيرا وتمني له نوما هنيئا.

ولكن خورشيد لم ينم بعد ذلك اليوم الطويل بل وجد نفسه يفكر في هذه الصغيرة الأتية من بلاد النيل تعجب من نفسه هل هذا يتناسب مع ما أمر به الآن ولكنه واجه نفسه بالحقيقة في جوري شيء يجذبه دون إرادة منه.

إسطنبول

أستيقظ الجميع متأخرين في منزل كومانوس حتي أن عارف وجد صعوبة في أن يوقظ الرجال فصاح في منتصف الدار قاربت الظهيرة لن أعد فطورا بعد ذلك الوقت .

أستيقظ خورشيد ليعد نفسه للخروج وتذكر أنه يجب أن يذهب إلي البيت ليفعل ما أشار عليه كومانوس وليحضر بعضا من ثيابه يبدو أن الإقامة ستطول هنا.

كان عارف قد أعد فطار شهيا للرجلين وساعد كومانوس ليجلس علي المائدة في أنتظار خورشيد الذي سارع في الاعتذار علي تأخره في الاستيقاظ .

- ابتسم له كومانوس لا عليك كلانا كان يحتاج إلي النوم بعد حديث الأمس.

نظر له خورشيد مبتسما.

- سأذهب اليوم للمنزل لأنفذ ما شرت علي به.

- جيد وفقك الله.

بينما يجلس الرجلين لتناول الافطار دق الباب فنظر عارف لكومانوس ربما هي جوري نسيت أن أذهب لإحضار الفتاة كما وعدتها بالأمس.

- اذهب لتفتح لها الباب لا داعي لأن تنتظر يعلم الله كيف حضرت الفتاة بمفردها لهنا.

- نظر كومانوس لخورشيد جوري تأتي يوميا إلي ثم نقرر إلي أين تذهب اصطحبها أنا أو عارف إلي مكانا جديدا كل يوم في اسطنبول ولكن مرضي الأخير لم يساعدني وبدل أن تتنزه الفتاة في اسطنبول تجلس هنا لتمرضني.

دخلت جوري مع عارف لغرفة الطعام وألقت التحية علي كل من كومانوس وخورشيد نظر لها خورشيد ليرد التحية ولكنه صمت للحظات ثم أكمل تحيته لها فإطلالة جوري خطفت عينه أنها في غاية الجمال اليوم لأول مرة يتعمق خورشيد في ملامحها فوجهها أخذ استدارة القمر وزاد من جماله تلك غمازتين يزينوا وجها كلما ضحكت أما عيناها فكأن العسل سكب فيهما سكبا ونور الصبح أعطاهما لمعة براقة وكانت تردي ثوبا أنيقا باللون الأزق أظهر جمال جسدها الممشوق وكان كالعادة شعرها الحريري تاج علي رأس ملكة ينسدل بنعومة علي كتفايها بلونه البني يتطاير علي وجها كلما تحركت أو تكلمت فتعود لترتيبه بيديها جلست جوري علي المقعد المقابل لخورشيد فابتسمت فرد التحية بابتسامة ونظرة إعجاب.

- يبدو أن عارف يعد فطور مميز اليوم.

- العم عارف يعد يوميا طعاما مميزا من يوم أن أتيت ردت جوري.

- يبدو الجميع هنا يهتم بك ويتمادوا في تدليلك.

- ضحكت جوري ونظرت إلي كومانوس وامسكت يده دائما عمي كومانوس يدللني هكذا .

- أبتسم خورشيد وعاد ليسأل جوري أأعجبتك إسطنبول؟

- نعم كثيرا لم أشعر بالغربة هنا أحياء كثيرة هنا تشبه القاهرة ولكن ما يزيد إسطنبول جمالا طقسها أمطرت بالأمس ولكنني وجدت متعة في السير تحت المطر لم أشعر بلسعة برد قارصة بل كان منعشا كما أن الطبيعة خلابة لا يوجد عندنا في مصر مثل هذه الغابات والأشجار الشاهقة أما ما أدهشني حقا هو البوسفور والوقوف أمامه صباحا لقد جعلني العم عارف أطعم الطيور أن شكلها الجميل وأصواتها ومتابعتها متعة حقيقية هي وأيضا الحمائم في الميادين أطعمتهم أيضا عند مسجد السلطان أحمد كان يوجد حمام كثير هناك طبيعة بلادكم خلابة.

- ألا يوجد في مصر ميادين بها الحمام؟

- اعتقد كان قديما يوجد أما الآن فلا ولكن عندنا في مصر مساجد تشبه مساجد إسطنبول كثيرا كمسجد محمد علي بقلعة صلاح الدين.

- يبدو أنك تهتمي بالطبيعة والمزارات الأثرية كثيرا .

- نعم أعشقها في الواقع.

هنا قاطع كومانوس حديثهما كنت أود أن تشاهد جوري كل مساجد والقلاع في إسطنبول ولكن هذا المرض داهمني ولا أستطيع صحبتها إلي أي مكان أخشي أن تنتهي عطلتها هنا دون أن تستمتع بها

- ردت جوري المتعة الحقيقية عندي أننا ألتقينا مجددا عم كومانوس أنت تعرف ذلك.

- قاطعهما خورشيد يسعدني أن أصطحبك أنا لتشاهدي المزيد في إسطنبول قالها خورشيد ثم صمت فقد ذهل هو نفسه علي رده فعله كيف يفرض نفسه علي الفتاة هكذا كما من أين له بالوقت؟ وهو الذي ينهي إجراءات شراكته مع جولسن.

- ولكن يبدو أن هذا ما أراده كومانوس فانتهز فرصة أن

خورشيد تفوه بها حتي قال لخورشيد ستكون تفضلت علي أن أصطحبت جوري في جولتها بإسطنبول.

- لم يجد خورشيد مفر من التراجع عن كلمته إذن سأذهب إلي أنهاء مهمتي في قصر صابانجي كما تكلمنا بالأمس ثم أعود لاصطحب جوري.

- تعجبت جوري وهو يقول مهمة في قصر صابانجي أليس هذا لقب زوجته الذي ذكرته بالأمس جولنار.

وقف خورشيد بعد أن بدي أنه أنهي فطوره ونظر إلي جوري يحدثها .

- سأذهب الآن وأعود بعد أقل من ساعتين أرجو أن تكوني في أنتظاري.

- لم تجد جوري خيار غير أن تهز برأسها بالموافقة وقد أخرسها الخجل منه.

خرج خورشيد من منزل كومانوس وهو يتنفس الصعداء فلقد أرتبك أمام جوري كمراهق صغير يتواعد مع فتاته للمرة الأولي ولكنه مضي في السير وهو يبتسم كلما تذكر نفسه أمامهاستقل خورشيد عربته حيث وقف سائقه منتظرا له منذ الصباح وذهب إلي قصر صابانجي عندما دخلت عربة خورشيد القصر وقف السائق أمام بوابة القصر فوجدها مغلقة فنادي السائق إلي الحارس ليفتح البوابة ولكنه تأخر في القدوم وبعد الانتظار لدقائق طويلة أتي الرجل وفتح الباب كان يبدو الأمر عجيبا فنظرات الحارس لخورشيد تنم علي الريبة والقلق أدرك خورشيد أن في الأمر شيء غير مألوف نزل خورشيد من العربة فوجد الخادمة تقف عند الباب الداخلي للقصر وكان الخجل منه مرسوم علي وجه الفتاة فحينما دخل وجهت الخادمة خورشيد أن يجلس في الصالون.

- سيدي إن جولسن هانم أمرت أن تنتظرها بالصالون.

- حينها علم خورشيد بما يحدث أن صدماته في جولسن لا تنتهي جلس خورشيد في الصالون ولكنه هذه المرة ليس زوج

جولسن صابانجي بل خورشيد كايا - إن كنت تريدينها حربا فلتكن يا جولسن؟

أتت جولسن فلم يتزحزح خورشيد من مقعده نظر لها طويلا متأملا كأنه يراها لأول مرة نظر لهذا الغرور والتعالي في نظراتها ومشيتها وكأنه يلاحظه للمرة الأولي فأدرك أن جولسن حقا أنتهت بالنسبة له أن العين عندما تبصر مساوئ الحبيب فذلك إعلان صريح لانتهاء كل شيء.

وهل كان خورشيد حقا يحب جولسن في يوم أن لم يكن حبا فربما كان هناك احترام وتقدير أو حب التقبل بعد أن صارت أم لأولاده الثلاث ولكن الشيء المؤكد أنه أنتهي كل ذلك اليوم

جلست جولسن في المقعد أمام خورشيد والشرر يتطاير من عينيها.

- سمعت أنك أمرت بعمل الإجراءات بفض شراكتنا.

- نعم حدث ألم نتفق علي هذا بالأمس.

- أنا لم أتفق علي شيء بعد يا خورشيد.

- دعينا الآن من الحديث عن المال سيتولي ذلك الرجال في الوكالة جئت اليوم أريد أن أحدث الأولاد لأشرح لهم.

- وقبل أن يكمل كلامه داهمته جولسن بانفعال عن أي أولاد تتكلم أنت عن أولادي؟

- وأبنائي أيضا إن لم تنسي؟!

- هنا نظرت جولسن إلي خورشيد في عينه كأنثي أحد الضواري تستعد للهجوم علي الفريسة عندما قررت الرحيل وفض شركتك مع صابانجي لم يعد لك أبناء في هذا القصر ولا وجود.

- حاول خورشيد أن يتماسك وأن يحافظ علي أخلاق خورشيد كايا بداخله وبدأ الكلام عندما أقنعني أبوك وجدتي بالزواج منك قدموا عرض الزواج منك كعمل إنساني وواجب عائلي علي أن أقوم به كان جدك قد تزاحمت عليه الديون وإن تدخلت أنا بمال جدي خورشيد كايا سأنقذ تجارته من الخسارة والضياع لقد أقنعوني بالتخلي عن ممتلكات جدي في الأناضول مقابل أن أصبح شريك بها ولأن جدك لم يملك ابن أو حفيد رجل طلب مني أن أتزوجك ولكنني كنت دائما خورشيد كايا يا جولسن واسم عائلتك لا يمثل لي شيء.

- أعلم أنت لم تحاول أن تكون متحضرا بما يفي لتليق بمصاهرة صابانجي.

- ضحك خورشيد لا أجد عندي رغبة في مجادلتك حتي أين الأولاد؟

- غير موجودين اليوم ولن أسمح أن تسمم أفكارهم ثم نهضت من مقعدها بشكل مفاجئ لتنادي الخدم ليأتوا بحقائب يبدوا أنها أعدت من أمس.

- ثم نظرت لخورشيد وقالت ...حقائبك يا خورشيد هي أخر ما تملك هنا .

- عندها فارت الدماء في عروق خورشيد وجحظت عيناه من الغضب وبات مثل الذي يحاول الإمساك بالجمر دون أن يصدر صوت فتوجه إلي الخارج يستدعي سائقه ليأتي مسرعا ويأمره خورشيد بوضع الحقائب في العربة أمر خورشيد السائق بالعودة إلي منزل كومانوس.

كانت جوري وكومانوس يجلسان معا يتناولا الشاي وقد شعر كومانوس من جوري أنها تريد أن تستفسر منه عن خورشيد فقد بدت مرتبكة وكأن عقلها في مكان أخر فقاطع صمتها

- تعرفت أذن علي خورشيد يا جوري ما رأيك به؟

- نظرت جوري في قلق لكومانوس ... لا أعلم لم يدور بيننا حديث طويل لأحكم عليه.

- ليس من ضروري أن يطول الحديث أنت دائما تثقين بحدثك تجاه البشر أليس كذلك؟!

- نعم أجده كما وصفته ولكنه حزين لم تقل لي ذلك .

- نعم هو كذلك وهذا حال أمثالنا أنا وهو دائما.

- أمثالكم؟!

- نعم من يبحثون عن حقيقة أنفسهم دائما من لم يعتادوا علي مجاراة عجلة الزمن والتسليم بالواقع أنا وخورشيد دائما نقف لنقرر هل ما يدور حولنا يناسبنا أم لا.

- وهل ما يدور حول خورشيد لا يناسبه؟

- لم يناسبه يوما يا ابنتي.

- صمتت جوري وعادة لتسرح مع أفكارها مجددا، ولكن طرقات الباب داهمت صمتها ليفتح عارف الباب ليجد خورشيد وقد دخل يقتحم الدار إلي أن وصل إلي جوري فنظر إليها ثم أنقض يمسك يديها ويجذبها.

- هيا لنذهب الآن.

- الآن ردت جوري .

- نعم .

أخذ خورشيد جوري وخرج بها من المنزل مسرعا والفتاة في حالة صدمة لا تعرف ماذا يحدث ولكنها لاحظت الحقائب بالباب ثم ساعدها خورشيد لتصعد العربة فنظرت إليه نظرة ريبة وقلق فصمت دقائق ليقلل من قلق الفتاة.

- سنذهب لقلعة روميلي.

أنطلقت العربة مسرعة ظلت جوري تنظر إلي الطرقات طوال الطريق لتتجنب أن تنظر إلي خورشيد الذي كان ينظر إليها كل فترة في محاولة منه لفتح حديث ولكنه كان لا يعرف ماذا يقول أساسا لها.

توقفت العربة ووصل خورشيد وجوري إلي قلعة روميلي كان القلعة تقع في الجزء الأوروبي لإسطنبول يحدها البحر من ثلاث جهات وروميلي هي قلعة قديمة بنيت علي أضيق منطقة لمضيق البوسفور ولكنها عرفت بجمال البناء وروعة فن العمارة تتجلي بها فتأخذ الأبصار من النظرة الأولي لها نظرت جوري للقلعة وبدي الانبهار يرتسم علي وجهها هي أجمل ما رأته منذ أن أتت إلي تركيا.

أخذ خورشيد جوري من يديها يساعدها للنزول من العربة ولكن هذه المرة كانت جوري سحرت بجمال المكان فمدت يديها له دون وعي أو تفكير وسارا معا بمحازة البحر يلتفون حول القلعة التي غطت جدرانها الحشائش الخضراء فكستها حسنا فوق حسنها .

- روعة لا أصدق جمال المكان أتأتي إلي هنا دائما؟

- ليس كثيرا ولكن عندما أهرب من أمر ما لا أجد أجمل من هذا المكان أختبأ به.

- صمتت جوري للحظات ثم توقفت عن السير لتنظر إلي خورشيد وأنت اليوم هارب من أمر ما أليس كذلك؟!

- نعم.

- أكملت جوري السير دون أن تحاول التتطفل علي خورشيد أو سؤاله مما يهرب.

- ألن تسألني من أي شيء أهرب؟

- لا لن أسأل وإلا أفسدت عليك محاولة الهرب .

- أبتسم خورشيد لفطنة الفتاة وعدم فضولها .

سارا خورشيد وجوري جنبا إلي جنب دون كلام ولكن كلاهما كان بداخله الكثير ولكن أفضل ما كان هو الشعور بالسعادة والاطمئنان لوجود الأخر بجانبه وبعد فترة من السير في صمت أشار خورشيد لجوري لأحد الصخور .

- أتودين أن نجلس هنا قليلا؟

- لا بأس فلنجلس .

جلست جوري علي شاطئ البحر ورذاذ أمواجه تداعب وجها كل حين فتبتسم وهي تمسح قطرات المياه من فوقه وخورشيد ينظر إليها ويبتسم لفرحتها الطفولية التي رسمت علي وجهها.

- خوفت ألا يعجبك المكان يا جوري قالها خورشيد بالعربية لأول مرة يتحدث معها العربية.

- أنتفضت جوري ونظرت إلي خورشيد تتحدث العربية؟!

- أنا نصف عربي يا جوري أمي من حلب.

- تعجبت جوري لم يذكر كومانوس ذلك لها أبدا حقا أنا سعيدة جدا لذلك.

- أبتسم خورشيد ثم سألها لما؟

- لا أعرف ولكن مجرد معرفة أنك عربي مثلي هذا الأمر أسعدني.

- لا أتحدث العربية كثيرا ولكنني أجيدها كالتركية تماما كانت لغة حديثي مع أمي طوال فترة طفولتي وكان هذا يزعج الجميع فحديثنا أسرار لا أحد يفهمها غيرنا.

- حتي أبوك كان لا يتحدث العربية؟

- كان يتحدثها قليلا ولكنه توفي وأنا صغيرا جدا ثم لحقته أمي تربيت يتيم.

- نظرت جوري لخورشيد في أسي هي تعرف اليتم مثله تماما أنا أيضا فقدت والدي منذ فترة وعشت اليتم مثلك.

نظر خورشيد لجوري ثم عاد لينظر إلي البحر جلسا الاثنين كطفلين يتيمين يواسيا أحداهما الأخر مر الوقت عليهما وهما يتبادلا الحديث شعر كلا منهم ألفة في الأخر لم يجدها من قبل رغم كل الاختلاف في النشأة والبلد فارق العمر بينهما ولكن كل ذلك كأنه لم يكن شعرا كأنهما تقابلا من قبل ربما في عالم أخر لم يبدو أن هذا اللقاء الأول بل لقاء بعد شوق لم يشعر الأثنين بمضي الوقت لولا تدخل الشمس لتوديعهما وإعلانها بانتهاء اليوم قاما الاثنين ليعودا إلي العربة وكل منهما يمشي علي مهل لا يريد أن يرحل من المكان قد التصقت أرواحهما به كانت جوري تتلفت خلفها وتنظر للقلعة تودعها وربما كانت تريد أن تحفظ هذا المكان لتظل هذه الذكري في خيالها إلي الأبد.

قام خورشيد بتوصيل جوري لمنزل جولنار ووعدها أن يأخذها إلي مكان أروع في المرة القادمة.

نزلت جوري من العربة ودخلت إلي المنزل حاولت جولنار أن تعرف سر توصيل خورشيد لها ولكنها تهربت وسارعت إلي غرفتها لتحتفل مع نفسها باللقاء الأول بالنبضة الأولي في جسد هذا العشق الذي ولد اليوم وضعت جوري يدها لتشعر نبضات قلبها المتلاحق التي كادت أن يسمعها من يقف حولها معلنة مولد عشق لم تعرف جوري أنه قدرها من يوم مولدها وأنها أتت الحياة لتقابله فقط.

أما خورشيد فقط عاد إلي منزل كومانوس الذي حاول أن يفهم منه ما حدث في قصر صابانجي اليوم ولكن لم يشأ خورشيد أن يتحدث في الأمر بل ظل يسأل كومانوس عن أمورا تخص جوري.

كان كومانوس متعجب من أمر خورشيد ولم لا وخورشيد نفسه يتعجب مما أصابه اليوم كان الغضب يملئ عينيه صباحا لا يستطيع التنفس والآن أصبح يملك جناح صقر يمكنه التحليق بعيدا فوق السحاب كل شيء أختلف بزاوية ١٨٠ درجة في خلال ساعات قليلة كان يتعجب من أمر نفسه ولكنه يضحك ما هذه السعادة التي تعتريني في أصعب أيام حياتي ولكن توقف خورشيد قليلا مع نفسه هل يليق ذلك؟ فتاة صغيرة سترحل بعد أيام إلي موطنها أيتعلق قلبي بها؟!

مضي الليل وخورشيد ما بين فرح وفكر يخاصم النوم عينه فيحاول خورشيد أن يقتنص النوم أقتناصا ليهرب من صورة جوري .

بعد أن أنهزم الليل أمام أشعة الشمس أستيقظ خورشيد قبل الجميع وقد قرر أن يخرج مبكرا ربما هربا من لقاء جوري اليوم لقد قرر بالأمس ألا يعطي قلبه دفة الأمور لكي لا يعود بخيبة أمل جديدة كما أن كل أموره معقدة للغاية ويجب أن يكون أكثر حكمة مما فعل بالأمس ذهب خورشيد إلي الوكالة ليجد أن أخباره هو وجولسن قد تطايرت مع هواء إسطنبول فلم يعد أحد لا يعلم عن خلافاتهم فقد صارا مادة دسمة للنميمة في كل

صالونات العائلات الصديقة وغير الصديقة فجولسن تمتلك عددا لا بأس به من الأعداء والحاقدين .

لم يهتم خورشيد بالأمر كثيرا بل فضل متابعة باشاكاتب الوكالة وما فعله من إجراءات لفصل الشراكة وبينما هو في خضم كل هذا أتي له رجل بريد يحمل رسالة أستلمها منه خورشيد ثم وضعها علي المكتب ولم ينظر لها جيدا فلقد أعتاد علي رسائل تأتي له من الميناء لتخبره بوصول بضاعته أو تحميلها علي أحد السفن.

أتي بعضا من التجار الذين يدعون صداقة خورشيد إليه يقتلهم الفضول ويملئ عيونهم الجشع يريدون أقتناص الفرصة للانقضاض علي تجارته بالتأكيد سيحتاج إلي شركاء جدد عوضا عن جولسن صابانجي.

رحب خورشيد بالضيوف علي مضض منه هو يعلم نواياهم جيدا فجلسوا جميعا معه يشكون ضيق الحالة وصعوبة الموقف بعد إعلان السلطنة لانضمامها لألمانيا وحربها علي أوروبا كانوا يتهامسون علي السلطان عبد الحميد الرجل مازال يعيش في زمن بطولة أجداده ويتوهم أنه سيرسم بطولات جديدة قد أصبح بلا سلطة فعلية فضباط جيشه والبطانة الفاسدة حوله قد عزلوه عن الواقع الأمور ستخرج عن السيطرة أن خرج من هذه الحرب خاسر سيخسر عرشه أيضا ألم يسمع عن هذا كمال أتاتورك وأفكاره التي أصبحت لها جمهور عريض بين طبقات إسطنبول الأرستقراطية الي تميل إلي الأوروبيين ويتمنون لو صارت السلطنة دولة أوروبية لم يعد فكرة الخلافة علي الدول الإسلامية فكرة تروق لهم ضاعت العقيدة عند هؤلاء وبعدوا كل البعد عن الإسلام وتعاليمه بل عن الشرق أيضا الكل يريد أن يصبح مثل الأوروبيين في أسلوب المعيشه والفكر وحتي نظام الحكم .

كان يستمع خورشيد إلي كلام التجار بدون اهتمام فهو يعلم كل ذلك ولا يوجد شيء جديد ولكن طبول الحرب وكساد التجارة كانت كل ما تشغل عقله لم يكن خورشيد يميل إلي الأفكار المستحدثة والتقليد الأعمي للأوروبيين ليس معني فساد السلطان أن نُفسد كل المواريث والتقاليد والأهم ألا نخسر ديننا كان خورشيد كأبيه وجده رجل يعرف الله يصلي ويصوم ويؤدي أركان الإسلام عن حب وتقرب لله ومن يجده يحيد عن ذلك يخرجه دائما من محيط المقربين .

أنتهي التجار من حديثهم الطويل ثم انصرفوا وقد رحلوا بخفا حنين لم يعطهم خورشيد أي معلومة عن ما ينوي القيام به بعد تصفية الشراكة جلس خورشيد علي مكتبه ليتفقد الوقت فيجده يسير علي مهل لا يمر فخورشيد لا يريد أن يذهب إلي منزل كومانوس ليقابل جوري ربما يريد أن يفلت من شباك الحب في بداياته فالحب في أوله وأن ظهر كرياح عنيفة تعصف ولكنها رياح موسمية يمكن أن تتوقف في أي لحظة ولكن هل يبدو هذا كانجذاب رجل لفتاة جميلة يمكن أن يمر مرور الأكرام ويأخذ وقته أم أن أنجذابه لجوري في ذلك الوقت العصيب أمر بدي مختلف؟

أشتاق خورشيد للأولاد كثيرا فقرر الذهاب لهم في المدرسة ربما يستطيع أن يشرح للصغار غيابه ركب عربته وتوجه إلي مدرسة الأولاد هذه المدرسة أختارتها جولسن بعناية للصغار ليست كبقية مدارس إسطنبول هي مدرسة يديرها الراهبات تعرف المدرسة بالصرامة في التربية ولم يعارض خورشيد ذلك فتربية الراهبات للأولاد كانت جيدة فتعلموا منهن الالتزام والاحترام كانوا الثلاث مهذبين لا يمكن أن يتجرأ أحدهم علي عدم الاستماع لخورشيد .

وصل خورشيد المدرسة وطلب مقابلة الصغار فطلبوا منه الانتظار ليأتي وقت الراحة انتهزت الفرصة مديرة المدرسة لتلفت نظر خورشيد إلي تراجع مستوي الأولاد وخاصة إيبيك هذا العام ومن أين تأتي جولسن بالوقت لمتابعة الأولاد وسط الاهتمام بإقامة الحفلات أو حضورها .

سأل خورشيد المديرة

- ألم تعلمي أمهم أعلم أن كل فترة يوجد اجتماع كانت تحرص علي أن تحضره بنفسها ثم صمت ليتذكر أن جولسن كانت دائما تمنعه من الحضور معها لأنه يتدخل فيما لا يعنيه من وجهة نظرها.

- أخبرنا جولسن هانم وقد كانت تفكر في إلحاق إيبيك للقسم الداخلي للمدرسة لتنظم أوقاتها وساعات المذاكرة .

- هنا أوقف خورشيد حديث المديرة فأعلن رفضه التام لهذه الفكرة .

- يمكنك الاعتراض بالطبع لا تقلق الالتحاق بالقسم الداخلي هنا يتوجب فيه موافقة الأب أولا.

- تنفس خورشيد الصعداء فهو لا يتصور طفلته المسكينة إيبيك وهي تنفي بعيدا عن أخويها وأن تقيم في المدرسة طوال أيام الأسبوع ولا تذهب للبيت إلا في العطلات أتي الأولاد الثلاث وجلسوا أمام خورشيد رسمت ملامح الحزن علي أوجههم وتغلغل البؤس في نظراتهم بعد أن قبلهم خورشيد شعر بفتور في سلامهم فعلم أن سموم جولسن قد طالت الأولاد .

- أنتم تعلمون أنني بالأمس قد غادرت البيت وهذا ليس معناه أنني لن أكون قريبا منكم

- حقا ألن تذهب وتتركنا كما قالت أمي رد إيميري الصغير في براءة.

- لا أبدا سأظل أبوكم المحب لكم للأبد .

- أمي تقول أنك لا تحبنا وأنك ستحاكم لأنك خائن يا أبي قالها علي وهو يضع رأسه في الأرض

- أنظر إلي يا علي أبوك ليس بخائن وأنت سميت علي اسم جدك علي الضابط البطل الذي طالما مثل السلطنة العثمانية بشرف في كل البلاد التي خدم بها فكيف أن تتهم أبوك بذلك؟

- إذا أنت لا تحب العرب الذين تتحدث عنهم أمي أنك منهم؟

- هؤلاء العرب منهم جدتكم أسما التي لو ما زالت حية لأحببتوها كثيرا كما أن العرب منهم نبينا الكريم محمد وأنتم مسلمون ألم أعلمكم ذلك؟

- هنا يمنع الحديث عن الدين يا أبي قالها علي.

- لا يوجد مكان يمنع الحديث به عن دينكم .

- صمت الأطفال فما يقال أكبر من أستيعابهم.

- أنا لن أرحل عنكم أبدا هل تفهمون أنا أحبكم كثيرا .

- ونحن كذلك

ثم نهضوا الأولاد ليسلموا عليه ويقبلوه ويتأكدون أنه سيمر عليهم دائما أما إيبيك فقد عادت لها ابتسامتها عندما أخبرها خورشيد بعدم موافقته علي إلحاقها بالقسم الداخلي للمدرسة فطارت فرحا بأبوها الحنون.

خرج خورشيد من مدرسة أولاده وقد أنشرح صدره لرؤيتهم ومعرفته بحبهم له وعادت الابتسامة لثغره فتذكر جوري تلك الفتاة الصغيرة هي الأخري أندهش لأنه يشتاق لرؤيتها فنظر في ساعته ووجد أن الوقت تأخر لعله أن أسرع يلحق أن يراها قبل أن تغادر منزل كومانوس .

أنطلق خورشيد إلي منزل كومانوس وقد طلب من السائق أن يسرع وبعد الوصول فتح له عارف الباب ليدخل خورشيد الدار وهو يتلفت حوله وهو يلقي السلام علي كومانوس .

- لم تأتي اليوم.

- من تقصد؟ قالها خورشيد في محاولة يائسة منه لإخفاء اهتمامه بجوري.

- جوري بالطبع .

- جلس خورشيد علي المقعد ليهدأ ويكمل كلامه ولما لم تأتي اليوم؟

- ولما انصرفت أنت اليوم مبكرا هكذا؟

- وما علاقة ذلك بجوري؟!

- ربما ما فكرت به فكرت هي الأخري فيه يا خورشيد جوري ليست الفتاة المراهقة التي ستطير فرحا أو تسير في طريق دون تفكير هي فتاة قارئة ومثلها تفكر كثيرا مثل الرجال أحيانا

- أي طريق تقصد يا كومانوس.

- الطريق الذي بدأته أنت بالأمس عندما أمسكت بيدي الفتاة وخرجت بها من هنا أنا رجلا كبير يا خورشيد وقد علمتني الحياة أن أختصر كلامي وأن يكون واضحا عند الأمور المهمة وجوري هي أهم ما أملك الآن في الحياة بعد زينب .

- فهم خورشيد ما يقصده كومانوس فوضع رأسه في الأرض وفضل الصمت.

مضي الليل كئيب علي كلاهما فخورشيد نزلت عليه كلمات كومانوس كالماء البارد ليوقظه من أحلامه فتاة كجوري ينتظرها في بلادها مستقبل أفضل مع شاب يقربها في العمر شاب مستقل لا يوجد لديه ثلاث من الأبناء وأيضا أن ظروفه الآن غير واضحة هو سيبقي في إسطنبول أم سيعود إلي الأناضول لماذا أقحم فتاة صغيرة في كل ذلك وأعذبها بوعود لا أستطيع الوفاء بها.

أما جوري كانت تفكر كيف يمكن أن أتمني ما ليس لي هو لزوجته وأبنائه منذ متي تنظرين لشيء لا تملكيه يا جوري؟ هل معني اعجابك بحجر كريم أو ماسة خطفت عينيكي أن تمدي يدك لتأخذيها أنها سرقة وما أنا بسارقة .

وبين أفكار كثيرة وشوق أكثر مضي الليل عليهما .

مرت أيام علي هذا الحال يستيقظ خورشيد مبكرا ليذهب للوكالة فربما تأتي جوري اليوم ولا يريد أن تراه .

وتستيقظ جوري وتحاول ألا تذهب لمنزل كومانوس إلا بعد الظهيرة لتتأكد أن خورشيد قد خرج من البيت.

وبعد أيام ذهب خورشيد إلي الوكالة ليجد إعلان قد وصل من المحكمة الشرعية فقد طلبت جولسن الطلاق والتفريق ويبدو أنها أخذت هذه الخطوة بعد زيارة خورشيد للأولاد .

قد وصلت المواصيل إلي حد لم يكن يتوقعه خورشيد من جولسن حتي وإن عزما علي الطلاق فليست المحاكم هي الطريقة لينهوا بها هذا الزواج قرر أن ينهي خورشيد كل ذلك فورا فأنطلق إلي قصر صابانجي ومعه الشيخ ليطلق أمامه جولسن طلقة بائنة .

كانت نظرات جولسن لخورشيد تملئها الغيظ والحقد عليه كيف تخلي عنها بهذه السهولة كانت تعتقد أنه سيحاول أن يدخل الوسطاء بينهم ليصلحوا ما كان ولكنه بدي كما أنه أنتهز الفرصة للتخلص منها .

وبعد أن وقع الطلاق أخرج خورشيد من جيبه صكوك وحجج الممتلكات التي قسمت بينهم والأوراق التي تعطي جولسن حق أدارة أموالها ثم ذهب دون أن يقول كلمة واحدة لها.

جنت جولسن بعد ذهابه فصارت تتوعده وتمطره بالسباب واللعنات حتي تهامس عليها الخدم فأكثرهم كانوا يميلون إلي خورشيد بك ويعتقدون أنه فلت وأنقذ منها.

تطايرت الأخبار في إسطنبول عن انفصال جولسن وخورشيد حتي وصل إلي مسامع جولنار فسألت الأخيرة جوري عن صحة الخبر ولكن جوري لم تكن تعرف فلم يخبرها كومانوس أو عارف بذلك وهذا ما أدهشها فبالأمس كان عارف وكومانوس يتهامسون عن شيء استشفت جوري إنه عن خورشيد ولكن لم تستطع جوري السؤال يبدو كومانوس حريصا علي ألا يذكر اسم خورشيد أمامها هي لا تعرف لماذا؟ وما يدور بعقل العم كومانوس ولكنها فضلت عدم السؤال .

لم تذهب جوري لمنزل كومانوس لعدة أيام وتعللت بذهابها للأسواق مع جولنار لتشتري الهدايا للأصدقاء بمصر قاربت الإجازة من الانتهاء ولم يتبقي الكثير إلي أن بعث خلفها

كومانوس عارف يطلب منها الحضور فوعدت عارف بالحضور غدا مبكرا.

استيقظت جوري مبكرا وذهبت لتختار بين ملابسها أجملهم لا تعرف ربما ستقابل خورشيد اليوم أو تتمني هي ذلك حاولت جوري أن تبدو كامرأة وليست كفتاة صغيرة فغيرت من شكل شعرها المنسدل لتجمعه

علي أحد كتفيها وتضع التربون الذي كان الموضة الرائجة في ذلك الوقت حاولت أن تبدو ناضجة في كل قطعة من ملابسها حتي أنها انتعلت حذاء بكعب لم تعتاد ارتداؤه من قبل وقد اعتمدت إطلالة جولنار تقريبا في كل شيء نزلت جوري لتودع جولنار و تستأذنها بالخروج لمنزل كومانوس فرمقتها جولنار بنظرة إعجاب وابتسمت لها

- فسألتها جوري كيف أبدو .

- تبدين كامرأة تليق برجلٍ ناضج يا جوري ثم ضحكت.

فبتسمت جوري وخرجت ليستقلها عارف إلي منزل كومانوس.

كان خورشيد لم يخرج بعد أو حاول ألا يخرج مبكرا فلقد سأل كومانوس عن عارف في الصباح وأخبره أنه ذهب ليأتي بجوري هو أيضا بدي مهتما بمظهره علي غير عادته وهو ذاهب للوكالة هو دائما أنيق ولكنه اليوم به شيء خاص شيء جعله يبدو أصغر سنا كشاب عشريني يبدو أنه تصالح مع نفسه وشعوره بالسلام النفسي بعد انفصاله بجولسن قد أعاد له شبابه وتلك الابتسامة في عينيه جعلته يبدو أكثر سعادة وأصغر عمرا.

جلس خورشيد مع كومانوس في الصالون ولم يسأله كومانوس عن عدم ذهابه إلي الوكالة إلي الآن أنه يعرف علي كل حال أن خورشيد ينتظر قدوم جوري اليوم .

دخلت جوري الصالون بإطلالتها الجديدة يبدو الجميع لاحظ التغير الابتسامة رسمت علي وجوه الجميع عارف وكومانوس وخورشيد ولكن أطال خورشيد النظر لها كأنه يعوض ليالي الشوق والتفكير بها حاولت جوري التهرب بعينها بعيدا عن عينيه ولكنها ألتقيا وما أصعب أن يفترق عيني الحبيبين بعد اللقاء نظر كل منهما للأخر مطولا حتي أن الزمان ربما توقف عن عد الثواني والدقائق ليترك الحبيبان كيفما شاءا يستمتعان بلحظة اللقاء .

ولكن عارف نظر إلي كومانوس مبتسما مشيرا بطرف عينه إلي العاشقان مطالبا كومانوس بالتدخل .

فتدخل كومانوس مرغما ولو كان الأمر بيده لترك لهما المكان ولكنه تذكر وعدا قطعه علي نفسه لزينب أن يراعي جوري كأبنته والأب لا يترك لابنته الحرية للوقوع في العشق هكذا دون رقابة منه أو معرفة نوايا الحبيب رغم ثقته التامة بخورشيد ورغم أنه أوروبي يوناني ولكنه والد لفتاة عربية يجب أن يتعامل هكذا.

ألن تجلسي يا جوري أم ستظلين واقفه هكذا يا ابنتي.

بالطبع عمي كومانوس سأجلس.

- كم تبقي من أجازتك هنا يا جوري.

- أسبوعين يا عمي.

نظر كومانوس لخورشيد وكأنه يوجه له رسالة

-أسبوعين فقط؟

- نعم أسبوعين فقط؟! تدخل خورشيد في الحوار .

للأسف نعم ردت جوري وبدي الأسي في صوتها.

يوجد أماكن كثيرة تودين أن تزوريها في إسطنبول

أتمني ولكن لا يبدو أنه تبقي من الوقت الكثير فلنبدأ من اليوم أذن ثم نظر لكومانوس متسأل أن سمح لنا العم كومانوس بالطبع؟!

نظر كومانوس لجوري فوجد في عيناها رجاء فأبتسم سأسمح لكما لا أعرف متي ستزور جوري إسطنبول مجددا.

لنذهب إلي بورصة في هذا الوقت من كل عام تغطيها الثلوج وهي أجواء ستحبها جوري.

تحمست جوري عند سماعها حديث خورشيد لم تري الثلوج بعد في إسطنبول وهي لم تري يوما الثلوج تغطي البيوت والطرقات فهذه الأجواء لا توجد في مصر وتمنت جوري لو تراها يوما.

- نظرت جوري إلي خورشيد وعيناها تنطق بسعادة طفولية حقا أيمكننا أن نذهب إلي بورصة؟

- نعم غدا سأخذك إلي هناك

- نظرت جوري إلي كومانوس ترجو منه الموافقة

- وافق كومانوس يمكنك الذهاب بالطبع ولكن بعد أن تأذن لكي جولنار هانم أنت ضيفتها وأمانة الأميرة فاطمة عندها.

- برقت عيني جوري من السعادة ورغم محاولاتها أن تبدو كامرأة ناضجة في هذا اليوم إلا أن سعادتها الطفولية بزيارة بورصة جعلتها كطفلة سعدت بالبالون فضحك خورشيد وهو يسأل نفسه هل أنا حقا مهتم بهذه الطفلة؟

ولكن تنبهت جوري وهي صاحبة العقل اليقظ لابتسامة خورشيد تلك فاستجمعت نفسها مرة أخري لتكمل حديثها .

- سعادتي برؤية الثلوج لأننا كمصريين نفتقد تلك الأجواء فأنت تعلم الطقس في مصر مختلف لا تتساقط الثلوج أبدا.

- فرد خورشيد عليها إذن أبقي هنا نحن في إسطنبول علي

موعد مع الثلوج كل شتاء.

- أحب أن أري الثلوج لمرة ولا أتحمل الحياة فيها أبدا.

- يبدو أنك تشتاقين لمصر.

- بالطبع فمن لا يشتاق إلي الوطن والأهل والأصدقاء.

- صمت خورشيد قليلا وذهب يفكر ربما تشتاق إلي شخص ينتظرها هناك إن فتاة

في عمرها وتملك هذا الجمال لا يوجد شك أنك لديها معجبين وربما محب ينتظر

رجوعها بلهفة.

- وقف خورشيد مودعا جوري وكومانوس ومأكدا لها علي دعوته

غدا مبكرا سنذهب إلي بورصة

- أنصرف خورشيد وشعرت جوري بالتغير الذي حدث بعد أن تحدثت عن شوقها لمصر .

ذهب خورشيد إلي الوكالة وقد انطفأت اللمعة في عينه فلقد دار حديثا مطولا بينه وبين نفسه فربما هو واهم وربما جوري لا تشعر تجاهه بأي من الاهتمام ولكن ما بينهما في قلعة روميلي كان أكثر من مجرد حديث من وجهة نظره تعجب خورشيد من نفسه لاهتمامه لمعرفة حقيقة شعور جوري تجاهه لقد أصبح يحدث نفسه عنها دائما قرر خورشيد أن يؤجل كل هذا لرحلة بورصة فلنري يا جوري ماذا تريدين مني.

وصل خورشيد إلي مكتبه ليجد نفس الظابط الذي قام بزيارته المرة السابقة جاء ليستعجل شحن المؤن المطلوبة للجيش .

لابد من شحن هذه المؤن هذه المرة ولكن ماذا سأفعل المرات القادمة؟ أكد خورشيد لضابط التزامه بالشحن في الموعد المحدد ولكنه أخبره أن يبلغ القياة في نظارة الحربية أسفة أنها ستكون الأخيرة متعلل بتأخر البضائع والسفن العالم كه في حالة حرب شحن البضائع معطل وسفن الأسطول الروسي تترصد السفن التجارية المتجه إلي لتركيا .

وعد الضابط أن يشرح لقادته وجهة نظر خورشيد ولكنه شكك في تفهمهم الوضع أنهم يرون أن مصلحة الجيش أولي من أي شيء الآن كانت الأسعار في إسطنبول قد تضاعفت لكل السلع الأساسية فالشتاء علي الأبواب والمخزون لدي التجار يتناقص فلا يوجد بضائع جديدة تستطيع أن تصل والجيش يستنزف مخازن التجار لسد احتياجاته بجانب جشع الكثير من التجار الذين وجدوا من الحرب فرصة ذهبية لاحتكار السوق لصالحهم واللعب بالأسعار كيفما شاءوا كل ذلك جعل الشارع في اسطنبول يغلي الجميع لا يعرف إلي أين ستنتهي الأمور السلطان مغيب عن الواقع والجيش تورط في حرب عالمية لا طائل له به وجشع التجار ينهش بأنيابه لحم الفقراء حتي الأغنياء لم يسلموا من دفع ضرائب مبالغ فيها غير الإتاوات لكل الجهات الحكومية في السلطنة لتسير أعمالهم في ظل هذه الظروف الصعبة.

وقد ازدادت الإشاعات في احتمالية تجميد أرصدة بعض التجار والأغنياء لصالح المجهود الحربي للسلطنة فالسلطان عبد الحميد يريد أن يدخل الحرب معتمدا علي الألمان في الجيش فقد سلم قيادة معظم سفن الأسطول العثماني إلي الجيش الألماني يقودها قادة ألمان والجنود عثمانيين، أما

تكلفة الحرب يبدو أن السلطان العثماني والذي كان لا يزال الدول السلامية تدعوه بخليفة المسلمين ترك علي الناس والعباد أن يدفعوها هم من قوتهم ضرائب ليس علي الأتراك فقط بل ضرائب علي كل الدول التابعة للدولة العثمانية، فالسلطان العثماني.

دخل هذه الحرب لعلمه عزم كلا من بريطانيا وفرنسا تقسيم الدول التابعة للسلطنة عليهم، لقد أجتمع أعداء الأمس فرنسا وبريطانيا اليوم وتحالفا ليقاسموا فيما بينهم أرث الأسد العجوز الذي يمثل السلطنة العثمانية وهو يعلم جيدا أن دولته أصبحت كأسد بدون أسنان لم يتبقي منه إلا صوت زئيره لم يجد السلطان عبد الحميد إلا دخول الحرب مرغما بجانب الألمان تماشيا مع عبارة (عدو عدوي صديق) يبدو أن إسطنبول لن تتحمل طويلا سيحدث شيء قريبا يقلب الموازين ولكن ما سيحدث لن يحمل الخير هكذا كان يحدث خورشيد نفسه وبينما خورشيد يفكر في كل ذلك كانت يده تعبث في الأوراق المتراكمة علي المكتب فلفت نظره هذا الطابع البريدي الذي ختم عليه حكومة عربية فتح خورشيد الخطاب كان خورشيد يقرأ بعينه كلماته فتنطبع تأثيرها علي ملامحه وقد رسمت الدهشة والصدمة فيما يقرأ.

الرسالة

ابني الغالي

أمتعك الله بنعمته عليك وتولاك بحسن معونته لك وألهمك حمده وأكسبك عفوه وعافيته ومنحك صنعه وتوفيقه وبعدأعلم أنك تتعجب من ينادك بابني الغالي ولكن دعني أعرفك عن نفسي أولا لتعرف لما أناديك هكذا أنا الشيخ الشريف صالح عبدالله ابن الشريف عبدالله الرفاعي والد والدتك السيدة أسماء عبدالله الرفاعي أعلم أنك لم تعلم يوما بي فأمك رحمة الله عليها لم ألتقي يوما بها فأنا من أم أخري من بلاد الحجاز وقد شببت وسط أخوالي هناك وبعد عدة أعوام كتب الله لي أن أذهب إلي حلب وقد علمت أن والدتك تزوجت من أحد الضباط العثمانيين وهاجرت معه إلي بلاده ويعلم الله أنني حاولت كثيرا البحث عنكما ومراسلاتكم منذ ذلك الحين ولكن لم يسمح لي قادة الحامية العثمانية بمعرفة أي من معلومات تخص والدك ولكنني مؤخرا ألتقيت بباشا عثماني كان يخدم مع والدك هنا في حلب وهو من دلني إلي عنوانك بارك الله له وأنني أعلمك يا ولدي أن لك في حلب خال لك يتمني لقاءك وأن يوصل لك أمانتك من إرث والدتك وأتمني من الله أن يمد في عمري لأري هذا اليوم الذي يجمعني بك فأخشي ما أخشاه أن أذهب للقاء ربي دون أن أرد الأمانة لأصحابها وأنني أرسل لك دعوة لتأتي لتتسلم إرث والدتك أو أن ترسل من ينوب عنك في تسلمها واعلم أننيأوصيت من بعدي أبناء خالك بأن يسلموك أرثك إن لم يسعفني العمر ومرفق برسالتي هذه عنواني بحلب.

أستودعك الله علي أمل اللقاء قريبا.

خالك الشيخ صالح الرفاعي

قرأ خورشيد الرسالة ليرتسم علي وجه الزهول خال لي أنا من بلاد العرب يبحث عني ليسلمني أرث تركه جدي عبدالله رغم زهول خورشيد وتشككه قليلا فيها في بادئ الأمر ولكنه سعد بهذه الرسالة جاءت الرسالة منذ فترة ولم يفتحها خورشيد ولكن القدر جعله يفتحها اليوم إنها رسالة من الله يطمئن قلبي ليست وحيد يا خورشيد في هذه الحياة جميلا أن يعرف أنه يوجد من يشتاق لرؤيته ولكن هل كانت أمي تعرف أن لها أخا بالحجاز قد ذكرت لي وأنا صغير أن والدها كان يزور الحجاز كثيرا وهو في شبابه وأنه كان يخرج للحج عام وعام ربما كان لو ولد هناك يسافر لرؤيته ولكن يجب أن أتحقق من الأمر جيدا أولا ولكن أن صح هل ابعث من يتسلم المال نيابة عني أم أسافر لأري هذا الخال يقول أنه أوصي أبناءه إذن لي أبناء خال في حلب لو كنت مع جولسن الآن لجنت من الخبر لم يعجبها حماة عربية فمابال بخال وعائلة تريد أن تتواصل معي ضحك خورشيد أثناء شروده إذن لك عائلة عربية وحبيبة عربية يا خورشيد

يا بلاد لا أعرفها ولا تعرفني

أشتاق لك

من غير وصال

هذا الهوي العربي يعرفني

يسري في دمي وأوصالي

كان هذا حال عبدالله خورشيد يشتاق إلي وطن لا يعرفه لم يشب بين وديانه لم يتنفس هواءه ويرتوي من مائه لم يمشي يوما في طرقاته ولكنه يشتاق له فكيف؟!بعد دقائق من الشرود أيقن خورشيد أن هذه الرسالة اختبار له أي الطرق يريد أن يسلك يجب أن يختار عقله يخشي المخاطرة وقلبه يميل إليها فاكتشاف ذلك الجانب المعتم في كيانك أمر مقلق ولكنه حتمي لأنه يوما سيطفو علي السطح مهما حاولت إخفاؤه طالما أنك تملك جزء تخفيه عن نفسك والأخرين فإنه سيحاول الظهور شئت أم أبيت وهذا الذي حدث فالحفل عندما أستفز أردال أوغلو هذا الجانب من خورشيد بتهكمه وسخريته من العرب ظهر الجانب العربي لخورشيد بشكل واضح وصريح يدافع عن وجوده وتأصله في كيانه سيتذكر خورشيد كلمات أمه له ما حيا ..أنت لا تنتمي إلي هنا يا خورشيد عد للوطن وطنك هناك تناسي خورشيد طوال حياته مع جولسن كلمات أمه ربما ليتجنب سخرية جولسن من أصوله العربية شعر أن انتماؤه لبلاد العرب أمر يعيبه، ولكن الآن بعد التخلص من قيود جولسن وأغلالها بات الأمر واضح له أنه يميل لكل ما هو عربي وربما هذا ما جعله يشعر بالألفة في وجوده مع جوري.

جوري تذكر الآن خورشيد وعده للفتاة ورحلة بورصة غدا ليرسل أحد العاملين في الوكالة ليأتي له بتذكرتين للعبارة التي ستقلهما غدا لبورصة لعلي أصلح غدا ما فعلته اليوم معها تركت الفتاة وذهبت مسرعا لا أعرف يا جوري كلما حاولت الهروب منك عدت إليك معتذرا.

أتي الصباح يمحي انهزامات الليل أتي ليعلمنا أننا ما زلنا علي قيد الحياة ما زال يوما أخر في أعمارنا يريد أن يولد مع إشراقة الشمس هذا الصباح ليس كمثل كل الصباحات أنه الموعد الأول ألتقينا كثيرا مصادفة بغير معاد ولكنه يومنا الأول هذا الدرب يا جوري سنختاره لأنفسنا بدون قيود أو لقاءات مدبرة إن كان لنا قدرا مشترك فسنكتبه بأنفسنا نحن فقط فأنا وأنتي متشابهين أغراب في هذه الحياة نقطع دروبها بمفردنا فإن

أرادت لنا الحياة اللقاء وأن تتقاطع دروبنا لنكملها سويا فسيكون ذلك بأراداتنا الحرة بدون قيود العائلات ولا زواج المصالح ولا جلسات التعارف المملة فهل ستختارينني يا جوري كما أختارك قلبي وعقلي أم أنني واهم هذا ما كان يدور بعقل خورشيد وهو يذهب لبيت جولنار هانم وصل خورشيد إلي بوابة منزل جولنار وقف دقائق يفكر قبل يقرع الباب كان متخوفا من ردت فعل السيدة هي سيدة شرقية مصرية هل ستسمح لجوري بالقدوم معي أدخل أحد الخدم خورشيد ليوصله لصالون حيث تنتظره جولنار هانم وبعد ترحيب جولنار بخورشيد وتبادل التعارف طلبت منه أن يجلس لينتظر جوري.

- جوري أخبرتني أنك ستصطحبها اليوم لبورصة شكرا لاهتمامك لأمرها خورشيد بك تعلم جوري ليست ضيفتي فقط هي أبنة أعز صديقاتي يرحمها الله كما يربطني بأمها صلة قرابة وهي أمانة لدي هنا من الأميرة فاطمة إسماعيل فأنت تعلم هي المسؤولة عن رعايتها بعد وفاة والديها.

شعر خورشيد بالرسالة التي تريد أن توصلها جولنار له عن الأمانة والفتاة الصغيرة اتمني ألا تقلقي علي جوري قد كلفني الطبيب كومانوس بصحبة جوري لمعرفته لي جيدا

- بالطبع أنا متأكدة من ذلك يا خورشيد بك وبالمناسبة كيف حال جولسن هانم والأولاد

- بخير هل ستتأخر جوري؟ معاد الباخرة قرب وأخشي أن نتأخر

شعر خورشيد بالضيق من كلام جولنار الأمر واضح هذه السيدة غير راضية عن ما يربطني بجوري ربما التعصب لهويتها هي مصرية وأنا تركي وربما فارق السن الأسباب كثيرة والنتيجة واحدة وأخيرا وصلت جوري فنهض خورشيد من مكانه مسرعا يحاول الإفلات من قبضة جولنار.

- تأخرنا.

- أنا للتو علمت أنك وصلت .

نظر خورشيد إلي جولنار ليرمقها بطرف عينه هي تعمدت

أن تأخر جوري لتلقي عليه هذا الكلام ثم أستأذنها ليخرج هو وجوري من المنزل وبمجرد أن ركبا العربة تنفس خورشيد الصعداء بزفرة عالية جعلت جوري تسأله.

- هل يوجد ما يزعجك.

- بالطبع لا... اليوم لن أجعل شيء يزعجني وأنتي معي.

ابتسمت جوري هذه أول كلمة غزل من خورشيد لها وربما كانت ابتسامتها له هي أول رسالة له منها بالرضا عن إعجابه بها.

انطلقت العربة بالحبيبين وكل منهم يشعر أنه لأول مرة منذ زمن بعيد ليس بمفرده كلاهما وجد في الأخر الوطن الذي يبحث عنه كلاهما يستشعر بالأمان والطمأنينة بجانب الأخر لو قطعت العربة بهم كل دروب العالم ما أنتهيا أو شعرا بالملل الوقت توقف والأرض تنازلت عن دورانها من أجليهما وصلا إلي مرفأ العبارة ولم يعلموا كيف ومتي ولكنهما استقلا العبارة سأل خورشيد جوري أن يصعدا معا لسطح العبارة فلم تمانع كان المنظر يستحق أشعة الشمس تداعب مياه البوسفور فتتلألأ كأن حبات اللؤلؤ نثرت علي السطح ولسعات برودة الجو تسري في دماء فتزيد من رعشة العاشقين فللحب شرر يسري في العروق لا يشعر به غير المحبين كانوا طفلين معا يضحكون علي ضحكاتهم لا يشعرون بالحضور حولهم لقد دخلوا عالم سحري خاص بهما لا علم لهم متي سيخرجان منه وصلت العبارة بورصة أو هكذا أعلنت صفارتها الحادة وسط ضباب الذي غطي المرسي.

- هذه بورصة أخيرا أين الثلوج؟

ضحك خورشيد لتعجل ولهفة جوري الطفولية لرؤية الثلج.

- لا تقلقي ستأخذنا العربة إلي منتجع الجبل وهناك سترين

الثلج أخذ خورشيد جوري من يدها كطفلة صغيرة خرجت في نزهة لم تمانع جوري أسلمت له يديها في عفوية دون تفكير مسبق فضحك خورشيد أن فرحتها أنستها محاولاتها الأخيرة لأثبات أنها امرأة ناضجة عادت الطفلة مرة أخري كما رأها أولمرة أنطلقت العربة في طريق ضيق إلي أعلي الجبل لم تتوقف جوري لحظة عن التحرك في العربة تنظر هنا وهناك طوال الطريق تلمح شيء يلفت أنتباهها فتسارع بالإشارة إليه لتسأل خورشيد عنها ليجيبها والضحكات تنطلق منه في كل مرة يدهشه فضولها وحبها لتعرف كل شيء.

وصلت العربة إلي قمة الجبل وقد أصبح التقدم في الطريقة بطئ لتراكم الثلوج وهنا صمتت جوري وتخلت عن الكلام لتنظر للثلوج من حولها في هدوء و إعجاب لأول مرة تري مثل هذا المنظر أنه أجمل مما تخيلت أو حلمت به وأخيرا توقفت العربة بجانب استراحة صغيرة بنيت بالأخشاب وقد غطتها الثلوج إلا تلك النوافذ الزجاجية الصغيرة وقد ارتصت أمامها زلاجات خشبية كثيرة وقف الرجال والنساء والأطفال في صفوف ليستأجروها وقف خورشيد يساعد جوري علي النزول ثم وضع زراعه لتستند عليه نظرت له جوري لجرأته ولكنه تجاهلها بابتسامة ثم قال لها

- لنتناول شيء دافئ أولا ثم نخرج للتزلج

دخلا خورشيد وجوري للاستراحة وقد جعلها معلقة بذراعه وليؤكد عدم إفلاتها حرص علي الإمساك بيديها بيده الأخرى لمح خورشيد عند دخوله طاولة يجلس عليها بعض من معارف جولسن فتجاهلهم وأختار طاولة ليجلس عليها هو وجوري بجانب نافذة ليستمتعا بالمنظر الخلاب.

كانت الفرح يتطاير من عيني جوري والسعادة رسمت علي وجه خورشيد فغيرت ملامحه شيء بداخله مختلف لا يعرف ما هو لا يعرف ما الذي حدث له ولكنه سعيد به كأنه شرب رشفة من ترياق الحياة أعادت له كل ما ضاع منه نسي كل شيء أو أن الهموم اختفت مع وجوده مع جوري لا يتذكر الآن شيء غيرها هذه الطفلة ماذا فعلت بي؟

أما جوري كان بداخلها شعور لأول مرة يولد تعتقد أنها تعرفه كثيرا ما قرأت عنه في الروايات التي أمضت العمر في قراءتها ولكن القراءة عن الحب غير الوقوع به كثيرا ما قابلت جوري نظرات إعجاب من المحيطين فذلك عصمت ابن الأميرة شويكار قريبة الأميرة فاطمة وهذه الرسائل التي بعثها لها مع الخادمة في مرة لم تبهرها كلمات عشقه ولم يعجبها غروره وتباهيه بنفسه فتهربت من لقاؤه مجددا وهذا حسين ابن عمها شريف باشا كم يحب عمها ذكره كلما رأها يتحدث عن ابنه البطل العاقل المثقف دائما ولكن جوري لا تجده غير فتي متملق يراها سبيل إلي الوصول إلي الأميرة فاطمة إسماعيل لم تكن جوري فارغة العقل أو مجرد فتاة حالمة تنتظر الفارس علي ظهر حصانه الأبيض كانت قارئة جيدة باحثة عن الحكمة وسط السطور وطالما كانت منصتة جيدة لكل ضيوف الأميرة فاطمة في صالوناتها الأدبية فقد كانت الأميرة فاطمة إسماعيل من منارات الأدب والعلم في مصر أنها ترعي الأدباء والعلماء وتوصل أصواتهم إلي الحكام وولي الأمر بل وتشارك هي بنفسها علي الإشراف علي الكثير من المحافل العلمية ولا تبخل في سبيل ذلك بكل ما تملكه من مال أو ممتلكات ويكفي محاولاتها الأخيرة لإنشاء أول جامعة مصرية أنها وهبت كل طاقاتها لسبيل تحقيق ذلك كانت جوري دائمة التأثر بالأميرة هي ليست فقط في مكانة والدتها بل قدوة ومثل أعلي لها ولذلك مشاعر جوري وإن بدت طفولية لعبدالله خورشيد ولكن في حقيقتها هي مشاعر لفتاة مثقفة ناضجة.مر الوقت سريعا وسط جبال بورصة لفت تقارب خورشيد وجوري كل الحضور من رأهما لا

يخطأهما أبدا أنهم عاشقان يذوبان حبا وعشقا في همساتهم وضحكاتهم والنظرات أفصح من كل اللغات بدأت الشمس في الانسحاب من سماء النهار لتعلن عن نهاية يوم لا ينسي.

- فهمس خورشيد لجوري يبدو أنه وقت الرحيل

- نظرت جوري لخورشيد بموافقته وعيناها تعلن الرفض

- سيكون لنا أيام كثيرة ما زال بإسطنبول العديد يستحق المشاهدة

عادا الاثنين للعبارة ولكن العودة لم تكن في حماس الذهاب أبدا كلاهما ذهب في رحلة مع عقله يفكر هل يمكن أن تستمر هذه السعادة التي وهبتهم الحياة اليوم أم أنه مجرد حلم سيذوب مع أول أشعة لنهار الواقع والحقيقة.

أوصل خورشيد جوري لمنزل جولنار ووعدها أنه سيكرر اصطحابها يوميا إلي مكان جديد بإسطنبول وقابل هذا الترحيب من جوري فجنون البدايات لا يعرف التوقف مر أسبوع علي رحلة بورصة وخورشيد وجوري يخطان يوميا قصة عشقهم دون إعلان صريح بينهما فيوميا يمر خورشيد علي جوري ليفتلان في إسطنبول شرقها وغربها لا يأبهان بمن حولهم فتلك جولنار وتلميحاتها لجوري وتحذيرها من نوايا خورشيد الغير معلنة، وذلك كومانوس الملح علي خورشيد يريد أن يعرف عما ينوي عمله وما الذي يدور بينه وبين جوري يوميا كل ذلك لم يعني شيء لهم أن السعادة لحظات يقتنصها البشر من الدنيا قنص فإن فوتها عاش حسرتها إلي أخر العمر خلال هذه الأيام القليلة وجدت جوري في خورشيد ليس مجرد حبيب بل وجدت ما هو أهم وأجمل وجدت به الصديق المخلص والأب الحنون اكتشفت فيه العقل الناضج المتفهم والقلب النابض الحنون والروح التي تسمو لكل ما هو جميل وصادق لم تحب شخصه فقط بل الصفات فهو رجل كريم يبادل الجميع الاحترام

والإخلاص فحظي بحب الناس والالتفاف حوله والقبول في القلوب قبل العقول أما خورشيد فقد وجد في جوري ضالته فالحنان والعطف يلفت القلوب لا العيون وكلاهما تملكه جوري أنها تحب كل ما هو جميل وينطق لسانها دائما بالشكر والعرفان لجميع من حولها عيناها تري الجمال في قلوب من حولها وعقلها يتغافل عن الزلات دائما لا تتصيد للأخرين الأخطاء تمتلك روح بسيطة مسامحة لا تميل إلي خوض المعارك متصالحة مع نفسها راضية دائمة عن أقدارها لا تتطلع إلي الغير فهي منشغلة ببناء نفسها والتمتع بالحياة وجدا كلا منها في الأخر ضالته ولكن لم يبوح أي منهم عن حقيقة مشاعره للأخر فجوري كانت تؤمن أن الكلمات تقلل من قيمة المشاعر فالمشاعر الحقيقية لا تستطيع التعبير عنها بكل الكلمات التي ذكرت في معاجم لغات الأرض، أما عن خورشيد فهو كرجل شرقي يري الحب أفعال لا أقوال لا معني لذكر كلمة الحب عنده دون أن يكون واثق من قدرته علي إسعاد محبوبته وهو الأمر الذي كان يقلقه كثيرا كل الظروف تعانده وضعه في إسطنبول أصبح قلق بعد امتناعه عن أمداد الجيش بالمؤن المزعومة أبناؤه الصغار وجولسن وهذا لا شيء يذكر بجانب مشكلة الفوارق الكثيرة بينه وبين جوري فارق السن والهوية المختلفة والوضع الاجتماعي لفتاة صغيرة تربت في قصر أميرة لرجل تعيس يتخبط في منتصف العمر لا يملك زمام أموره إلي ذلك اليوم ولأن خورشيد رجل عقلاني كان يعرف أنه لن يكون العريس المنتظر لعائلة جوري بمصر بالتأكيد رجل تركي قارب الأربعين له من الأولاد ثلاث وتجارته ووضعه المالي ليسوا علي ما يرام لن تفرش له الأرض بالورود في طريقه ليفوز بحبيبته ستكون هناك معارك لا يعرف أثرها علي جوري في المستقبل، ولكل هذه الأسباب لم ينطق خورشيد لجوري بوعد واحد ولكن كل تصرفاته ونظراته لها ترسل ألف رسالة وتقطع ألف عهد بعشق لا يموت، ولكن هل تترك الدنيا البشر دون اختبارات صعبة و قاسية فالحياة اختبار طويل للإنسان فلا مسرات باقية ولا حزن ثابت

فالدهر متقلب ولا تأتي الريح دائما بما تشتهيه السفن انتشرت أخبار جوري وخورشيد بإسطنبول وتتطايرت الأخبار لتصل إلي جولسن ليجن جنونها وتعصف رياح الشر مع أنفاسها وكامرأة تمثل النرجسية في أبشع حالتها قررت أن تسلط كل قواها لتحارب هذه العلاقة فهذا نصر لخورشيد عليها لن تقبل جولسن أبدا علي نفسها وتلك الانتكاسة لن تقبل أن تحيا بها وسط مجتمع مثل إسطنبول.

فكرت جولسن بمن تستعين في حربها علي خورشيد فلابد لها أن تعد لهذه الحرب جيدا ولكنها لم تأخد وقتا طويلا في التفكير ليهديها إلي العدو الطبيعي لخورشيدوعائلته وبالطبع قفز لأفكارها الشيطانية أردال أوغلو فأرسلت علي الفور لأبنته أيسون تطلب موعدا لزيارتهم عرضت أيسون علي والدها أردال طلب جولسن فرحب وأمرها أن ترسل دعوة لجولسن للحضور علي الفور فموقف جولسن من خورشيد وطلاقها منه لاقي عند أردال الإعجاب والرضا عما فعلته وبالفعل اتي لها الرد من أيسون بانتظارها بأي وقت تحبه ولم تضيع جولسن وقت لتذهب إلي أردال أوغلو وأبنته ليعقدوا مجلس حرب علي خورشيد.

جلست جولسن لتسرد قصة زواجها من خورشيد وتتشدق بكرمها وكرم والدها بالموافقة علي هذا الزواج وكم من تضحية قدمتها لإنجاح هذا الزواج والحفاظ علي حياتها معه وعن كفاح مزعوم عن بناء حياة سعيدة معه وكيف أنه واجه كل ذلك بنكران الجميل لها ولعائلة صابانجي التي صنعته ثم انتقلت لسرد أخباره الجديدة وتسكعه في أرجاء إسطنبول أمام الجميع مع تلك الفتاة الأتية من بلاد النيل ولا تعرف أي ريح سوءأتت بها إلي إسطنبول لترمي شباكها علي رجل لديه من الأبناء ثلاث ويمر بأزمة مع زوجته سمع أردال حديث جولسن والذي كان يعرف كذب معظمه ولكن راق له مهاجمة ذلك المغرور خورشيد كايا

- أذن هذا المغرور خورشيد ناكر الجميل وجد فتاة عربية تليق به

- نعم هل تتخيل يا باشا ذلك هل تعرف أي عار سيلحق

بأبنائي لو صار لهم زوجة أب مثلها

- لقد جن الرجل يا جولسن يهاجم الباب العالي وينتقد سياساته واليوم يذهب ليتزوج فتاة عربية إلي أي قاع يريد أن يهوي هذا خورشيد أنه يضيع كل شيء يملكه

- نعم للأسف وأنت في مكانة أبي وجئت اليوم أطلب منك المشورة.

- يا ابنتي يجب ان تعالج مثل هذه الأمور بحكمة يجب أن

تعود السيطرة علي زمام الأمور ليدك مرة أخري

- وكيف يكون ذلك؟

- بعودتك إلي عصمة خورشيد مرة أخري

- أنا أعود لذلك المغرور مرة أخري ظننتك ستلقنه درس

علي نكران الجميل وأن تتكلم مع أحد الظباط في نظارة الحربية

- قاطع أردال كلام جولسن وما الذي ستستفيدين عندها يا جولسن

- الانتقام منه

- الانتقام لا يؤكل إلا باردا عزيزتي لو حبس خورشيد أو حتي قتل الآن لن تستفيدي شيء غير خسارة كل ما يملك فبمجرد سيصدر ضده حكم بالخيانة العظمي للباب العالي ستصادر جميع ممتلكاته لصالح الدولة العثمانية.

- هل أتركه لتلك الفتاة العربية وأترك لها مال أبنائي؟

- بالطبع لا ولكنك ستستقطبين خورشيد لك ولأبنائه مرة أخري ليعود لكي

- هل أسامحه علي كل ما فعل؟ كيف؟

- لن تسامحيه علي شيء بل ستستردين منه كل شيء

- وكيف يكون هذا؟

- عرفت من أيسون أن خورشيد طلب أن يقابل الأولا بالمنل ولكنك رفضتي أري أن ترسلي له ليأتي بحجة أمر يخص الأولاد وحاولي في أثناء زيارته أن توصلي ما أنقطع بينكما.

- ألم تسمعني جيدا أقول لك هذا خورشيد واقع في الغرام

مع فتاة مصرية ضيفة عند زوجة القنصل المصري هنا في إسطنبول

- جيد جدا

- ما هو الجيد في ذلك؟!

- أليست زوجة القنصل المصري جولنار هانم يا أيسون؟

- نعم يا أبي

- ستذهبين أنت وجولسن لزيارتها قريبا لتشكوا لها جولسن ضيفتها التي تعرقل عودة لم شمل أسرتها والتي أتت من مصر لتخرب عليها حياتها المطمئنة وتسبب في تشتت الأبناء الأبرياء

- ضحكت أيسون وجولسن بصوت عالي نحب أن نقوم بهذه الزيارة في أسرع وقت

- ولكن ليس قبل أن يأتي خورشيد لزيارة الأولاد.

أنتهي مجلس الشيطان بعد أن تم وضع خطة محكمة لتخريب العلاقة بين جوري وخورشيد ولإعادة خورشيد لقفص الأسر بمنزل صابانجي مرة أخري وتمكين جولسن بوضع يديها على ممتلكات خورشيد مرة أخري لم

تضيع جولسن الوقت كثيرا في تنفيذ خطة أردال فأرسلت لخورشيد من يستدعيه علي الفور ويعلمه بمرض أبنته الصغيرة إيبيك.

لم تكن إيبيك مريضة بل أصاب الفتاة الحزن لمعرفتها أنها ستنتقل إلي القسم الداخلي في مدرستها بعد أصرار جولسن علي موقفها بعد معارضة خورشيد لذلك فأخبار الحرب تنتشر في المدرسة بين الصغار الجميع يحكي قصصا عن بشاعة الحروب سمعها من أهله والصغيرة أمها لا تأبه بذلك هي تخوض معركتها الخاصة مع زوجها دون الالتفات لصغارها وما يدور بعقولهم تمددت إيبيك بسريرها الصغير ترفض الطعام لأيام تعلم أمها أن مرضها هذا ما هو إلا محاولة يائسة منها للتعبير عن الاعتراض لقرارها بإلحاقها بالقسم الداخلي في المدرسة ولذلك تركت جولسن الفتاة لتنتهي من مسرحيتها السخيفة كما تري هي إلي أن تيأس وتنصاع إلي أوامر الأم ولكن فليكن مرض إيبيك سببا وجيها لاستدعاء خورشيد للقصر هي صغيرته المدللة وحبيبته الأولي والأخيرة.

- لنري يا خورشيد مدي حبك لتلك الفتاة المصرية هل سيصمد أمام حبك لأبنتك؟

كان هذا ما يدور في عقل جولسن وهي تستعد في غرفتها لاستقبال خورشيد بعد قليل، أما إيبيك فقد اتي أخوايها يحملون لها بشارة زيارة أبوها اليوم فقد سمعوا والدتهم وهي تتحدث عن ذلك سعدت إيبيك بما سمعته كثيرا ولكن لم تكتمل فرحة الفتاة فقد داهمت جولسن غرفتها لتخبر الصغار ما أحزنهم وسرق الفرحة من علي وجوههم

- علمتم أن أبوكم سيأتي اليوم أعرف أنكم سعداء بذلك

- نعم سعدت لذلك كثيرا يا أمي نطقتها إيبيك بلا تفكير

نظرت جولسن للوشاة الصغيرين الذين طاروا بالخبر ليعلما أختهم

- أعلم مدي حبكم لأبوكم ولكن هل يحبكم كما تحبوه

- بالتأكيد أبي لا يحب شيء بالحياة أكثر منا هكذا جاوبها

علي على الفور فهو الأبن البكري وهو المتحدث دائما نيابة عن أخواته.

- ولكني علمت أن أبوكم ينوي الزواج من أخري وهذه المرأة أتت من بلاد بعيدة وربما ذهب والدكم معها لبلادها بعد الزواج

- كان الخبر كالصاعقة التي وقعت على رؤوس الصغار

لا يمكن أبي لا يتركنا أبدا قالها علي أولا ثم كررها أخواته

- يجب أن تخفوا عن والدكم أننا نعرف ذلك ويجب أن تترجوه أن يعود ليعيش هنا معكم أليس هذا ما تحبون أن يحدث؟

- نطق الجميع بالطبع ولكن هل ستسمحين له بذلك؟

- نعم سأسمح من أجلكم فقط

أنطلق الصغار إلي احتضان أمهم فلم يروا هذه الرحمة منها من قبل ولكن بقي الخوف والقلق عالقان في قلوبهم الصغيرة خوفا من رحيل الأب لم يمضي الوقت طويلا حتي قاطعتهم الخادمة بخبر وصول خورشيد بك إلي القصر لتأمرها جولسن أن تخبره أن الجميع في انتظاره بغرفة إيبيك.

أندهش خورشيد عندما أخبرته الخادمة بذلك فزيارته الأخيرة للقصر اعتبرته جولسن ضيف غريب يتم استقباله في الصالون فما الذي تغير وهذا ما زاد قلق خورشيد علي وضع إيبيك الصغيرة أندفع خورشيد يطوي سلالم القصر طي في خطوات سريعة من كثرة قلقه علي حبيبته الصغيرة ملء قلبه وعقله القلق وعندما وصل لغرفتها طرق الباب لتفتح له جولسن وبمجرد أن دخل خورشيد الغرفة أندفع الصغار عليه يطفئون

الشوق له بأحضانهم الصغيرة ودموع فرت من عينيهم جعلت عيني أبيهم تدمع شعر خورشيد بالخوف في عيون صغاره لا يعرف مصدره فسألهم

- ما بكم هل أنتم بخير؟

- نحن بخير طلما أنت معنا يا أبي قالها علي ثم عادت إيبيك لاحتضانه مرة أخري وهي تبكي بينما ظل إيميري الصغير متصلب علي وضعه ممسكا بأحدي قدمي خورشيد دون حراك أخذ خورشيد الصغار الثلاث ليجلس معهم علي سرير إيبيك.

- ما بكم يا أحبابي أنا هنا معكم ثم تفحص إيبيك لينظر لجولسن ما الذي أصاب إيبيك لما وجهها يبدو شاحبا هكذا؟

- نظرت جولسن بأسي للفتاة ثم قالت ممتنعة عن الطعام من أيام وقد أحترت معها وخفت أن يصيبها مكروه فخطر لي أن أخبرك لعلك تستطيع أن تقنعها بأن تتناول أدويتها وطعامها.

- سأل خورشيد إيبيك ولم تمتنعين عن الطعام حبيبتي؟

- أسرعت جولسن لتجاوبه بسبب غيابك عنها لقد ظننت أنك ستعود لزيارتها كما وعدتها في المدرسة ولكنك أخلفت وعدك

- أنتي تعلمين يا جولسن أنك من تعارضين زيارتي للصغار

- لا مجال لذكر ذلك الآن أمامهم

- نظر خورشيد لإيبيك بنظرة أسي علي حالها

هل ستتناولي الطعام مع والدك يا إيبيك؟

- أشارت الصغيرة بالموافقة

- سأخبر الخدم بإعداد عشاء للجميع قالتها جولسن وانصرفت لتترك خورشيد في حيرة من أمره للتغير الذي حدث لها ولكن فرحة الصغار به وبوجوده معهم لم تترك فرصة عنده للتفكير أمرت جولسن الخدم بإعداد ما طاب ولذ وأوصت بتقديم كل الأصناف التي يحبها.

خورشيد علي العشاء اليوم الجميع في القصر أصابهم الذهول من تصرفات جولسن واهتمامها بخورشيد لا يوجد تفسير غير أن سيد القصر سيعود قريبا إلي البيت أنضم الجميع إلي مائدة الطعام وأفسحت جولسن الطريق لخورشيد للجلوس علي رأس المائدة كما عهدوا سابقا فوصلت رسالتها له جولسن تريد الصلح لم يكن خورشيد يملك أي نية للعودة لسجن جولسن مجددا لقد تحرر منه ولا يحن الطائر الجريح للأسر مرة أخري وأن كلفه ذلك حياته.

جلس خورشيد فقط ليتناول الطعام مع صغاره فنظراتهم له تقلقه وإحساسه لا يخطأ - بأي رواياتك أخفتي صغاري يا جولسن وماذا أدخلتي في عقولهم من أفكار مرعبة رسمت علي وجوههم البريئة كل هذا الحزن؟!!

كان يتسأل خورشيد في عقله وهو يحاول ألا يظهر القلق أمام الصغار

أنتهي العشاء وحان وقت نوم الأطفال ليودعهم أبوهم ولكنهم كانوا يلحون عليه بالبقاء.

- لا تذهب أبقي معنا الليلة

- لترد جولسن في خبث لا يستطيع مع الأسف والدكم البقاء يجب أن يذهب ليبدأ الصغار في البكاء في محاولة بريئة منهم في الاحتفاظ بأبوهم وبعد محاولات كثيرة من خورشيد ووعود أكثر أستطاع خورشيد إقناعهم الخلود للنوم اليوم فقط وأنه سينظر إلي موضوع عودته للبيت مرة أخري.

لم يكن خورشيد يحب خداع أطفاله ولكن جولسن هي من ابتكرت هذه الحيلة أو ربما هو عرض مستتر لخورشيد للعودة لها وللأطفال.

غادر خورشيد القصر يحمل الهموم علي عاتقه والحزن يخنق أنفاسه كما لو أن شباك العنكبوت التي حاكتها جولسن بدأت بالالتفاف حوله مرة أخري لم يستطع خورشيد أن يري جوري وربما هذا ما زاد من حزنه وأساه بجانب جوري يتفتت الحزن ويزول هي تعرف كيف أن تأخذه لتطير فيعانق السحاب معها ولكن اليوم مر بطئ بنغمات حزينة كما أن في جولسن أمر يقلقه أن الود عندما يأتي متكلفا تفضحه العيون.

فعيون المحب وعيون الحاقد أبدا لا يستويان ولكن أي جحيم جديد تعدين يا جولسن؟

عاد خورشيد للبيت وقص لكومانوس ما كان من الصغار اليوم وحالة إيبيك لم يحاول كومانوس أن يؤثر في خورشيد هذه الأمور وحده هو خورشيد من يجب أن يقررها.

طال الليل علي خورشيد وقد أنهكه التفكير الأبوة ليست ألا مسؤولية ووفاء بعهود أن تخلي عنها ضاعت أبوته وانتهت.

صباح جديد بعد ليلة طويلة من التفكير كان منهك فلم يستطع أن يمر علي جوري قبل الذهاب للعمل تذكر وعده لها اليوم ولكنها ستتفهم الأمر عندما أحكي لها ما كان بالأمس أنها متفهمة لحبي للصغار بل أنها تصمت بانتباه واهتمام عندما أحكي لها عنهم قالت لي يوما أحب أبوتك يا خورشيد

أظنها هي التي تمدك بكل هذا الشعور بمسؤوليتك عن جميع من حولك أنت أب صالح معطاء وكم أحب ذلك فيك.

ذهب خورشيد للوكالة ليجد رسالة جديدة من الشيخ صالح الرفاعي كانت تحتوي علي نفس المضمون ربما ظن الرجل أن الرسالة الأولي ضاعت في سبيلها إلي خورشيد قرأ خورشيد الرسالة الجديدة وهو لا يعرف بماذا يرد علي هذا الشيخ ولكن قاطع تفكيره صوت ضابط يسأله

- هل أنت عبدالله خورشيد كايا؟

- نعم

- معي أمر ضبط وإحضار لك أنت متهم بالخيانة العظمي للدولة العثمانية والباب العالي.

المؤامرة

أتت أيسون أوغلو مبكرا لجولسن كما أتفقا فاستقبلتها جولسن بسؤالها

- هل تواصلت مع هذه المرأة يا أيسون

- نعم قلت لك أعرفها جيدا قابلتها هنا إسطنبول عدة مرات وعندما تقابليها ستتذكريها أنت أيضا

- أنها تنتظرنا الآن

تحركا جولسن وأيسون متجهين إلي بيت جولنار هانم بعد أن أخذت أيسون منها موعد مسبق وكانت جولنار تنظر الضيفة وهي لا تفهم من الأمر شيء

- ما الذي تريده مني أبنة أردال أوغلو أن أبوها زاع سيطه في إسطنبول كلها يسميه زوجي الدساس فهو عين وأذن البطانة الفاسدة حول السلطان ومثل هؤلاء القوم لا يأتي من خلفهم إلا الشر فمن رضي علي نفسه مهنة التجسس وجمع الأخبار لا علاقة لهم بالشرف والاحترام أنهم ككلاب وضعت أمام الدار للنباح عند الخطر يظنون أنفسهم من أهل الدار وما هم غير كلاب أن علي صوتهم قتلهم أهل الدار أنفسهم فأي رياح خبيثة أتت بمثل هؤلاء يطرقون بابي اليوم وصلا أيسون وجولسن إلي بيت جولنار وعندما سمعت جوري طرق الباب همت مسرعة إليه لتجد ضيفتين لم تعرفهم من قبل ولم تراهم منذ أن أتت إلي إسطنبول عندما رأت جولسن جوري تسمرت في مكانها ورمقتها بنظرة تتطاير منها الشرر لم تفهم جوري لما تنظر هذه لي هكذا فوقفا الثلاث متجمدين للحظات قاطعتهم بعدها جولنار بالترحيب بالضيوف ولكن جولنار عرفت مغزي الزيارة بعد أن رأت أيسون أتيه بصحبة جولسن فنظرت لجوري ولم تعرفها علي الضيوف بل أكتفت أن تقول.

- شكرا يا جوري أنهم ضيوفي أذهبي لغرفتك الآنفهمت جوري من نظرة جولنار أنها لا تحب أن تشاركها استقبال المرأتين معها فانسحبت وهي تتسأل من هؤلاء؟

أجلست جولنار ضيفتيها في الصالون لتبدأ أيسون في تعريف جولسن لها

- بالطبع تعرفين جولسن هانم صابانجي يا جولنار هانم

- أعرفها بالطبع أهلا بك

- أهلا بك قالتها جولسن والغرور ينطق من عينيها

وبعد مقدمة مملة قالتها أيسون عن صلة القرابة بينها وبين جولسن وقوة الصداقة بينهما وانتهت في إقحام أسم زوجها في الحديث

- بالطبع تعرفين أن عبدالله خورشيد كايا زوج جولسن ثم

ضحكت سمعنا أنه ضيفكم كثيرا هذه الأيام

لم يعجب هذا الحديث جولنار فأجابت علي الفور

- ليس ضيفا علينا نحن أظنه ضيفا علي الطبيب اليوناني كومانوس أنه طبيب العائلة بمصر وهو يرسل خورشيد بك أحيانا لاصطحاب جولفدان علام وهي ضيفتي من مصر

- بارك الله في بيتكم بيت كرم تستقبلين الضيوف حتي الأتين من مصر ردت أيسون

- جولفدان ليست ضيفة هي ابنة لأحدي أحفاد محمد علي وأمها صديقتي وابنة عمومة لي كما أنها ربيبة الأميرة فاطمة إسماعيل وترعاها كأبنة لها وهي من أرسلتها ضيفة هنا في بيت القنصل المصرينظرا جولسن وأيسون لبعضهما البعض يبدو المهمة صعبة أن جولنار بدأت بالدفاع عن

جوري مبكرا قبل أن ينطقا شيء ولكن هل الخجل والتراجع يعرفان طريق لمثل جولسن وأيسون فاستمرت أيسون في حديثها

- بارك الله فيها ما زالت فتاة صغيرة ولكنك تعرفين إسطنبول يكثر بها القال والقيل

قد وصل حديث لا يليق لجولسن عن زوجها وضيفتك وهي تعلم أنه مجرد افتراء ولكن يجب علينا تنبيهك فوضع خورشيد بك لا يسمح له بذلك هو رجل متزوج له ثلاث صغار ومؤخرا تورط في قضية شائكة مع الباب العالي وبلاط السلطان نفسه ونخشي ما نخشاه أن علاقته ببيت القنصل المصري تزيد الموقف سوء تعرفين العلاقة بين البلدين ليست علي ما يرام.

- لماذا تخلطين الأوراق ببعض يا أيسون هانم ما علاقة البلدين برعاية خورشيد لفتاة صغيرة أثناء رحلتها في إسطنبول ومع ذلك الذي أعرفه أن خورشيد بك وجولسن هانم قد انفصلا من مدة هنا تدخلت جولسن.

- بالفعل ولكنه كان مجرد خلاف نحن في الطريق إلي حله وبالأمس أتفقنا علي العودة تعرفين من أجل مصلحة الأولاد

- جمع الله بينكما بالخير وأصلح حالكم والآن ما هو المطلوب مني؟

هنا عادت أيسون للحديث

- لا شيء عزيزتي بالطبع فقط نحن جميعا هنا سيدات مجتمع لنا سمعتنا وأتينا لهنا ليتضح لكي الصورة كاملة حتي لا

يطولك الأذي من حسن ظنك وكرم ضيافتك بعض الأفعال يقصد منها الخير لا تأتي لصاحبها إلا بالأذي

- لا تقلقي عزيزتي نحن لا يطولنا أذي أبدا طالما نعرف جيدا من نحن

- جيد أذن سنودعك الآن ونراك قريبا علي خير ونتمني ألا يساء فهمنا يا جولنار هانم

- بالطبع لا

ودعت جولنار الضيوف وهي تلعنهم في سرها أفسدتوا علي اليوم يا ضيوف الشؤم وما عادت جولنار للداخل حتي وجدت جوري واقفة والدموع تجري من عينيها تنظر لجولنار وتقول

- أسفة

- علي ماذا يا صغيرتي؟

- قد سمعت كل شيء أعذريني عندما سمعتهم يذكرون أسمي وقفت لأسمع كل ما قالوه أنا أسفة سببت لك الإحراج

- لم تسببي لي شيء يا جوري هنا نقابل مثلهم كثيرا

فالعثمانيون يتعاملون معنا بتكبر في العادة ونحن نعرف كيف نضع لهم الحدود ونهدم غرورهم الزائف

- ولكنني سببت لك مشكلة

- لا ولكن أنا مثل أمك يا جوري هل تحبين خورشيد هذا حقا؟

- صمتت جوري فاعتراف الفتاة بالعشق في هذا الزمان شيء لم يكن بهين فهمت جولنار صمت جوري أنها ردت بالإيجاب فأخذت جوري من يديها وأجلستها أمامها وتمعنت في ملامح جوري لتجد ملامح زينب أمامهم.

- كم تشبهين أمك يا جوري طالما كانت مثلك رقيقة حالمة ولكن أنت تستحقين الأفضل والأفضل بالطبع ينتظرك في مصر هنا في إسطنبول ينظرون لك فتاة عربية مصرية الذي رأيتيه اليوم من هؤلاء المتغطرسين ما هو إلا عينة بسيطة فيما ستواجهين وخورشيد أيضا ليس أفضل ما أتمناه لكي كما سمعتي سيعود لزوجته هل ترضين أن تصبحي زوجة ثانية؟

- بالطبع لا أقبل ولم يفاتحني خورشيد بأي شيء

- أعرفك جيدا يا صغيرتي ستنتصرين لكرامتك وأمامك من الوقت ما يكفي لتقرري قبل أن تغادري إلي مصر .

مر اليوم ولم يأت خورشيد ولم تسمع منه جوري أي خبر ولكن كان في نظارة الحربية أمر أخر يحاك يبدو أن وشايات أردال أغلو لا تنتهي وهو يقف وراء إصدار الأمر باعتقال خورشيد هذه المرة.

وصل خورشيد للنظارة ولكن ليس كالمرة السابقة لم يتم استقباله في مكتب أحد الضباط بل وضعت الأصفاد في يده كأي مجرم تم القبض عليه حاول أن يفهم ولكنه لم يجد من يجيبه لماذا أنا هنا وأي أتهام موجه لي؟ ولكن لا يوجد رد الجميع يتجاهله.

وقع كعصفور في الأسر مر علي احتجاز خورشيد يومين ولا علم لأحد بأنه قيد الاعتقال إلا من دبروا المؤامرة الثلاثيالشيطاني جولسن وأردال وأيسون.

لم يأتي خورشيد لعدة أيام وجوري يكبر الظن والشك بصدرها فيزيدوا من عذاباتها.

- حتي وإن قرر الفراق ليأتي مودعا للمرة الأخيرة ولكنه لم يأتي قررت جوري أن تذهب لكومانوس بعد أن ترددت كثيرا في الذهاب.

- لعله ما زال هناك لا أريده أن يدرك أنني أبحث عنه ولكن من حقي أن أفهم

ذهبت جوري إلي بيت كزمانوس مبكرا رغبة في لقاء خورشيد قبل أن يذهب إلي العمل فوجدت كومانوس مريض ممددا في فراشه وعارف لا يبرح المكان من جانبه

- لماذا لم ترسل لي يا عم أنك مريض هكذا؟

- لم أكن أحب أن أقلقك

- كانت عيني جوري تتجولان في البيت تبحث عن خورشيد ولكن كومانوس حاول تجاهل تساؤلاتها عنه فهو أيضا يظن أنه قرر العودة للقصر لم تستطع جوري الصبر ولكنها انتهزت الفرصة بوجودها مع عارف بعيدا عن كومانوس لتسأله بشكل مباشر عن خورشيد

- أين خورشيد بك ألا يعلم بمرض عمي كومانوس؟

- تنهد عارف وقال لها لا أعرف أين ذهب هذا الرجل منذ أيام لم يعد لهنا؟

- ألم تذهب إلي الوكالة للسؤال عنه؟

- كيف سأترك الطبيب هنا وحده بهذه الحالة كما أنني سألته عن خورشيد بك ذكر لي مرض أبنته وقال لا تشغل الرجل لعله مشغول بمرض ابنته كان كلام عارف تأكيد لكلام جولسن لجلنار لقد عاد خورشيد لزوجته وصغاره

- فليكن ولكن أليس من حقي أن أعرف؟ أليس من حقي

اعتذار أو تبرير؟ كيف له أن يختفي هكذا بلا مبررات؟ هل

أسأت فهمه لم يكن هناك ما يربطه بي أساسا ليجدني أستحق التبرير حتي كادت دموع جوري تجري علي وجنتيها حتي جففتهما ليست أنا من يبكي غدر الأخرين بي؟

أمضيت جوري اليوم والحزن يقتلها وعذاب الشوق لخورشيد يحرق جوفها فاليوم تظن أنها لن تري خورشيد ثانيا أبدا

- يجب أن أكرهه فلما يقتلني الشوق له لما أشعر بالحنين له

بداخلي مشاعر تتخبط جميعا كل منها يخالف الأخر ويعاكسه الاتجاه إن هذا الحزن سيبتلعني إن لم أحاول أن أخرج نفسي منه.

أنتهي اليوم وعادت جوري إلي بيت جولنار حاولت جلنار معرفة الأخبار من جوريولكنها لم تحتاج إلي ذلك رسم كل شيء علي وجه الصغيرة ونطقت الأحزان من عينيها بما كانت تريد أن تتأكد منه جولنار فعرفت أن قصة الحب القصيرة انتهت سريعا حاولت جولنار أن تحتوي جوري بعطفها وأن تخفف عنها

- ما زلت صغيرة أعرف أنها أولي صدماتك يا حبيبتي ولكن هذه هي الدنيا وهذا عالم الرجال يختلف عما نفكر به نحن

النساء فالحب عند المرأة هو الحياة نفسها وعند الرجل مجرد زينة يجمل بها حياته ويخفف عن نفسه به ستظل مجرد ذكري يا جوري والأيام كفيلة لتمحيها.

لم تستطع جوري أن تتماسك هذه المرة فجهشت بالبكاء وارتمت في أحضان جولنار بكت كما لم تبكي من قبل ربما بكت كل أحزانها بكت لفقدان الأب والسند بكت لفقد الأم وصدرها الحنون بكت شعور الوحدة في عالم موحش مظلم بكت علي حب ولد عملاقا ليموت.

- أريد العودة لمصر أرجوكي ساعديني علي الرحيل من هنا.

نظرت جولنار لجوري فوجدت إصرار حقيقيا للعودة وبدي لها هذا أفضل للفتاة لا داعي للبقاء في إسطنبول بعد أن وصلت القصة لهذا ولنتجنب شر هؤلاء القوم وجود جوري في إسطنبول أصبح بابا سيفتح للمشاكل نحن في غني عنها .

- حسنا يا جوري إن كنت تصرين سوف أحجز لكي علي أول باخرة ستعود لمصر شكرت جوري جولنار علي كل شيء وعادت لغرفتها مهزومة تكاد لا تحملها قدميها

ستعود إلي مصر بجرح لن تنساه ما حييت.

أرتمت جوري علي فراشها ودموعها تنهمر مثل سيل لا يقف يسير وديان علي وسادتها مضي ليل حزين لم تعرف جوري مثله من قبل كان أول لياليها الحزينة كانت تنظر للحياة من قبل اليوم بعين الجمال فلا تري الشر ولا تدركه ولكن يبدو أن الظلام كان يتربص بها ينتظر الفرصة ليداهمها وينقض علي فتاة النور.أما خورشيد كان يقضي لياليه في محبسه.

وحيدا شاردا لا يدرك أي فخ هذا الذي وقع فيه وأي شرك قد نصب له ولكن لم يكن شيء يخفف عنه لتمضي الليالي الطوال إلا التفكير في جوري يتذكرها يتذكر ابتسامتها ومواقفها البريئة العفوية فيضحك ثم يعود ليتجهم مرة أخري.

- أين أنت يا جوري لم تسألي عني؟ ربما سألت ولكن لم

يسمحوا لها بالزيارة كان يغمض عينه لتزوره جوري بالحلم تنتظره عند خروجه من محبسه فيقبل عليها ليحتضنها فيزول حزنه وآلامه لم يكن يتخيل أن مؤامرة دنيئة يمكن أن تفرق بينهما يوما ولكنه كل ما يدور في عقله فقط عندما أخرج من هنا يجب أن أصارحها بمشاعري تجاهها رغم أني أعرف بعلمها بما يدور بقلبي دون أن أتحدث لا شيء أندم عليه غير

أنني لم أصارحها منذ وقت طويل بكل ما يدور بداخلي تراها تعلم أنها ملئت قلبي بعشق لا يضاهيه شيء في الحياة تعجز كل كلمات العالم بوصفه صارت جزء مني لا يمكن الحياة بدونه هكذا كان يقضي خورشيد الليالي الطويلة في محبسه ولم تكن جوري أوفر حظا منه لياليها الحزينة صارت ظل لا يفارقها كان موعد باخرة جوري قد حدد بعد أيام قليلة من حديثها مع جولنار وذهبت جوري لتوديع كومانوس الذي داهمه المرض والحزن في تحالف ظالم علي الرجل العجوز لم يكن الحزن لفراق جوري وبداخله يقين أنه اللقاء الأخير ولكن الحزن علي الشعور بالخذلان من أفعال خورشيد والأسي علي ما صاب قلب الصغيرة جوري فشعوره بالذنب والتقصير تجاه جوري يقتله فبعد أن أرسلت جولسن السائق ليأخد كلمتعلقات خورشيد من منزل كومانوس ظن الرجل أن خورشيد يتهرب من مواجهته.

كان كومانوس يقول لنفسه جعلت الصغيرة مجرد نزوة لرجل لم يقدرها تركته يتلاعب بمشاعرها البريئة أمام عيني ولم أتدخل بئس الآباء أنت يا كومانوس لم تحفظ عهدك لزينب ولم تحمي ابنتها بل كنت سببا لانكسار قلبها الصغيرة.

جاءت جوري لتودع العم وتخبره أن الرحيل غدا لم يجد كومانوس كلمات تعبر عن حزنه من أجلها هي لم تصارحه يوما بحبها لخورشيد فلا جدوي من الكلام لأنه سيزيد من أسي وحزن الصغيرة، ولكنه أراد أن يخفف عنها فأخذها إلي مرسمه السري في منزله لتري لوحات والدتها انبهرت جوري بالوحات وامتزجت ابتسامتها بالدموع واست نفسها بوفاء كومانوس لأمها ما زال يوجد في هذا العالم وفاء وحب صادق.

طلب كومانوس أن تختار من اللوحات ما تريد لتأخذه معها لمصر لم تفهم جوري طلبه كيف يتخلي عن لوحات تواسيه في أحزانه وغربته.

- هل أنت متأكد من طلبك هذا هل أخذ لوحات أمي معي هل تريد أن تنساها؟!

- لا يستطيع الإنسان أن يوقف نبضات قلبه ولا يحبس أنفاسه بيده فكيف لي أنا

أن أفعل؟

- فلم تطلب أن أخذ لوحات أمي معي

- لم يعد في عمر عمك كومانوس الكثير كانت هذه اللوحات هي سلوي قلبي في الغربة ولا أريد أن أتركها عندما أرحل وحيدة مثلي في هذه البلاد عودي بها إلي الوطن يا جوري روحي معلقة بتلك اللوحات ستعود روحي معها إلي مصر .

- إذن فلتعود معي أنت أيضا

- قلت لك لا يوجد متسع من الوقت في عمر عمك كومانوس عاش غريبا وسيموت غريبا

- لم تستطع جوري الرد غير بالدموع.

ضم العجوز يديها الصغيرتين وقال

- ليس لي من الأولاد أو أقارب يذكروني بعد رحيلي ليس لي إلا أنت يا صغيرتي لا تبكي عديني فقط أنك لن تتخلي عن سعادتك ابدا لا تقايضي الحياة يوما علي سعادتك فمهما منحتك الحياة بدائل ستظل السعادة وراحة البال أفضل ما يختاره الإنسان استمعت جوري لكلمات كومانوس بانتباه وجففت دموعها بيديها وشدت علي يد العجوز ونظرت في عينه

- سأفعل أعدك أنني لن أتخلي عن البحث عنها دائما

أبتسم كومانوس وهو يري ذلك البريق في عيني جوري فتأكد هذه الصغيرة تملك قوة لا تهزم وهذا ما جعله يشعر بالاطمئنان عليها .

أخذت جوري من لوحات والدتها ما تستطيع من نقله معها وتركت البعض لكومانوس

- ستعيش كثيرا يا عم لا لتأنس بهذه اللوحات بل لترسم غيرها وسأتي يوما لأري المزيد.

تعمد كومانوس ألا يذكر خورشيد تماما لجوري ولكنها أثناء الوداع تركت في يده رسالة فنظر لها كومانوس متسألا

- لمن تكون تلك؟

- أنت تعرف لم تكون أرجوك أحرص علي أن يتسلمها بعدما أن أرحل.

غادرت جوري منزل كومانوس وهي تتلفت وكأنها تنقش شكله في ذاكرتها لن تنسي هذا المكان ما عاشت بين هذه الجدران فقد خط أول سطر في قصة عشقها الأول وربما الأخير.

أوصل عارف جوري إلي منزل جولنار وودعها هو أيضا يري بها الوطن جوري لم تكن لعارف مجرد فتاة يراها كأبنته ولكنها كنسائم لطيفة هبت من مصر فداعبت الحنين للوطن في قلب الرجل مسح دموعه وأوصاها علي الحرص خلال رحلتها لمصر وأوصته هي علي عمها كومانوس وأن يرسل لها دائما أخباره وما يخفيه عنها من مرضه.

أما خورشيد زفت له البشري في محبسه قد جاء من يزوره والزائر امرأة لم يحدد له هذا العسكري هويتها فقط امرأة طلبت زيارتك فوافق خورشيد علي الفور علي الزيارة وذهب معه.

- هي جوري بلا شك حبيبتي الصغيرة حاول خورشيد اصلاح مظهره وهو يخطو مسرعا خارج محبسه كأنه ذاهب إلي موعد غرامي نسي السجن والسجان والظلم الواقع علي كاهله ولم يذكر إلا أنه سيراها، لكن خبث الشيطان كبير.

يدخل الحزن للإنسان من مواضع فرحه يستبدل الأمل باليأس يحول الثقة لخذلان والسعادة لحزن لا ينقض عليك الظلام إلا من أبواب طرقتها بحثا عن النور ولا يستطيع خنجر الخيانة أن ينفذ لصدرك إلا عند شعورك بالأمان خطة خطها الملعون منذ بدأ الوجود والإنسان نسب للنسيان فيقع في نفس شرك في كل مرة ولكن الله دائما موجود.

دخل خورشيد لغرفة مظلمة يأتيها نور الشمس من نافذة صغيرة تعلو الجدار وتلتصق بالسقف فنزلت أشعة الشمس علي الأرض منكسرة ذليلة يشوبها ذرات الغبار التي علقت في هواء الغرفة وكانت سيدة تجلس في برود علي كرسي وأمامها طاولة خشبية صغيرة عندما لمحها خورشيد من الوهلة الأولي هي ليست جوري بالطبع لو كانت جوري لرأها قلبه قبل عينه ولتنفس عبيرها من بعد نظر خورشيد للمرأة ليعرف من تكون بعد أن طعنه اليأس طعنة نافذة في صدره أنها جولسن مما زاد علي يأس وحزن خورشيد الضجر هي أخر إنسان يريد أن يراه الآن ولكنه جلس أمامها علي الكرسي المقابل متسألا .

- هل الصغار بخير

- نعم نحمد الله

- لماذا أتيتي أذن؟

- للاطمئنان عليك

- علي أنا

صمت قليلا لينظر إليها حاولت أن تخفي عينيها عنه لتخفي نظرات التشفي وجاهدت نفسها لترسم علي وجهها تعابير التأثر والمواساة فعاد ليسأل.

- من أخبرك

- أيسون قد عرفت مؤخرا من والدها ولم يجعلها تكمل الحديث.

- ومن غيره يعلم بأمر اعتقالي وهو من سعي له

- لا تظلم الرجل أنه يحاول جاهدا في التوسط لخروجك من

هنا وهو من أرسل لي أيسون لتعلمني بسبب اعتقالك لتأخرك في إرسال ما طلب من من مؤن للجيش

- أذن التأخر في إرسال متطلبات الضباط هي سبب حبسي هنا أم وشاية أردال أوغلويا جولسن؟

- لا يهم المهم الآن أنني تواصلت مع بعض التجار من

أصدقائك بتحضير كل المتطلبات وسيتم شحنها كما أرادوا في أقرب وقت وبعد ذلك سيصدر أمر الإفراج عنك.

- ومن دفع لهم ثمن هذه البضائع.

- أنا بالطبع أنا شريكتك وزوجتك يا خورشيد من غيري يجب أن يصلح هذا الأمر

- كان هذا في الماضي يا جولسن.

- لا تجعل عنادك يعمي عينك عن الحقيقة أنا وأنت لا غني لأي منا عن الأخر كلا منا لا يمكن الاستغناء عن الأخر كتب لنا طريق واحد في نهايته مصلحة أبناءنا سمع خورشيد لكلام جولسن دون أن يكون له بداخله

أي صدي جولسن لا تفكر إلا في نفسها دائما ولكن ما الذي أتي بها إلي هنا اليوم ربما أنها فكرت في الأمر كثيرا فوجدت أن صدور أحكام ضدي ليس في مصلحتها الشخصية حاول أن يحافظ خورشيد علي هدؤه وأخذ نفسا عميقا ثم قال

- ماذا تريدين الآن يا جولسن

- لا شيء سوي أن تخرج لتعود لأبنائك

فهم خورشيد مخزي جولسن من الزيارة أتت للمساومة كالعادة مساعدته علي الخروج من محنته مقابل العودة له ولكن هل يوجد لديه بديل الآن

- تمام فلتتفقي مع التجار وليكن هذا الدين علي لكي أسدده بمجرد الخروج من هنا

ابتسمت جولسن ورسمت علي وجها فرحة النصر لقد التقطت الفريسة الطعم وقد وقع خورشيد في شباكها مرة أخري.

غادرت جولسن المكان وقد وقع في قلب خورشيد فوق الحزن حزنا أنه يعرف تماما أنه وقع في شرك جولسن مجددا أنها كأنثي العنكبوت تنسج حوله خيوط شباكها مجددا أمام عينه وقد شلت أرادته فلا يقوي من الهرب منها.

عاد الرجل إلي محبسه منهزما عاد ليس كسجين ولكن عاد كأسير يعلم أنه قريبا سيخرج من سجنه هذا إلي سجن أوسع وأكبر في عودته لمحبسه ثقلت خطاه وتخبطت كما لو أن أغلالا علقت بقدميه جلس في محبسه وسند رأسه التي كادت تنفجر بين كفيه.

- أين أنتي يا جوري الآن؟!

ولكن جوري المسكينة لم تكن أفضل حال منه كانت كورقة وقعت من فرع الشجرة فتقاذفتها الرياح.

فبعد عودتها من زيارة كومانوس أتت الأخبار من جلنار بما لا تشتهي السفن فقد تأخر موعد السفر لظروف الحرب ولكن جولنار لم تشأ أن تظل جوري في إسطنبول بعد الآن وخاصة بعد أن حكت لزوجها زيارة أيسون أوغلو وقريبتها جولسن صابانجي مما ثار تحفظ الرجل والخوف من اللغط والحديث عنه وعن أهل بيته وغير ذلك مما يمكن أن يسببه ذلك الدساس أوغلو من مشاكل يمكن أن تسبب في أزمة بين القنصلية والحكومة العثمانية ولذلك اقترحت جولنار علي جوري أن تذهب معها إلي الضيعة الخاصة بزوجها في أزمير وقد كان متعارف علي الأجانب ممن يحبون الاستثمار في تركيا شراء أراضي زراعية بأزمير لخصوبة الأراضي هناك وجوده محاصيلها وكما أن النشاط التجاري بأزمير مزدهر وهي من موانئ التجارية الأهم في تركيا .

لم تعارض جوري فكرة الذهاب إلي أزمير أي مكان سيكون

أفضل من البقاء في إسطنبول واحتمالية لقاء خورشيد كما أن جولنار وعدت جوري أنها ستحاول أن تجد لها مكانا علي أي من السفن الذاهبة إلي مصر من ميناء أزمير ويمكن أن يكون هناك حظ أوفر في وجود أماكن خالية علي البواخر من الفرص في إسطنبول فمعظم العرب في إسطنبول قد عزموا تركها والعودة لبلادهم بعد إعلان الحرب أعدت جوري الحقائب فقد عزمت علي الرحيل من اسطنبول تماما فليكن الرحيل من أزمير أي ميناء ولكن لا عودة إلي إسطنبول مرة أخري.

قررت جولنار الذهاب إلي أزمير عن طريق البحر فهو آمن عن السفر بالقطار فالسكك الحديدية أصبحت مستهدفة بعد أن دخل سلاح الطيران في الحرب للمرة الأولي فمن قبل الحرب العالمية الأولي كانت الحروب في ميادين المعارج وعلي الجبهات أو الحدود مع العدو ولكن بعد أن حقق

الإنسان حلمه في الطيران حول الحلم إلي كابوس بتحويله تلك الطائرات إلي ألات حربية فنقلت الحروب إلي العمق الاستراتيجي داخل الدول ولم تعد تقتصر ويلات الحرب ومخاطرها علي ميادين المعارك فقط وأصبح الطيارون هم فرسان العصر ويتم تكريمهم وتمجيد بطولاتهم ولم يكن كل ذلك متعارف عليه قبل الحرب العالمية الأولي توجها كلا من جولنار وبصحبتها جوري إلي أزمير لم تكن الرحلة قصيرة وممتعة مثل تلك إلي بورصة فالمسافة أطول والرحلة مرهقة وربما هي الوحدة والشعور بالحزن ساهما في شعور جوري بالإجهاد والتعب خلال الرحلة فقد ألتزمت الصمت تماما وأكتفت بتأمل أمواج البحر وهي تصارع تقدم السفينة كانت هناك رياح قوية وطقس غائم كأن البحر ثائر عضبا علي فراق الحبيبين ولم لا وهو الشاهد الأول علي قصتهما ربما كانت الأمواج تحاول عرقلة جوري عن الرحيل بعيدا عن الحبيب، وربما تلك الرياح قد ملئتها زفرات ضجر وحزن خورشيد من محبسه كل شيء بدا وكأن الطبيعة غاضبة من تلك المؤامرة علي الحبيبين، ولكن ليت الطبيعة لها ألسن تنطق مثل البشر لتخبر العاشقين بالحقيقة ليت لها ذراعين لتمدهما لتمسك بالحبيبين قبل السقوط في الشرك الذي نصب لهم ليت ولكن القدر له الكلمة العليا دائم أمامه تخضع كل مظاهر الحياة.

وصلت جوري لأزمير ولكن كان بداخلها شعور يخنق أنفاسها يعذبها ويؤلم قلبها الصغير لم يكن الأمر بالسهولة التي كانت تتصورها لم تهدأ مشاعرها ولم يصفا بالها منالتفكير بل زاد البعد من الوجع واشتعلت نيران الشوق بجوفها فمرض جسدها النحيل احتارت جولنار في أمر الفتاة الصغيرة فقد كاد جسدها يشتعل من سخونة الحمي التي أصابتها مما جعلها ترسل إلي الطبيب لإسعاف الفتاة لم يتم تشخيص مرض جوري بشكل واضح قال الطبيب ربما أصابها دوار البحر ولكن جولنار لم تقتنع فجوري أتت من مصر علي ظهر سفينة قطعت أضعاف المسافة التي بين إسطنبول وأزمير ولم يصبها شيء.

مرت علي جوري ثلاث أيام وما تكاد تهدأ الحمي حتي تعاود لمهاجمتها مرة أخري جنت جولنار من القلق علي الفتاة حتي خشت أن تفقدها زاع وصول جولنار في أزمير فأتي من الزوار و الضيوف الكثير من العرب الموجودين بأزمير للترحيب بها وبضيفتها القادمة من مصر وكانت جولنار لا تخفي عن ضيوفها قلقها البالغ علي الصغيرة حتي أشارت عليها أحداهن عرضها علي الطبيب المصري القادم من إنجلترا طاهر هلال وهو طبيب ذاع صيته بين أهالي أزمير العرب والأتراك علي حد سواء لم تتردد جولنار في استدعاء الطبيب المصري والذي لم يتواني علي تلبية طلبها وخاصة بعد معرفته بأنها زوجة القنصل المصري وما أن حضر الطبيب حتي شرحت له جولنار ما أصاب جوري من مرض وحمي لازمتها عدة أيام تفحص الطبيب جوري ولاحظ هذا الالتهاب في أحبالها الصوتية فقد أحتبس صوتها ولم تعد قادرة علي الكلام إلا بصعوبة أخبر الطبيب جولنار بتشككه بإصابة جوري بحمي التيفويد وقد كان مرضا قاتلا في هذا الزمان.

ارتعبت جولنار من شكوك الطبيب ولكنه حاول تهدئتها بأن المرض أصبح له علاج وأن الإصابة في البدايات ويمكن علاجها وبأنه أشرف علي علاج الكثير من الحالات المماثلة وتماثلت جميعها للشفاء.

اقتنعت جولنار بكلام الطبيب فقد ظهر عليه البراعة في التشخيص والخبرة في مجاله رغم صغر سنه ولكن ثقته في التشخيص ووصف العلاج جعلتها تتيقن أن السمعة التي أكتسبها الشاب ليست من فراغ.

بدأت جوري في التحسن للمرة الأولي منذ وصولها لأزمير وبدأت تسترد وعيها لتجدشاب أسمر اللون طويل القامة يبدو عليه الملامح المصرية يبتسم لها ويطمئن بتحسن حالتها وليعرف عن نفسه طاهر هلال طبيب مصري والمشرف علي علاجك منذ أيام لم تكن حالة جوري الصحية

والنفسية تساعدها علي الاستفسار عن أي شيء يدور من حولها لا شيء خطر لها في هذه اللحظة غير التفكير في خورشيد أين أنت يا خورشيد؟

وبعيدا عن أزمير ووسط صخب أخبار الحرب التي ملئت شوارع إسطنبول كانت هناك طبول حرب أخري تدق ويعد لها العدة في قصر صابانجي للسطو علي خورشيد وكل ما يملكه فبمجرد خروج خورشيد من محبسه حاولت جولسن جاهدة بالاستحواذ عليه ومحاصرته بكل ما تملك من ضغوط فهاهم الصغار وفرحتهم الغامرة بعودة والدهم ودموع التوسلات بعدم البعد عنهم مرة أخري وهاهم التجار يضعون الفوائد علي مديونية خورشيد لهم والتي تعهدت جولنار بسدادها لو تعثر في السداد.

أما خورشيد فقد أصبح كطفل ضائع وسط المدينة بعد أن علم برحيل جوري من كومانوس والذي لم يكن يعلم بأن جوري ما زالت بتركيا وأنها رحلت فقط لأزمير وقع خبر رحيل جوري علي خورشيد كصدمة لم يستوعبها قلبه قبل عقله كيف لهاأن تتخذ مثل هذا القرار دون أن تحاول التحقق في حقيقة الأمر؟!

فقط تركت له رسالة تودعه وتتمني له الخير، ربما لم يكن الأمر بالنسبة لها بالأهمية التي رسمها في مخيلته ربما هو واقع في عشق أفلاطوني ليس له صدي في قلب الفتاة.

- هل كان وهم رسمه يأسي من الحياة ظننت أن عشقي هو قارب النجاة فغرق وأخذني معه للقاع كل ذلك كان يدور بداخل خورشيد ولا يبوح الرجل تنظر له كجبل شامخ وقف يعاند الحياة ولا أحد يعلم أن بجوف الجبل يتكون بركان وشك علي الانفجار.

مرت علي خورشيد ليال سود طوال لم يعد حلم جوري يداعبه كانت كظلال باهته تأتي له وتختفي زلزل ثقته بعشقه بات لا يعرفه يشك في كل شيء كل الظنون واردة الآن لتلك الليالي قربت خورشيد من الله فهو

ملجأه الوحيد الآن كان يتضرع في ليالي حتي تغسل الدموع وجهه ليأتي الصباح يسير بين الخلق وكأنه ملك الأرض وما عليها ملكا خرج من المعركة منتصرا فلا أحد يشعر بضعفه غير خالقه لم يعد مفر من الرجوع إلي جولسن أصبحت تطارده بمعروفها عليه وتزيد في تشجيع الصغار علي الضغط علي خورشيد بالإلحاح مرة والبكاء مرات لم يعد مهم بعد الآن الرجوع لجولسن أو الخضوع لها لن يضيف ذلك أو ينقص شيء تساوت التعاسة والسعادة في عينه لا يوجد شيء حقيقي يستحق خوض الحروب من أجله.

حددت جولسن موعد لعقد القران حضر أردال أوغلو وابنته وبعض أقارب جولسن كان بالنسبة لخورشيد مجرد كابوس يريد أن يستيقظ منه ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يكون عند توقيع عقد الزواج شرد خورشيد قليلا ربما أراد التراجع ولكن هل كل عقود الزواج كانت عهود عشق وغرام ربما أكثرها كانت عقود تحالفات وشراكة خطت بين عائلات وليس أفراد ولكن فضل شخصين تقمص الأدوار ليقنعوا أنفسهم قبل الأخرين بالأدوار التي رسمت لهم وكتبت خطوط وملامح شخصيتهما في تلك المسرحية جيدا فيتقمص كل منهما شخصيته إلي النخاع ولا يخرجوا عن النص يوما فغير المسموح والمألوف مواجهة بعضهما البعض بالحقيقة ولكي يتجاوزوا الفشل في الأداء المسرحي هذا تجدهم يتحدثون عن الأقدار وينسبون جبنهم وتخاذلهم لقدر هو براء منهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولكن لا يوجد لديهم خيارات أخري فلن تقبل أعذارهم الحقيقية مجتمع يرفض الحقيقة.

وقع خورشيد عقد زواجه من جولسن في مشهد معاد من مسرحية قديمة يحفظعن كثب جميع فصولها ولكنه مرغم علي إعادة العرض مرة أخري لإرضاء الجماهير حاول إرضاء غروره كرجل شرقي دائم المحاولة لإقناع ذاته بأن زمام الأمور بيده وهو سيد قراره فأقنع نفسه أن العودة

من أجل الأبناء وتلك التضحية من مفردات أبوته ليست أكثر ولكن نظرة النصر في عين جولسن وأردال أوغلو لم تترك له الفرصة لإقناع ذاته وأسكت ذلك الصوت بداخله يحضه علي التمرد والهروب من الشرك.

أنتهي الاحتفال الذي كان يشبه حفلة التأبين لمتوفي مذموم كريه الذكري لا يوجد ما يذكر له من محاسن ذهب الجميع وتركوا السجين وحده في قصر صابانجي لم تكن جولسن تنتظر من الرجوع لخورشيد وصل ما قطع ولا إحياء لما كان فلا حياة لمخلوق لم يكن من الأساس كل ما كان يدور بعقلها استعادة كرامتها المهدورة وإعادة الصورة المزيفة لمكانها القديم في عيون مجتمعها السطحي الكذاب فاعتذرت من خورشيد بحجة شعورها بالإرهاق والتعب بعد التحضير للحفل وذهبت لتخلد للنوم كقاطع طريق عاد ظافرا منتصرا بعد غارة علي قوافل الشرفاء.

أنتهز خورشيد الفرصة وذهب إلي مقعده في الحديقة بجانب ورد الجوري فلم يجده اختفت الزهور مبكرا فلقد أتي الشتاء مبكرا عن موعده هذا العام فلم ينصدم أن الجوري تخلي عنه هو الأخر فنظر للسماء يبحث عن الرحمة والخلاص تنهد ولم يعرف كيف خرجت منه.

- أين أنتي يا جوري؟

في أزمير كانت جوري تتعافي للشفاء يوما بعد يوم علي يد

الطبيب المصري طاهر في الأيام الأولي فرض الطبيب عزل صحي علي جوري فلم يعد يدخل لها أحداً ويمرضها غيره هو وتلك الممرضة التي أتي بها لرعاية جوري ولأن جوري كانت تشعر بالضجر والوحدة كان يحاول الطبيب التخفيف عنها فصار يمازحها ويتنمرعليها كثيرا في محاولة منه لإخراجها من حالة الكأبة المرسومة علي وجهها وجدت جوري في طاهر الروح المصرية التي امتزجت جدها بالهزل فشعرت كأنها عادت للوطن تحدثا كثيرا قص لها طاهر عن نشأته البسيطة القروية

وبداياته في حفظ القرآن الكريم في كتاب القرية وعن شيخه الفاضل الذي تبناه وحاول مساعدته علي الالتحاق بالمدرسة وكيف أنتقل من قريته إلي القاهرة ليلتحق بالمدرسة الثانوية ومنها علي مدرسة الطب العليا وهناك قابل بروفيسور إنجليزي زائر هو آدم ويندسور كان يدرس الأمراض المستوطنة بالشرق الأوسط فوجد في طاهر الطالب الدؤوب محب العلم والمساعد المجتهد المخلص فعرض عليه أن يصاحبه ليكمل دراسته في إنجلترا في جامعة كامبردج وهيمن أعرق الجامعات في العالم فلم يتردد طاهر في تلبية هذه الدعوة والسفر إلي هناك كان طاهر يقلد أساتذته الإنجليز بشكل ساخر وهو يحكي قصصه لجولفدان وكانت جوري عرفت نفسها للطبيب باسمها الحقيقي جولفدان ولم ترغب أن تعلن له عن اسم جوري ربما تحفظا منها علي عدم التبسط معه كانت صدمتها في خورشيد قد أكسبتها نوعا من الحذر والتوجس مع الغرباء لم تعد الطفلة التي قابلت خورشيد فضلت أن تكون جولفدان عن أن تكون جوري، أما طاهر فيبدو أن له طبيعة مغامر يحب الاقتحام ولا يوجد عنده تحفظ يري أن القواعد خلقت ليضرب بها عرض الحائط فمعظم حديثه يأخذ شكل الهزل ولا يعرف جده من هزله إلا من تعود عليه وتعرف عليه جيدا وهذا ما جعل جوري وجولنار يجدوا صعوبة في أول الأمر في التعامل معه فهو مصري مثلهم ولكنه لم يأتي من نفس الطبقة الأرستقراطية التي تحيط بهم ولكن جوري لم تمضي وقت طويل حتي وجدت الطريق في التواصل معه وفهمه فهو يذكرها بطفولتها الأولي وسط المزارعين في الفيوم وأصول طاهر ليست بغريبة عن جوي قد عاشت وسطها يوما حتي وأن لم تكن بنفس الظروف لاحظ طاهر أن المرض ليس سبب في اكتئاب جوري وحزنها الدائم حتي عندما تضحك يظل هذا الألم محفور بأعماق عينيها ربما الغربة وربما اليتم هم سبب شقاء هذه الفتاة ولكن كان طاهر يعجب بعقل جوري يوما بعد يوم في وجهة نظره من الصعب أن تجد فتاة شرقية تحظي بهذا العقل الراجح المحب حقا للمعرفة دون تصنع أو إدعاء الثقافة ولكن جوري كانت في عالم موازي للواقع فلم تلحظ حتي إعجاب

طاهر بها أو اهتمامه كانت تزاحم الأفكار داخل رأسها لا يدع مجال لأي طارق يخترق عالمها وربما بدأت جوري في بناء جدران عالية حولها إن جرح واحد كفيل لفتاة ذكية لبناء الحصون والقلاع حولها لحماية نفسها من أي حرج جديد، ولكن جوري وجدت في طاهر الصديق وربما الأخ الذي لم تنعم به من قبل لم يكن الفارق العمري كبير بينهما فطاهر لم يبلغ الثلاثين بعدوجوري في العشرين من عمرها كان يوجد اهتمامات كثيرة يمكن لجوري أن تشاركها مع طاهر رغم اختلاف النشأة بينهما ولكن الميول تبدو واحدة كان طاهر كاتب بارع يحب السياسة ويتتبع أخبارها ليس في مصر وحدها ولكن بالعالم أجمع ويعشق ربط الأحداث ببعضها هنا وهناك وطالما يقارن بين حاضر وماضي الشعوب فهو مؤمن بأن الحاضر والمستقبل لا يمكنهما الانفصال عن الماضي كان حديثه يثير أعجاب جوري وليست جوري فقط بل جولنار أيضا التي تنبأت له بمستقبل سياسي في مصر بعد عودته حتي وإن أعترض طاهر نفسه علي ذلك فكان يقول.

- لم أسمع يوما عن وزير فلاح في مصر حتي الآن ولكنني لن أعارض أن أكون الأول ثم ينظر لجوري التي كان يدعوها بورد وكان هذا الاسم يثير غضبها في أول الأمر ولكن طاهر كان يقول لها ورد الجوري هذا ندعوه نحن الفلاحين بالورد البلدي وأنت مصرية ولست شامية كما أن اسم ورد هو الجزء الثاني من جولفدان ورد فليكن اسمك ورد ليسهل علي نطقه وبعد الاعتراض لعشرات المرات استسلمت جوري لاسم ورد وصار طاهر لا يدعوها إلا ورد كان طاهر يحب أن ينظر لجوري وهو يذكر دائما أنه فلاح ليري انطباعها علي هذا فلم تبدي جوري أي من انطباعات التعالي كونها تنتمي لطبقة أرستقراطية بل ذهبت لتمازحه في ذلك وتدعينها الأخرى أتت من الفيوم فلا يغره مظهرها هي الأخرى فلاحة كان ذلك يزيد من أعجاب طاهر لها ولكن كل رسائله ونظراته لم تصل لجوري أن حبها لخورشيد موجود في مكان مكنون أمين داخلها لا يسمح بمرور أغراب.

مرت الأيام وتعافت جوري تماما وعادت لرغبتها للعودة للوطن وقد وعدها طاهربأن يجتهد في البحث عن أول باخرة لمصر ليعودا عليها للوطن فقط كان طاهر هو الأخر في انتظار باخرة تقله إلي مصر بعد أن أنهي أبحاثه في تركيا. وفي يوم دعا طاهر جوري للخروج معه في أزمير وقد كانت تلازم المنزل منذ وصولها أزمير في أول الأمر كان بسبب مرضها ولكن بعد أن تعافت وشفيت كانت ترفض الخروج وربما هذا بسبب حالة الاكتئاب التي تمر بها، ولكن جوري قوية بما يكفي لتتعايش مع جروحها دون أن يلاحظها أحد ولذلك وافقت جوري ولم تمانع جولنار التي تمنت أنيجمع جوري وطاهر ما هو أكبر من الصداقة أخذ طاهر جوري لقلعة كاديفيكالي القلعة المخملية وهي قلعة تقع فوق جبل باغوس وكانت هذه القلعة تعود لرومان وفقط بنيت في القرن الثالث قبل الميلاد وهذا تحديدا ما كان يعجب طاهر بها فهي تذكره بالأثار المصرية العتيقة كما أنه يكره العثمانيين ويحقد علي كل ما يخصهم ولم يجد حرج في إبداء ذلك أمام جوري كان يقول.

- أمقت هؤلاء العثمانيين المتغطرسين كثيرا يا جوري أنهم

جراد الحضارات ما من بلد دخلوها إلا أن نقلوا كل نفيس وغالي من ثروات وخيرات وحتي العمالة النادرة إلا وسلبوها وأتوا بها إلي هنا في بلادهم.

- ولكن السلطان عبد الحميد هو خليفة بلاد المسلمين يا طاهر.

- هل تصدقين هذه الأكذوبة؟! أنتي أكثر ذكاءا من أن يتم خداعك بهذه الخرافات أي خليفة هذا الذي لم ينصر الإسلام يوما أين كان من حملة الفرنسيين علي مصر دخلوا الأزهربخيولهم هل سمعتي بجيش من العثمانيين ثار لذلك لم يخرج الفرنسيين ويقاومهم غير المصريون أنفسهم يا ورد كما سنخرج الإنجليز يوما منها.

- ألا تحب الإنجليز يا طاهر بعد كل هذه الأعوام التي قضيتها في إنجلترا؟

- أنا لا أحب احتلالهم لبلادي أكرهم نكرانهم عليا الغيرة علي بلادنا أن الرجل إنجليزي يشعر بغيرة من الفرنسي علي بلاده ويمقت تعالي الألمان عليها فكيف لا أغار أنا المصري علي بلدي التي جاءوها محتلين طامعين بخيراتها.

- قرأت يوما عن هوجة أحمد عرابي وحزنت علي نهايته.

- لم تكن هوجة يا ورد كانت ثورة عرابية مباركة أجهضتها الخيانة

- خيانة من تقصد؟!

- بالطبع الخديوي توفيق وبعض قلدة الجيش من الشركس.

صمتت جوري قليلا وأحنت رأسها

- أرفعي رأسك يا جوري أنتي مصرية أنت أبنة باشا حقا

ولكنه من عائلة مصرية وأنا لا أقول أن أسرة محمد علي خائنة أنا أخص توفيق فقط ولكن يوجد بها الكثير مما نحسبهم مصريون وعلي رأسهم الأميرة فاطمة إسماعيل كم عظيمة هذه المرأة سمعت عما تقدمه لإنشاء أول جامعة مصرية.

- هي كذلك يا طاهر سيسعدني أن تقابلها بعد عودتنا إلي

مصر إن شاء الله.

نظر طاهر إلي جوري وقال وهو يبتسم

- عندما يأذن المولي سأقابلها بكل تأكيد

تجولا جوري وطاهر بالقلعة ولم تكن جوري تفكر إلا بتشابها مع قلعة روميلي ولكن لا شيء يشبه قلعة روميلي حسنا في ربوعها سمعت جوري أول دقات القلب لا شيء يشبه لقاء الحبيب حتي وأن غادر ورحل، ولكن طاهر فاجأ جوري بخبر عن باخرة ستقلع خلال أيام من أزمير إلي الإسكندرية وأنه قام بحجز أماكن لهما للعودة لمصر.

استقبلت جوري الخبر بفرحة مستعارة حاولت إبداء السعادة للعودة للوطن رغم الألم الذي شعرت به داخلها لرحيلها تماما عن أرض المحبوب نظرت للبحر ترجوه أن يرسل أخر رسائله لخورشيد.

في إسطنبول كانت المشاكل تلاحق خورشيد بعد أن خرج من محبسه وجد نفسه مديون بما لا يستطيع تسديده وخاصة بعد الكساد الذي أصاب السوق من جراء الحرب وموقف التجار الذين أتفقوا مع جولسن لم يكن إلا خدعة منهم لسيطرة علي تجارة خورشيد بل وزاد الوضع سوء بعد أن وصل للوكالة قائمة أخري من متطلبات الجيش يجب علي خورشيد توفيرها في أسرع وقت حتي رأي خورشيد أنه في موقف لا يحسد عليه حتي جولسن نفسها لم تتخيل أن تصل الأمور إلي هذه المواصل .

شعر خورشيد بأن إسطنبول ضاقت عليه لم يعد له مكان بها ولم يجد بد من سرعة تصفية التجارة فاستمرارها لا تعني في الوقت الحاضر إلا المزيد من الخسائر.

عرض خورشيد علي جولسن الوضع فلم تبدي اعتراض علي قرار خورشيد وكانت تحمد الله سرا أن خورشيد قد فض الشراكة بينهما قبل أن يحدث له ما حدث.لم يعرض خورشيد بيع الوكالة لأحد التجار الجشعين الذين أقرضوها بالربا بل اختارأحد التجار الذين كان يعرفهم خورشيد جيدا وهو عصمت ديمير رجل عرف عنه الشرف والنزاهة ولذلك قرر خورشيد أن يعرض عليه الوكالة والتجارة وأن يكون واضح معه في كل شيء فهو يعرف الرجل لن يستغل الموقف وبالفعل كان موقف عصمت

كما تصور خورشيد فعرض عليه أن يسدد ديونه مقابل الشراكة فقط وأن يتم ذلك بشكل سري حتي تنتهي الحرب وليتخلص خورشيد من ملاحقة ضباط الجيش له، وافق خورشيد علي عرض الرجل الكريم وفي خلال أيام قلائل تم توقيع العقود بشكل سري تردد خورشيد في أخبار جولسن بالأمر ولكنه لم يجد مفر من أخبارها قبل أن يقوم بما عزم عليه فلقد قرر خورشيد السفر إلي الشام وأن يلبي دعوة الخال وقد عزم علي أن يذهب سريعا قبل أن تغلق الملاحة كليا جراء الحرب لم تمانع جولسن بعد معرفتها بوجود إرث سيذهب خورشيد لتسلمه لعله يصلح ما أفسدته هي ومؤامرتها الدنيئة علي خورشيد.

لم يبق لخورشيد غير تدبير مكان علي باخرة متجه إلي الشام وهنا تذكر خورشيد صديقيه الفرنسيين فهو يعلم أنهم سيغادروا للشام وقد يستطيع أن يصطحبهما في رحلتهما تواصل خورشيد بالأصدقاء الفرنسيين فأخبروه أنهم لم يجدا رحلة للشام غير باخرة ستقلع من أزمير إلي مصراته في ليبيا مرورا بميناء اللاذقية وبيروت ثم ميناء حيفا في فلسطين مرورا بالإسكندرية في مصر وتنتهي في مصراته بليبيا وافق علي الفور خورشيد لضيق الوقت وعدم وجود بدائل لهذه الرحلة لم ينسي خورشيد توديع كومانوس وعارف فذهب إليهمودعا وحكي له ما مر به من أزمات في الفترة الأخيرة فشجعه كومانوس علي ما عزم القيام به فلم يري كومانوس أن هذا حلا لمشاكله المادية فقط بل حلا جيد للهروب من طوة جولسن عليه فقد كان كومانوس متأكدا أن جولسن هي اليد الخفية وراء كل ما حدث، ولكن خورشيد طلب من كومانوس شيء عجيبا طلب إحدي صور زينب ولا يعرف كيف أتت له الشجاعة والجرأة لطلب مثل ذلك الأمر من الرجل ولكن كومانوس كان يفهم علي خورشيد المخزي من طلبه أن يملك أي ذكري من جوري فأهداه كومانوس الصورة الوحيدة التي رسمها كومانوس لكلا من زينب وجوري معا كان احتفظ بها لنفسه ولكن أوصاه وصية لم يفهمها خورشيد كثير- هذه أغلي لوحاتي بهما كل

ما أملك من هذه الحياة يا خورشيد لا أهديها لأحد فحياة الإنسان لا تهدي بل أضعك أمينا عليها توصلها يوما إلي حيث تنتمي.

- لا أفهم إلي أين تريدني أن أوصلها؟

- إن كان القدر رحيم بي ستعرف يوما إلي أين .

ثم أبتسم وهم ليودعه ويوصيه علي نفسه وأن يتذكر دائما عمه كومانوس العجوزبرسائل كلما أمكن ليكمئنه علي أخباره.

انتهت زيارة خورشيد لكومانوس ولم يعد عنده إلا الإعداد للسفر، ولكن هل من الرحيل دون الوداع شعر خورشيد بأنه يودع إسطنبول وهو يخرج من طرقات حي زيرك أنها إسطنبول الحقيقية التي سأتوحش بعدها عني ولم يستطع العودة لقصر صابانجي الآن فذهب يتجول فالطرقات فتأخذه علي الأماكن التي زارها مع جوري مؤخرا لم يتوقف خورشيد لحظة عن التفكير في جوري ولكنه يخفي ما يدور بداخله أن الرجال خزائن أغلقت علي الأسرار ما يبدو منهم غير ذلك المعدن الصلب والقوة في الاحتفاظ علي محتواهم حتي وإن كان ما بداخلهم جمر من النار يأثرون الاحتفاظ علي حرائقهم عن البوح بها.

وصل خورشيد لضفاف البوسفور مودعا ينظر للبحر الذي طالما حفظ أسراره وشاركه أحزانه قبل أفراحه لو نطق البوسفور لحكي قصة فارس خيبت الحياة أماله وحاولت إسطنبول الظالمة ابتلاعه ولكنه يحاول للمرة الأخيرة الفرار الهب إلي نصفه الثاني ربما وجد ما كان يبحث عنه كم تمني أن يودع البوسفور هو وجوري معا كم حلم بالهروب معها لبلاد النيل كم رسم في خياله حياة معها تمناها دوما ولكن الأقدار لا صوت يعلو علي صوتها منذ الأزل احتكرت لنفسها كتابة كل نهايات القصص فهل كتبت حقا نهاية قصة جوري وخورشيد أم للأقدار كلمة أخري.

الرحلة

وقفت الباخرة وسط الضباب في البحر لتعلن بصفارتها عن الاستعداد للأبحار وقد أزدحمت أرصفة الميناء بالمسافرين من كل الجنسيات وكأن الجميع قرر التخلي عن الأسد العثماني في نزاعه الأخير وقفوا ما بين ظالم ومظلوم البعض ظلمه الأسد العثماني بعنصريته وفساد حكامه فقرر الفرار من بين أنيابه مستغلا انشغاله في الحرب مع الدب الروسي وهم من أمثال خورشيد وغيره والبعض ظل لعهود طويلة يقتاد علي الفتات التي تقع من بين أنيابه ولكن يبدو أن الأسد حانت نهايته ولن يكون له ضحايا مرة اخري ليفترسها فقرروا الهروب منه والتخلي عنه وكان أكثرهم من الأجانب والتجار أو المرابين اليهود الذين أستوطنوا إسطنبول منذ عهود أداروا تجارتهم التي بنيت علي أموال الربا فقد أشتهر اليهود بإدارة منظومات كاملة هناك تدار بتعاملات الربا وإن كانت تدار في الخفاء ولكن كان الجميع علي علم بها وبوجودها فيدها الطويلة طالما كانت تتلاعب في أسعار السلع هناك وهناك ولكن طبول الحرب أخافت الفئران فقرروا القفز وترك السفينة العثمانية للغرق بمفردها.وقفت جولنار تودع جوري وقد تحجرت الدموع في عينيها فتلك الصغيرة قد ملكت قلب جولنار حقا وذكرتها بالأهل والأصدقاء في مصر تمنت لها رحلة سعيدة وأوصتها بتوصيل التحية للجميع في مصر ولم تنسي أن توصي الطبيب طاهر عن ألا يغفل لحظة عن جوري خلال الرحلة وإن كانت متأكدة أنه لن يغفل عنها أبدا فالعشق في عينه يفضحه وسعادته بالعودة للوطن مع جوري واضحة وضوح الشمس في منصف النهار.

صعدت جوري مع طاهر الباخرة ووقفا ليشيرا لجولنار مودعين إياها ومودعين تلك البلاد التي عاشوا عليها أحداث لن تنسي بينما وصل خورشيد ولويس وسبستيان متأخرين يقطعون الجموع علي رصيف الميناء ليستطيعوا اللحاق بالسفينة قبل الإقلاع.

لمحت جولنار خورشيد بين الجموع وهو يصعد للسفينة فصدمها ما رأت فأشارت لجوري ولكن لم تفهم إشارات جولنار لها فقد كانت شاردة في التفكير في مغادرة تلك البلاد مودعة قصة عشقها ولا تدري أن الحبيب معها علي ظهر نفس السفينة أبحرت السفينة تشق وسط الضباب طريقها كان الضباب يكسو كل شيء وبرودة الطقس جعلت الجميع يترك سطح السفينة سريعا ليذهبوا إلي المقصورات المخصصة للركاب اصطحب طاهر جوري أو ورد كما يحب أن يدعوها إلي مقصورتها بعد أن أخبرته بأنها ستخلد للنوم قليلا فما زال في الرحلة وقتا طويلا ليصلا إلي اللاذقية حيث ستكون المحطة الأولي للرحلة إلي مصر.

بعد أن دخلت جوري إلي المقصورة لم تستطع النوم فكانت الأفكار والذكريات تهاجمها كلما أختلت بنفسها شعرت جوري أن جدران المقصورة تكاد أن تنطبق عليها لتسحقها سحقا صعدت جوري إلي سطح السفينة فلم تجد إلا القليل من عمال النظافة يغسلون سطحالسفينة ويغنون بصوت عالي أغاني أمازيغية فطاقم السفينة من دول المغرب العربي وقفت جوري تستمع لهم لا تفهم معاني كلمات الأغاني ولكن أصوات البحارة وحماسهم في غناء كان ملفت ومبهر لها بعد فترة اندمجت جوري حتي لم تتماسك نفسها من التفاعل معهم فارتسمت علي وجها ابتسامة طالما غابت عنها وتمايل رأسها مع أنغامهم نست لوهلة جوري أوجاعها نست الرحيل عن إسطنبول وصدمتها في حبيبها الأول تتطايرت خصلات شعرها مع نسمات الهواء علي سطح السفينة شعرت جوري بأن الطبيعة تحتضنها تحاول أن تخفف عنها حتي الشمس أبت ألا تشاركها فأشرقت بأعتها تقطع سحب الضباب حول السفينة وتزيله هويدا هويدا من حولها لترسم للسفينة طريق ذهبي بين أمواج البحر لم تكن الطبيعة وحدها تشارك جوري هذه اللحظات بل وقف علي الجانب الأخر من السفينة من يراقبها ويرسم لجوري لوحة في هذه اللحظات إنه سبستيان لم يكن يعرف جوري أو قابلها من قبل وهو بطبيعة عمله في الحفريات فأنه يتقن الرسم

ويهواه ليرسم كل ما يتم اكتشافه ويوثقه في دفاتره ولكنه اليوم آثر أن يرسم لوحة أخري أكتشفها للتو وقف سبستيان يرسم جوري بكل تفاصيل تناغمها مع الطقس علي السفينة ظلت جوري علي سطح السفينة إلي وقت الظهيرة فتذكرت طاهر وكيف أنها استأذنت منه للذهاب للنوم فعادت لمقصورتها سريعا خوفا أن يصعد هو الأخر للسطح ويكتشف كذب ادعائها ظل سبستيان يكمل تفاصيل لوحته حتي بعد نزول جوري من السطح حتي داهمه لويس ليذكره باقتراب موعد الغداء في المطعم لينزل كل منهما ليلحقهم خورشيد إلي المطعم تقاسم الرجال الغداء مبكرا فهم لم يتناولوا شيء من الطعام منذ وصلولهم من إسطنبول لأزمير قبل إبحار السفينة بساعات تناول خورشيد طعامه علي عجل ثم نهض ليستأذن رفيقيه فهو منهك من السفر ويريد قسط من الراحة بينما كانت جوري في غرفتها تنتظر طاهر ليمر عليها ليصحبها إلي المطعم لم تنتظر كثيرا حتي أتي طاهر وذهبا إلي المطعم الذي لم يكن سبستيان ولويس قد غادروه بعد بمجرد وصول جوري وطاهر للمطعم تعرف سابستيان علي جوري ليشير إليها ويحدث لويس

- هذه هي الفتاة التي حدثتك عنها

- تلك التي رسمت لها اللوحة صباحا

- تري ما جنسيتها

- لا أعرف ولكن هذا الشاب الذي بصحبتها عربي بكل تأكيد ملامحه لا يختلف عليها أثنين كان طاهر وجوري يبحثان في المطعم علي طاولة فارغه فنهض سبستيان ليشير لهما تحدث طاهر معهم باللغة الإنجليزية فأخبره سبستيان أنهما علي وشك الانتهاء من الطعام ولا يمانعان مشاركتهما الطاولة فشكرهما طاهر وجلس معهما علي نفس الطاولة تحدث كلا من سبستيان ولويس مطولا مع طاهر وخاصة بعد أن علما أنه قادم من انجلترا حديثا لم تكن جوري بحالة تسمح لها بمشاركتهما الحديث

بل فضلت الصمت مما جعل سبستيان يتعجب من أمرها تختلف عن ما رأه منها صباحا تماما وبعد قليل انفصلا سابستيان ولويس عن طاهر وجوري تاركين إياهما لتناول طعامهم.

جاء الليل وصعد الجميع علي سطح السفينة ليشاهدا منظر البحر الخلاب كان البحر هادئ ينعكس عليه نور خافت أتي من قمر مكتمل علي السماء وقد تعالت نغمات الموسيقي التي يعزفها أوركسترا السفينة حاول طاهر إقناع جوري للصعود لسطح السفينة ولكن جوري لم تكن من محبي الليل هي ابنة الشمس تحب الصباح وتفاصيله أما الليل وأهله لم يأثروها يوما فالليل بالنسبة لها حياة موحشة تذكرها بمن رحلوا وتركوها في عتمة الليل وحيدة اعتذرت جوري من طاهر فصعد طاهر لسطح السفينة ليلتقي مع لويس وسبستيان وألتقي مع خورشيد هو الأخر معهم تثامر الرجال الأربعة وتحدثا كثيرا عن أخبار الحرب عن مستقبل السلطنة العثمانية واحتمالية سقوطها بعد الحرب وسوء الحالة الاقتصادية في العالم أجمع شارك الجميع بوجهة نظره التي تعبر كثيرا عن حضارته التي أتي منها كان طاهر متحيزا لبلاده مصر ودائما يذكر أنها حرب لا ناقة لنا بها ولا جمل ولكننا ضحايا مستعمر مستبد ولم يفوت الفرصة ليلمح لخورشيد أن العثمانيين لا يختلفون كثيرا عن الإنجليز ولم يكن خورشيد يحاول الدفاع كثيرا فهو الأخر يعرف أخطاء بلاده وينتقد سياستها ولكنه كان يدافع ببسالة عن تاريخ العثمانيين وفتوحاتهم القديمة وإسهاماتها في أنتشار الإسلام بينما ذهبا لويس وسبستيان إلي شرح توجهات فرنسا لنشر العلم والثقافة وأنهم يختلفون عن الإنجليز البخلاء وكيف أن نابليون جاء بحملة تنويرية للشرق يحمل معه العلماء قبل الفرسان ولكن هذا أيضا لم يتركه طاهر إلا وقد فند لهم مساوئ الفرنسيين علي مصر وأن كان نابليون حقا حامل لواء العلم والحضارة ما كانت اقتحمت خيوله الأزهر لتدنسه ظهر طاهر بروح الثائر صاحب القضية التي لا تموت مما أثار إعجاب خورشيد.

وتحفظ لويس وسبستيان عليه مر الوقت وشعر الجميع بالحاجة للنوم ليفترق عنهم طاهر أولا ليغتابه لويسوسبستيان بعد رحيله

- قال لويس يا له من متمرد هذا الرجل

- أجابه سبستيان لولا صديقته ما كنت تحملته

- نعم رائعة هذه الفتاة أتحتفظ بصورتها؟

- بالطبع هذه الجميلة لا أريد أن أنساها بعد هذه الرحلة تسأل خورشيد عن أي فتاة تتحدثون فقص له سبستيان أمر اللوحة التي رسمها شعر خورشيد بالضيق ربما فتاة مسلمة يرسمها رجل فرنسي دون أذنها شيء أثار تحفظه وغضبه طلب من سبستيان أن يهدي الفتاة اللوحة وسيكون هذا أفضل لرجل جينتل مان حقيقي كما ذكر خورشيد.

انتهت الليلة الأولي للرحلة لن يتبقي إلا يومين لوصول خورشيد لميناء اللاذقية في الشام جاء الصباح مرة أخري ولكنه ليس بروعة الأمس يبدو أن طقس اليوم عاصف والغيوم خبأت بين طياتها بما ينذر بيوم عصيب توجه الجميع للمطعم صباحا لتناول الإفطار سريعا قبل أن تهطل الأمطار ذهب خورشيد مبكرا عن الجميع لم ينم جيدا بالأمس الأفكار تتخبط داخل عقله الأولاد في إسطنبول وحالة الحرب حزنه لرحيل جوري المفاجأ كل هذا كان كالشوك الذي ينمو حول فراشه ليلا جلس خورشيد علي طاولة ولم يمر وقتا طويلا حتي أتي سبستيان ولويس ليبدأ الجميع الطعام ذكرا طاهر وهم يتناولا طعامهم حيث عاد سبستيان ليذكر جمال صديقته ولكن خورشيد لمح رجل يعرفه من إسطنبول وهو عيزرا جاباي وهو مرابي يهودي في العلن يمتلك أحد البنوك في إسطنبول وفي الخفاء يملك عالم سفلي من التعاملات المالية المشبوهة كتهريب الأموال وإدارة أماكن للقمار وقروض ربا بعيدا عن عيون الدولة أو تحت عين بعد المسؤولين المرتشين كما أن لعيزرا هذا مطبعة من أكبر المطابع التي يخرج منها

الصحف اليومية بإسطنبول فمعروف أن من أدخل أول ماكينة طباعة إلي الأراضي العثمانية هم اليهود ألقي عيزرا التحية علي خورشيد فقام خورشيد لتحية الرجل فهو يعرفه من الحفلات التي كان جولسن تهوي حضورها وسأل عيزرا خورشيد عن وجهته.

فأجابه أنها رحلة لزيارة العائلة في حلب مما أثار تعجب عيزا فهو لم يعرف يوما أن خورشيد له نص عربي وعندما سأله خورشيد عن وجهته ابتسم عيزا وقال

- زيارة عائلية لفلسطين

- حقا أنت الأخر لك أصول عربية

ابتسم الرجل مرة أخري ليجاوب

- لا أنا يهودي

قالها ثم غادر تعجب خورشيد من جواب عيزا هو لم يسأله عن الدين هو سأله عن الهوية فأجابه الرجل أنه يهودي وعنعودة خورشيد للطاولة لاحظ أن طاهر قد أنضم لسبستيان ولويس ومعه هذه الفتاة كانت تجلس علي المقعد لم يري خورشيد إلا ظهرها فذهب إليهم يلقي التحية علي طاهر ثم ألتفت إلي الفتاة ينظر لها بخجل رجل شرقي يلقي بتحية علي امرأة غريبة إذ به يسمع صوتها .

- أهلا خورشيد بك

أنتفض خورشيد لسماع صوت جوري جاء صوتها كسهم أصابه في مقتل ولم يخطئ نظر لها وكحظت عيناه كادت أن تخرج من تجويفيهما وتصلب للحظات يحاول استيعاب الأمر.

- جوري؟!

- نعم ثم ابتسمت ابتسامة تحمل الكثير من الاستنكار .

- كنت أظن أنك قد عدتي إلي مصر منذ فترة.

- **حقا؟!**

ثم عاودت لتبتسم تلك الابتسامة

نظر خورشيد لها ثم عاد لينظر لطاهر في تعجب وتسأل عن علاقته بها

- نسيت أن أعرفكما خورشيد بك من معارف الطبيب كومانوس وهذا طاهر هلال خطيبي.

نظر طاهر لجوري يتسأل عن قولها هذا فلزم الصمت وهو يشعر أن جوري تواجه موقف عصيب فلم يحاول أن يزيد علي الفتاة فتماسك محاولا إخفاء أثر الصدمة عليه- حقا**؟!**

ومتي تم خطبتكما.

- في أزمير منذ أسبوعين تقريبا.

- مبروك.

قالها خورشيد ثم صافح طاهر مهنئا وانسحب علي الفور.

مر الوقت بعد خروج خورشيد من المطعم والجميع في صمت تام لا يخرج إلا أصوات أدوات الطعام وهي تزمجر علي الأطباق أنتهي طاهر سريعا من طعامه ثم نظر لجوري ليسألها هل انتهت ليخرجا معا وينظر سبستيان ولويس لبعضهما البعض وهم في حيرة من أمر الجميع.

خرجا طاهر وجوري لسطح السفينة بعيدا عن الجميع ونظر طاهر لجوري وهو متسأل عما حدث في المطعم.

لم تجد جوري بد من أخبار طاهر بكل شيء منذ لقاءها الأول مع خورشيد إلي تخليه عنها واختفاؤه المفاجأ وعودته لزوجته ما قصته جوري لطاهر كان مخيبا لكل أماله إذن لم يكن الحزن للبعد عن الوطن كان حزنا علي غدر الحبيب لم يجد طاهر الكلمات التي يستطيع أن يرد بها عن كلمات جوري بل فضل الصمت وطأطأ رأسه أسفا لما تروي ربما لو لم يكن لجوري بمشاعر لكان رد فعله مختلف لحاول مساعدتها أو التعاطف معها ولكن الصدمة كانت قاسية علي الرجل ألزمته الصمت عادت جوري لتعتذر من طاهر مرة أخري لتذكره أنهما لن يريا خورشيد ومن معه مرة أخري وأنها لم تجد سوي هذه الكذبة لترد عما فعله خورشيد معها لم تساعد طاهر الكلمات فأشار برأسه بموافقته علي كذبة جوري بدأت الأمطار في الهطوليبدو أنها عاصفة قادمة عصفت الرياح وثارت وانسحبت الشمس من المشهد لم يبقي في السماء إلا الغيوم السوداء أنقضي النهار وأنهزم سريعا أمام الظلام ظلت جوري في غرفتها لم تغادرها حتي للطعام وقت الغداء ولم يحاول طاهر المرور عليها فهو يعلم أنها تختبأ من كذبتها.

جاء الليل فصارت السفينة تتمايل وأصبحت تهتز بشدة وكأن الطبيعة تعلن عن عضبها فتزمجر فتشق هدوء الليل بالصراخ الجميع علي السفينة أصبح مضطرب خائف ولكن جوري ظلت في غرفتها مستسلمة للدموع إلي أن طرق باب الغرفة عدةطرقات متقطعة مترددة لتفتح جوري لتجد خورشيد أمامها لم تجد جوري فرصة للحديث دفعها خورشيد للداخل وأغلق خلفه الباب.

- جوري يجب أن نتحدث .

- عن أي شيء؟!

- عن هذا الحال الذي وصلنا له.

- عن أي حال تتحدث يا خورشيد بك

- لا تحاولي المراوغة أنت فاشلة في ذلك لماذا أخفيتي ومن ذلك طاهر؟

لم تجاوب جوري بل جلست علي المقعد وظلت تنظر لأرض الغرفة في محاولة منها للهروب من النظر لعيني خورشيد، ولكن خورشيد داهمها فنزل علي ركبتيه لينظر في عينيها فوجدهما باكيتان فأمسك بيديها.

= لما تخليتي عني يا جوري في أصعب الأوقات؟

- أنا لم أتخلي عنك ولا أفهم عن أي شيء تلمح؟

- لماذا لم تحاولي زيارتي في محبسي انتظرتك طويلا ولكنك لم تأتي يا جوري انسحبتي من حياتي دون سابق انظار.

- أنا لم أنسحب علمت من جولسن هانم أنكما عدتا لبعضكما البعض فلم أشأ أن أسبب أي من المشاكل لك فذهبت إلي أزمير بحثا عن أول سفينة لأعود لمصر.

- جولسن إذن؟ ولماذا لم تعودي لمصر لماذا ذهبتي للارتباط برجل لا تعرفيه؟

- مرضت في أزمير وطاهر كان طبيبي هناك.

- بهذه السرعة يا جوري ظننت أن بيننا شيء ولد عملاق قوي فكيف تخليتي عنه بهذه السرعة.

- أنت بالنسبة لي صديق يا خورشيد.

- صديق؟؟!

- نعم والآن تفضل خارج غرفتي ليس من اللائق وجودك هنا وقف خورشيد مرة أخري ينظر لجوري التي ما زالت جالسة علي المقعد.

- سأذهب ولكن يجب أن تعرفي أي مما ذكرته جولسن ليس

بصحيح أنا لم أعد لها إلا بعد أن فقدت أي أمل في أن ألقاكي مجددا لقد زج بي في السجن يا جوري وتحملت الظلم وظلام محبسي ولكني اليوم لا أتحمل ظلمك لي.

قالها ثم انسحب من الغرفة سريعا.

لم تبكي جوري بعد مغادرة خورشيد الغرفة حتي وإن كتب عليهما الفراق فهي تأكدت أن كلاهما كان وفيان لهذا العشق.

الثورة

جلست جوري أو كما أصبح يدعوها الجميع جولفدان علام علي طاولة طويلة في غرفة المدرسات كانت ساعة الحائط تدق التاسعة موعد الحصة الثالثة لم يأتي بعد كانت جولفدان تمسك بيدها رسالة تنظر لها في تردد محاولة إقناع نفسها بتمزيق الرسالة قبل فتحها ولكنها لم تستطع إنها ربما الرسالة العشرون من خورشيد طوال أربع سنوات لم يمل أبدا من مراسلاتها لم ينسها ولم تنساه رغم أن رسالاته كانت تبدأ إلي صديقتي الصغيرة أو إلي العزيزة جوري لم تحتوي هذه الرسائل علي كلمة واحدة من كلمات العشق والغرام لم يخط بها رسائل تنم عن الشوق كانت رسائل كأنها رسائل بحر أرسلت للفضا يحدث خورشيد بها نفسه ربما بدي كمن يتحدث مع نفسه يحاورها ويرد عليها يسرد قصصه في بلاد الشام يتحدث عن عائلته الجديدة عن الخال الذي وجد فيه خورشيد روح الأب الذي حرم منه عن أبناء وبنات الخال الذين صاروا أخوة وهو لم يذوق من قبل هذه العلاقة الجميلة أن تجد من يقف في مواجهة العالم معك روحه من روحك ودمه دمك يلازمك كظلك علي الأرض بلا طلب منك هو جيشك الأول والأخير هما أبناء الخال الأخوة لخورشيد عدنان الرفاعي وأصيل الرفاعي كلاهما يعمل في التجارة مع أبيهما يعرفهما القاصي والداني في حلب كان لهما دار كرم تمد بها موائد لأهل البلدة في كل المناسبات أجتمع علي موائدهم الجميع الغني والفقير ابن البلد وعابر السبيل الكل هنا سواسية جاؤوا في حضرة الشيخ الشريف صالح الرفاعي وهو نقيبا للأشراف بالشام حيث اجتمعت به الصفات والشروط لشغل هذا المنصب وهي الصلاح والتقي والفضيلة وكان عالما في القضاء والمواريث والإفتاء خبيرا في الأنساب والفرائض والأوقاف وكان له سمات شخصية تؤهله لهذا المركز الشرفي الكبير مثل الهيبة ورجاحة العقل والوقار وكل ذلك أجتمع في الشيخ صالح وتوارثه منه ابناؤه وجد خورشيد في الشيخ

المعلم والعراب فأعتكف خورشيد بمسجد الخال يتدارس علوم الدين علي يده ويحفظ القرآن الكريم ويدرس التفسير والتجويد عالم الخال كان عالم عظيم مكتظ بالنورانيات فملئت روح خورشيد وقلبه فذهب علي هذا الدرب طالبا علوم دينه الحنيف ولم ينسيه دينه دنياه فشارك أبناء الخال التجارة فربح بالرزق الحلال ما أغناه عن التفكير في الرجوع إلي إسطنبول وخاصة بعد أن تطلقت منه جولسن فقد رفعت قضية تفريق بعد العام الأول من سفر خورشيد ووصل له أنباء عن زواجها من عصمت ديمير الشريك التركي له حزن خورشيد لسماع الخبر ليس علي زواج جولسن من رجل أخر ولكن حزن علي الرجل الكريم أنه الضحية القادمة لجولسن ومخططاتها ولكنه أرتاح لفكرة أن أبناؤه من جولسن يعيشون في كنف هذا الرجل فأصبح خورشيد يراسله ليطمئن علي أبناؤه وتنازل خورشيد لأبناؤه عن مال التجارة في إسطنبول ويتابع مع عصمت وصول الربح للأبناء كم يتمني يوما أن يأتوا للشام ولكنهم مازالوا صغارا وانتزاعهم من أمهم سيأثر بهم يوما سيأتوا يبحثون عن الأصول مثلي هكذا كان يطمئن خورشيد نفسه.

ونعود لجوري التي قررت أن تفتح رسالة خورشيد في الأخير

- سأفتح رسالتك هذه يا خورشيد ولتكون الأخيرة

لم تكن جولفدان تريد فتح الرسالة لأنها وبعد كل هذه السنين سمحت لطاهر بالبوح بحبه لها نعم ظل طاهر بجانب جولفدان طوال تلك الأعوام الأربعة دون البوح بما يكن لها من مشاعر فبعد عودتها من إسطنبول حاول شريف علام عم جولفدان إجبارها علي ترك قصر الأميرة فاطمة إسماعيل وخيرها كثيرا بين الزواج بابنه أو بغيره ولكن جولفدان أبت أن تخضع للعم وانتقلت للعيش في بيت جدها أمها حيث تعيش العمة العجوز نور الهدي وهي عمة زينب والدة جولفدان كما أن من شجعها علي ذلك رجوع العم عارف من إسطنبول فقد توفي كومانوس بعد أشهر قليلة من

رحيل جولفدان من إسطنبول وأكتمل استقلال جولفدان بعملها مدرسة بمدرستها القديمة اليسنية الثانوية للبنات فأصبحت معلمة بها وكان هذا بتشجيع من طاهر الذي ساعد جولفدان في كل خطواتها أما طاهر فلقد غلت الثورة بصدره ضد الاحتلال الإنجليزي للبلاد أصبح رؤية الجنود الإنجليز في شوارع القاهرة جمرة نار تحترق في صدره فيغلي دمه من تصرفاتهم وعربدتهم بالطرقات وتطاولهم علي المصريين هنا وهناك وكان طاهر يعمل طبيبا في مستشفي القصر العيني ويدرس أيضا لطلبة الطب هناك ولم يخفي توجهات طاهر عن أحد فهو لا يفوت الفرصة ليشعل روح الثورة في قلوب طلابه كما أنه وجد صحبة تشبهه كثيرا في صالون النائب المصري الثوري سعد زغلول حيث كان يلتقي برفقاء اخرين مثل علي شعراوي وعبدالعزيز فهمي وغيرهم من مثقفي مصر الثوار علي الاحتلال والأوضاع كان طاهر ينقل الأحداث والأخبار إلي جولفدان يشاركها أفكاره التي اعتنقتها هي الأخري وصارت تملء روحها جولفدان علام أصبحت مصرية بالكامل علي يدي طاهر هلال بل صارت علي نهجه تبث روح الوطنية والانتماء لطالباتها في المدرسة وتنظم الندوات والمسرحيات الثقافية التي تلهم البنات وتعلمهم معني الوطن والفداء تغيرت جوري الصغيرة فأصبحت جولفدان علام الوطنية الثائرة ولكن ما زالت جوري الصغيرة وذكرياتها مع خورشيد تحتل قلبها أما العقل أمتلكه طاهر بالكامل وبين هذا وذاك كان يعتري جولفدان صرعات وحروب بداخلها لم ترسل لخورشيد رسالة واحدة منذ أربع أعوام ولكنها تحتفظ بكل رسائله لها تحفظها ظهر عن قلب تتمني ألا يرسل رسائل جديدة وينتابها القلق عند تأخر رسائله أو انقطاعها لفترة والآن بعد أن أعلن لها طاهر عن حبه ورغبته بالزواج منها ماذا ستفعل؟ يجب أن تتخلص من ذكري خورشيد نهائيا هي تعلم أن طاهر يثق بها فهي لم تخفي عنه شيء أبدا حتي الرسائل يعلم بها ولكنه يعلم أيضا أن

جوري لا ترسل ردا عليها ولذلك كانت تتمني أن تسطيع تقطيع هذه الرسالة قبل قراءتها ولكن بعد قراءتها عرفت أن خورشيد قد وصل لمحطة جديدة في رحلته للبحث عن ذاته لقد وصل لأرض الحجاز قاصد بيت الله للحج مع الشيخ صالح فقد شعر الشيخ باقتراب الأجل فتمني حج لبيت الله الحرام ولتكن الأخيرة ربما ووجد خورشيد فرصة ليقوم بخامس ركن للإسلام ليكتمل عليه دينه ولم يكن أداء الحج فقط الغرض من الرحلة بل أراد الشيخ صالح أن يزيد من أراضي الوقف الخاص به هناك وهو وقف مخصص لتقديم خدمات لزوار بيت الله الحرام وقد أحب خورشيد الفكرة فأراد أن يسلك درب الخال وأن يقدم ما يستطيع من عمل خير.

وماذا خيرا من توسيع المسجد الحرام وشراء أراضي من حوله وتقديمها لتكون توسعا له قرأت جولفدان الرسالة وسعدت من أجل خورشيد لقد وجد نفسه أخيرا وعرف طريقه ولكن الدروب فرقتهم بعيدا ولكل حي طريق يبدو أن القدر هكذا أراد ولا كلمة تعلو عن كلمة الله وأقداره طوت جولفدان الرسالة ووضعتها في حقيبتها واستعدت لدخول لأحد فصول طالباتها يجب أن تنهي العمل اليوم مبكرا فعمها شريف علام سيأتي اليوم وهي تعرف سبب الزيارة فطاهر تقدم لعمها لطلب يديها مؤخرا والعم أتي ليعرف الجواب لهذا الطلب يجب أن تطوي اليوم قصة خورشيد نهائيا بعد أن تعطي العم الموافقة شيء يؤلم جولفدان جوري ما زالت بداخلها تصرخ ولكن يجب تخرس هذه الصراخات طاهر يستحق هذا فطاهر لجوري لن يكون مجرد زوج هو الصديق والرفيق هو صوت العقل والأمان لا يوجد من يناسب جولفدان أكثر منهأن أفكارهم وتطلعاتهم واحدة طريقهم واحد لا يختلف عليه أثنين أن طاهر أصبح يقرأ جولفدان قبل أن تنطق بالكلمات ولكن يوجد دائما شيء ناقص غير معلوم شيء لم تعرفه جوري إلا عندما كانت تري خورشيد أو تقرأ رسالاته الآن.

أما ما يجري في المنزل لم يكن يختلف كثيرا عن ما يجري داخل جولفدان كانت العمة العجوز تطير فرحا بخبر خطبة جوري أخيرا تلك الفتاة ستتزوج بالنسبة للعمة نور الهدي تأخرت جولفدان علي اللحاق بقطار الزواج فلتلحق تلك فتاة أخر عربة عندما كانت بعمرها كانوا أبناؤها يماثلون طولها وجولفدان لم تتزوج بعد أما عارف كان صاحب رأي مختلف شيء كان يقف بينه وبين طاهر شيء يسمي خورشيد لم يكن خبر خطبة جوري لطاهر تفرح عارف بل حاول إقناعها بالعزوف عن الموافقة كان دائما يذكرها به وأن أمنية الطبيب كومانوس هي أن يجمع القدر بين جوري وخورشيد ولكن جوري تعتقد أن هذا ليس مشيئة القدر.

أتي شريف باشا في المساء وأخذ من جوري الموافقة علي طلب طاهر رغم أنه شخصيا يعترض علي طاهر فما سمعه عنه أمر غير مطمئن اتجاهاته الثورية لا تخفي علي أحد وأمثاله لا يصلحون للزواج كما كان يري شريف باشا ولكن كيف يقنع تلك الفتاة لقد شبت علي الطوق وأصبحت مستقلة تماما عن الجميع لا تسمع غير صوت عقلها رغم الهدوء الظاهري لها إلا أنها لم تعد الفتاة الصغيرة تلك التي ذهبت لرحلة إلي إسطنبول من أربع سنوات عادت شخص أخر لقد نضجت الفتاةبين ليلة وضحاها.

وفي صباح اليوم التالي كان يقف طاهر في انتظار خروج جولفدان من المدرسة هو يعرف أنها ستنهي عملها اليوم مبكرا خرجت جوري ولم تتفاجأ بطاهر تعلم أنه قابل عمها اليوم وسمع منه ردها أقبلت جوري علي طاهر فوجدت بعينه بريق لم تراه منذ رؤيتها له أول مرة في أزمير فابتسمت له فصافحها ونظر لعينيها وكأنه لأول مرة يراها.

- ما بك تبدو مختلفا

- كيف أبدو ؟!

- لا أعرف ولكن شيء ما بك لا أعرفه وتلك النظرة جديدة عليك

- تلك نظرتي لزوجتي حاولي أن تعتادي عليها

لم يكن طاهر يجيد الكلام المعسول قد تفاجأت جوري به اليوم

- هل أصبحت زوجتك هكذا بهذه السرعة لم تتم الخطوبة بعد

- لقد اقترحت علي عمك أن تتم الخطوبة هذا الأسبوع أن

يكون عقد قراننا خلال شهر علي الأكثر.

- أنت تمزح بالتأكيد

- لا ماذا نريده من فترة خطوبة يا جوري نعرف بعضنا البعض من سنين أنت لا تحتاجين للكلام لأفهم عليكي وأنتي تقرأين أفكاري من قبل أن أبوح بها فماذا ننتظر.

- أوافق علي موعد الخطوبة إذن ولكن عقد القران ننتظر لا تحدده الآن يا طاهر لما العجلة

- ربما أسافر

- تسافر؟ إلي أين؟

- باريس مع سعد زغلول لقد اجتمعت الجمعية التشريعية أمس وقرروا تفويض وفد للسفر لباريس لحضور مؤتمر السلام هناك وأنتي تعرفين أنا من أعضاء نادي المدارس العليا وتقابلت مع السير ريجنالد ولكني أميل لتوحيد الصفوف وتفويض مجموعة سعد للتحدث الرسمي عن مصر في المؤتمر.

- أمازلت تقتنع أن الإنجليز سيسمحون لكم بالسفر يا طاهر؟ مؤتمر باريس هذا لتقسيم غنائم الحرب بين الدول المنتصرة إنه مؤتمر سلام للدول المنتصرة لكي لا يتقاتلوا علي غنائم الحرب.

- ونحن لسنا غنائم لأحد يا جوري مصر أكبر من ذلك يجب أن يفهموا مصر ليست كبقية الدول تاريخها وعراقة شعبها لا يمكن لدولة مستعمرة أن تستطيع أن تقيدهالن نسمح لهم.

- أتمني يا طاهر من كل قلبي.

- أعرف يا جوري ومن أجل أن أكون قريبا من قلبكي الجميل هذا فلنعقد القران قبل سفري.

- لنري تتحدث وكأنهم حددوا لكم موعد للسفر.

- سنرغمهم لا تخافي.

نظرت جوري لطاهر وهي تبتسم وفي داخلها قلقا عميقا عليه أن أحلام طاهر للحرية كثيرا ما تغلب عقله واندفاعه للدفاع عن حق استقلال مصر يقلقها كثيرا ولكنها تؤمن بقضيته لا شيء تستطيع أن تفعله سوي الوقوف بجانبه تشعره أنه ليس وحيدا في مواجهة مخاوفه ستخوض معه حربه للنهاية فطاهر حقا يستحق.

أما ثورة خورشيد كانت مختلفة فلقد ثار خورشيد علي كل قيوده وروابطه بالدولة العثمانية لقد شاهد وسمع وهو في الشام الناجون من المجازر العثمانية ضد الأرمنفلقد تم طرد الأرمن خلال الحرب العالمية الأولي تم ترحيلهم من إسطنبول إلي أنقرة علي يد جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩١٥ ثم نفذت عملية الإبادة الجماعية علي مرحلتين المرحلة الأولي قتل الذكور البالغين جماعيا وفي المرحلة الثانية أجبرت النساء والأطفالعلي المشي في مسيرات موت حتي بادية الشام حيث تعرضوا

لعمليات قتل ونهب واغتصاب دوريا وقد بلغ الضحايا أكثر من مليون أرمني ألتقي خورشيد مع بعض الناجين سمع منهم الأهوال شعر بالعار لانتمائه للدولة العثمانية ولم يكن ضحايا عسكر الحامية العثمانية في حلب بمنأى منه ففور وصوله سمع من أهل حلب الكثير عن الفساد والرشوة والإتاوات لقد اشتعلت نار الغضب بصدر خورشيد وتقطعت بداخله كل ما تبقي من روابط تربطه بذلك الكيان الظالم ثار خورشيد علي نصفه العثماني لينتصر لنصفه العربي صار خورشيد عربي الهوي والانتماء أما دينه فقد أسهب خورشيد في السعي وراء تعلم المزيد من علوم الدين علي يد خاله وغيره من الشيوخ فما كان يسمع عن شيخ لمع نجمه في أحد علوم الدين في التفسير والفقه وعلوم الشريعة وغيرها إلا وذهب إليه طالبا العلم ولكنه وهو في المسجد الحرام وأثناء تأدية فريضة الحج سمع ما كدره وزاد من حزنه جميع الشيوخ كانوا يتحدثون عن وعد بلفور المزعوم هذا الوعد المشؤوم (وعد من لا يملك لمن لا يستحق) وهو إقرار بريطانيا ووعدها لليهود تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين مما كان له ردود أفعال من العرب تجاه التصريح من الاستنكار والغضب، طال الغضب الجميع فلسطين ليست مجرد دولة عربية مسلمة فحسب إنها بلد المسجد الأقصي أول القبلتين ومكان إسراء الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام لا يمكن التخلي عنها أبدا فالقضية ليست عربية قومية بل إسلامية وجب بها الجهاد ولذلك أجتمع عددا من الشيوخ بعد انتهاء شعائر الحج ليتدارسوا الوضع ويقرروا ما يمكن أن يتم للرد علي هذا الوعد الغاشم وعد بولفور.

أجتمع الشيح صالح الرفاعي مع بقية الشيوخ وقرروا تفويض مجموعة من الرجال للسفر لفلسطين لتفقد الأحوال هناك وزيارة المسجد الأقصي وتصعيد الأمور هناك للاعتراض علي وعد بلفور وكان خورشيد من أول المتطوعين للسفرإلي هناك وقررخورشيد أن يذهب إلي فلسطين مع القافلة العائدة من الحج إلي هناك وفي وسط كل هذه الأحداث قرر خورشيد أن

يكتب لجوري رسالة أخري ليعلمها بوجهته الجديدة لا يعلم خورشيد لما يكتب هذه الرسالات شيء يجعله يشعر وكأن جوري هي عائلته الوحيدة رغم كل ممن يحيطون به ولكن جوري شيء أخر أنه يشعر معها بالسلام يشعر وهو يكتب لها بالحنين لم تكن فترة تعارفهم طويلة ولكنه لا يعرف كيف أن هذا الشعور سيطر عليه طوال تلك السنوات كان يمسك بالورق يكتب رسالة أولي يبدأها بحبيبتي اشتقت لكي ثم يمزقها ويعاود كتابة أخري فيكتب عزيزتي جوري كم أتمني أن أراك وأن تكوني معي فيمزقها مرة أخري وهكذا يكتب بدلا من الرسالة العشرات ثم يرسل لها رسالة تشبه المقال يصف حاله لها وكأنه يحدث نفسه ولا يجد غيرذلك لائقا كم يتعذب كم كان يتمني السفر إلي مصر ليقابلها لولا علمه بوجود طاهر مما كان يزيد عذابه ولكنه يعلم أنها لم تتزوج بعد بطاهر وهذا جعله يؤمن بحب جوري له أنها تحارب هذا العشق طوال تلك السنينلو لم يكن عشقا عظيما لذهبت وتزوجت من طاهر من سنين جوري كانت تبادلني نفس المشاعر لولا مؤامرة جولسن والأقدار ما كنا لنفترق سأكتب لها هذه المرة أنني سأزور فلسطين ثم مصر يجب أن نتواجه لقد أستخرت ربي كثيرا من قبل ولم أحصل علي جواب أو علامة ولكن هذه المرة جوري لا تفارق أحلامي شيء يخبرني أنها بحاجة لي.

وفي مصر كانت جوري تم خطبتها بالفعل لطاهر تمت الخطبة في حفل عائلي صغير كم تمنت جوري أن يكون أحد والديها حي يشاركها هذه اللحظات وكم فكرتأن تكتب لخورشيد قبل الخطبة كانت تشعر أن له الحق في التبرير ولا تعرف لماا ينتابها هذا الشعور أي حق له عندها لا تعرف ولكن أنها لم كتب له من أربع سنوات هل تكتب الآن لتقول له قررت الزواج من غيرك فتمني لي السعادة كيف لها أن تفعل؟! وكيف لها أن تتجاهل خورشيد كأنه لم يكن؟!

ولكنها قررت في الأخير أن الأفضل لهما ألا ترسل له شيء يجب أن تطوي هذه الصفحة إلي الأبد. مرت الشهور بعد الخطبة ولكن لم يتم عقد القران فلقد تم القبض علي سعد زغلول ورفقاؤه وتم نفيهم إلي مالطا وأنشغل طاهر في العمل الوطني حتي نسي نفسه فقد كان نفي سعد ومن معه عملية اغتيال لحلم الاستقلال ومن جهة أخرى راح شريف باشا يضع العراقيل في إتمام هذا الزواج فطاهر هلال بالنسبة له ثورجي مغضوب عليه من السرايا والإنجليز وارتباط ابنة أخيه جولفدان به لا يضرها وحدهابل سيجر العائلة بالكامل لمشاكل هم في غني عنها، ولكن نيران طاهر كانت طالت جوري بالفعل في وجهة نظر العم شريف باشا فمنذ الحظة الأولي للقبض علي سعد زغلول اشتركت جوري في المظاهرات التي كان ينظمها طاهر والتي كانت لأول مرة في مصر تشترك النساء في مظاهرات بل ذهبت جوري لأبعد من ذلك فأصبحت هي من تتزعم حشود النساء وتخطب في الطالبات لتشجيعهم للمشاركة مما جعل عقل الجميع يجن من تصرفاتها العمة نور الهدي وشريف باشا حتي عارف أعترض وحمل طاهر مسؤولية حدوث أي شيء لجوري، ولكن طاهر وجوري كان لهم عالمهم الخاص هم يبنون مستقبل هذا الوطن ويرممون جدرانه التي تهدمت أصبحت أحلامهم أكبر من شابين يسعون للحب والزواج بل شملت أحلامهم وطن بأمله ولكن لا يظل البحر هادئ طوال الوقت فأثناء مرور طاهر علي جوري ليصطحبهامن المدرسة التي تعمل بها وصلت رسالة خورشيد ليسلمها ساعي البريد الرسالة أمام طاهر سأل طاهر جوري عن الرسالة توترت جوري ولكنها لن تقبل أن تكذب.

- من خورشيد

- ذلك الرجل بأي صفة ما زال يراسلك؟!

- أنت تعرف أنه كان يرسل للاطمئنان على منذ أن عدت لمصر

- كيف تسمحين له؟!

- أنا لم أرد علي رسالة واحدة يا طاهر لم أكتب كلمة له منذ أن عدت.

- ولكن صاحب العيون الزرقاء لم ينساكي ما زال يراسلك لليوم

- في كلامك تجريح لي يا طاهر واتهام وأنا لا أكذب

- ماذا يقول في تلك الرسائل إذن؟!

- تفضل لتقرئها لا شيء لأخفيه

مزق طاهر الرسالة ورمها بعيدا

- أنا مصري فلاح يا جوري قلت لك هذا مرارا ما تربيتي عليه ليس مقبول لدي.

- مازلت تصر علي إهانتي يا طاهر وإن كانت نشأتي لا تعجبك لما تريد الزواج بي.

- أنتي تعرفين ما تعنين لي ولكن يبدو أنني لا أعرف ماذا أعني أنا لك؟ قالها وهو لا ينظر في عينيها وبعدها ذهب وتركها لا تعرف ماذا تفعل مضت الأيام بعد ذلك ولا أخبار تصلها من طاهر لم تكن تعرف أن طاهر له هذه المكانة في قلبها هي قلقة عليه حد الموت تنتظره يوميا أن يأتي لها بعد انتهاء دوامها بالمدرسة فلا يأتي تنتظر وتهرع علي طرقات الباب في البيت ولكن ليس هو حتي أنها ذهبت لبيتالأمة لزيارة السيدة صفية زغلول ربما تراه هناك ولكنه لم يكن يبدو أنه قرر عقابها. وفي صباح أحدي الأيام وكان يوم عطلة سمعت تهليل وهتافات أتية من الشرفة لتطلب من عارف أن ينزل للشارع ليعرف الأخبار ليعود لها يحمل البشري قد تم الإفراج عن سعد زغلول ورفقاؤه استقبلت جوري الخبر بفرحة وأمل وراحت تفكر في طاهر ماذا يفعل الآن ربما أنه في بيت الأمة ولكن جاءت طرقات علي الباب كادت تقلعه ففتح عارف ليجد

طاهر الذي أندفع لداخل المنزل مقتحما يحمل جوري بين يديه يأخذها ليضمها علي صدره لم تصدق جوري ما فعله طاهر وحمدت الله أن عمتها في غرفتها وإلا لطالها هي وطاهر ما لا يحمد عقباه

- أخيرا يا جوري تحقق أول أحلامنا.

لم تجد جوري وقت لعتاب طاهر علي غيابه كل تلك الأيام وجدت أن حرصه علي مشاركتها فرحه أكبر دليل علي حبه لها لا يوجد عشق لا يعرف الغيرة.

طلب طاهر من جوري أن تأتي معه لبيت الأمة فالجميع ذاهب إلي هناك لتنظيم مسيرات لتأييد سعد وتفويضه للتحدث نيابة عن الشعب وافقت جوري وخلال دقائق كان الإثنين يسيران جنبا لجنب يشعران بالسعادة وفرحة النصر كان جميع من حولهم يهتف سعد تحيا سعد فينظر طاهر لعينيها تلك النظرة مجددا نظرة تقول أحبك لم تسر جوري مع الطالبات اليوم بل سارت بجانب طاهر ممسكة بيديه لم تشعر بهذا الشعور معه من قبل وفجأة كان صوت البارود يصم الأذنين مال طاهر علي جوري يحميها من رصاصات عساكر الإنجليز التي كانت تمطر المكانتشبثت بقميصه بكلتا يديها حتي جلسا علي الأرض للحظات وجدت جوري الدماء تملء يدها لا تعرف من أين الصدمة والخوف أفقدوها الوعي والإدراك ولكن وقوع طاهر علي الأرض غارقا في الدماء أمام عينيها أفقدها النطق طاااهر طاهر أيها الصقر العربي لا ترحل لك في القلب مكان وبيت طاهر يا بطل أخر عصر الفرسان لا تستسلم ما زالت ميادين المعارك تهتف لك طاهر يا أطهر ما في الوطن أنت وطني فضمني إليك وقعت جوري ساجدة في حالة زهول بجانب جثمان طاهر وما زالت طلقات الرصاص تحيطها وفجأة وجدت من يحملها ويأخذها بعيدا عن مرمي الرصاص يحملها كطفلة فوق يديه ويجري بعيدا وبعد دقائق دخل إلي أحد الطرقات لينزلها وينظر لها.

- أنتي بخير؟

تلك العيون الزرقاء تعرفها أنه خورشيد.

ليال المنيل

كانت تنظر لضفاف النيل من شرفتها تطيل النظر وكأنها تتأمل شيء هناك يتكرر المشهد كل صباح ربما المشهد خلاب من الشرفة فأنها تتطل علي النيل مباشرة ولايفصل ضفاف النهر عن السرايا سوي حديقة واسعة امتلئت بورد الجوري من كل الألوان وتتوسط الحديقة بركة ماء ونافورة كانوا سكان المنطقة يطلقون علي هذا البيت الفسيح بسراية خورشيد باشا فقد بني خورشيد هذا البيت علي التراث العثماني وكان يشبه دار جده في الأناضول كثيرا فالبيت يتألف من بهو رئيسي وتتفرع منه قاعتين استقبال ولهما مدخل خاص والقاعات متصلة بالمطبخ وغرف للخدم أما الدور العلوي كان منقسم لجزئين جناح خاص من غرفتين وصالون وهو الجناح المخصص لخورشيد وجولفدان (جوري) والقسم الأخر لغرف الصغار فاضل وزينب لقد تزوج خورشيد بجوري بعد عامين من مقتل طاهر مرت خلالهما جوريبأزمة وصدمة أفقدتها النطق لعدة شهور شحبت جوري لحد حار معها الأطباء ولكن خورشيد لم يتخلي عنها لحظة كان لها الأب والأخ والصديق والحبيب المخلص لم تتخطي جوري طاهر يوما لم تكن هي نفسها تدرك أهمية طاهر ومكانته لديها إلا بعد أن غادر الحياة ربما في بعض الأحيان تمنت لو رافقته رحلته الأخيرة إلي عالم الموت كان طاهر الغائب الحاضر دائما الميت الحي الذي لا يذكر اسمه أبدا وخاصة بعد الزواج فخورشيد كان يجن من ذكراه كم تمني لو لم يمر ذلكطاهر علي حياتهما هو وجوري لقد أتي من مصر خصيصا ليخلص جوري منه فسبقه القدر لقد كان عارف يراسل خورشيد ويعلمه بأخبار جوري وطاهر أول بأول دون علم جوري وقد أخبر عارف خورشيد بأن طاهر زج بجوري في طريق العمل السياسي غير مبالي بما

يمكن أن يصيبها أو هكذا كان عارف يصفه فما كان من خورشيد إلا أنه قرر الذهاب لمصر في محاولة منه لإقصاء جوري عن هذه الأفكار ويوم الحادثة كان عارف يعلم بوجود خورشيد بمصر وكان ينتظر الفرصة لإخبار جوري ولذلك بعد نزول جوري وطاهر وحدوث المظاهرات أستعان بخورشيد للبحث عنها قبل أن يصيبها مكروه وبالفعل وقبل وصلهما لها بدأ ضرب النيران وشاهد عارف وخورشيد مقتل طاهر.

تغير خورشيد كثيرا عن الماضي هكذا تري جوري وربما رحلته في الشام والحجازأكسبته الكثير من الصفات العقلانية أصبح أكثر هدوءا وأكثر تشبثا بالرأي دائما ما يزعج جوري نظرته لها أنها طفلة لا تستوعب الحياة قد عين خورشيد نفسه وصي عليها فبني قصرا لأميرته وأسكنها به لا يحب خروجها من بوابة هذا القصر أولا أقنعها بترك عملها كمعلمة في البداية تعلل بالخوف علي صحتها المتعبة ثم صرح لها أنه لا يطيق خروج زوجته بشكل يومي للذهاب إلي العمل رضيت جوري أرضاءا وأحتراما له ولكن مع الأيام والسنين صار الأمر أكثر وضوحا خورشيد يغار عليها حد الجنون ربما فارق السن الكبير ربما رأي هذا لائقا لحبه الكبير لها أو ربما ما زال شبح طاهر يطارده فخورشيد ورغم أنه حصل علي الجنسية المصرية والباشوية بشكل رسمي من الملك أحمد فؤاد ولكنه لا يحب أن تشارك جوري بأي حفلات رسمية أوحتي خاصة كانت لا تخرج تقريبا من القصر إلا لزيارة صفية زغلول في بيت الأمة وعادة كانت تلك الزيارة سببا لشجار أصبح روتني بينهما علي تلك الزيارة لم يكن يبوح بأفكاره ولكنه كان بداخله شك دائم أن جوري تذهب هناك لتري ذكري طاهربعينيها إنه يشعر بروح طاهر تسكن المكان هناك ورغم عن ذلك فخورشيد كان مثال للزوج المخلص والأب الحنون لأبنائه من جولفدان عندما أتي فاضل للدنيا فرحة خورشيد كانت لا توصف وكأنه أب للمرة الأولي وعندما أتت زينب أسمها

باسم والدة جوري ليدخل الفرح لقلبها كان خورشيد يحيط جوري بالحب من كل جانب ولكنه يريدها له فقط أما أفكارها ونضالها الوطني كل ذلك كان له لا يليق وربما تلك الأفكار كانت سائدة في ذلك الوقت فلم تحاول جوري محاربته كثيرا حبه لها كان يشفع له ويجعلها تضحي من أجله بكل شيء وكذلك وجود عارف أو الشيخ عارف الأسواني كما كان الناس يلقبونه في المنيل كان حمامة سلام وهمزة وصل دائما بينهما عارف ليس بكبير الخدم بالقصر بل أن خورشيد يعامله بأنه من أهل البيت وكذلك جوري كانت تشعر بالسعادة وأولادها يدعونه جدو عارف أما شريف باشا عم جوري كان زواج جوري من خورشيد أكبر مكسب له من وجهة نظره فهذاالباشا الأتي من الأناضول يناسبه تماما يزيد من مجد العائلة ويرفع من مكانتها وخاصة أن خورشيد أصبح ذات صيت في القاهرة لتوسع تجارته وأملاكه وسع عزبة جوري بالفيوم والتي ورثتها من أبوها وجعلها الأضعاف ولكن رغم كل ذلك ظل خورشيد في عين من يحيط بهم هو وجوري رجل إسطنبولي ملامحه وأسلوبه في الكلام أعطت عنه طابع الأجنبي لم يكن يعامل مصريا أبدا ورغم حبه لمصر كان خورشيد يشعر بالغربة ربما وقوفه يوميا علي ضفاف النيل يذكره بالماضي وضفاف البوسفور ولكنه أعتاد أن يسهر وحيدا في الحديقة يكتب خواطر له لم يسمح لأحد أن يراها حتي جوري.

اليوم يوم مهم لكل من جوري وخورشيد سوف يأتي علي الابن الأكبر لخورشيد من إسطنبول تم تجهيز كل شيء في القصر لاستقباله فرحة خورشيد لا توصف لقرار علي بزيارة ابيه في مصر اعد له جناح خاص له قريب من جناحه هو وجولفدان كم يتمني خورشيد أن يلم شمل عائلته بكلا الفرعين تحت سقف واحد فعائلته أصبحت منقسمة جزء إسطنبولي وأخر قاهري ولكن من وجهة نظره هو كلاهما أبناؤه أبناء عبد الله خورشيد كايا ولكن هل حقا سينول ما يمني؟ هل أبناء جولسن وجولفدان يمكن أن يصبحا كيان واحد؟

أتي عارف ليخبر جولفدان أن خورشيد وصل للبيت ومعه علي أخبرت جولفدان عارف أن يسبقها وأنها سوف تنزل لاستقبال الضيف عادت جولفدان لتنظر من شرفتها مرة أخري لضفاف النيل فلم تجد شيء هناك أختفي طاهر.

إن زيارة علي هذه تقلقها شيء ما يشعرها بعدم الارتياح ليس لما فعلته جولسن معها في الماضي أو بسبب قصص خورشيد عن مؤامرات جولسن وخبثها شيء أخر كان يخبرها بداخلها بأن شيء سيحدث وهذا ما جعل شبح طاهر تظهر لها فكلما كانت الأفكار تتزاحم في رأسها كان طاهر يأتي ليشاركها الرأي لا تفسير لما تراه ولا ما تسمعه أحيانا لقد اعتادت عليه ذلك الشبح لم تخبر به أحد أبدا ليس لكي لا يصفها من حولها بالجنون ولكنها تعتقد أنها ستفقده لو عرف بوجوده.

أتي علي أصبح شاب لم يعد ذلك الصغير الذي تركه خورشيد منذ سنين يشبه أباه كثيرا ولكن له نظرات حادة رسمت علي وجهه لافتة لا يمكنك الاقتراب تلك النظرات للجميع محيرة هل هي قوة أم غرور وربما غضب عرف خورشيد علي على زوجته جولفدان تفاجأت جولفدان بأن علي شاب يقاربها العمر مما زاد من توترها وقلقها أما علي فقد رمق جولفدان بتلك النظرة الحادة فسار الخوف في أوصالها والريبة منه، ولكن لم يكن الأمر كذلك عندما رأي علي أخويه فاضل وزينب وبالأخص فاضل ارتسمت ابتسامة علي وجه علي عند رؤية أخوه فاضل وربت على كتفه ثم جلس علي الأرض يسأله عن حاله وعن أخبار دراسته وغيرها من أشياء.

أرتاح خورشيد جدا للتقارب بين الأخوين وشعر بأنها شارة أمل للمستقبل وكذلك جولفدان التي تفاجأت بموقف علي من أخوه وبعد أن أخد خورشيد علي لغرفته وقفت جولفدان مع عارف لتعرف رأيه بالضيف.

- لا أعرف في البداية لم ارتاح له ولكنه بدي ودودا مع فاضل هل رأيت ذلك

- نعم رأيت ولكن لا تخدعك المظاهر ربما يدعي أمام أبيه

- لا أعتقد لا يبدو شخص من هذا النوع لو أراد التصنع لبدأ بمعاملته لي ولكنه لم يخفي عدم حبه وارتياحه لي من أول لحظة.

- ألا يقلقك ذلك

- لا يقلقني يا عم عارف الشخص الصريح حتي في عداوته لا يقلق بالنسبة لي وأعتقد علي كذلك ربما أستطيع يوما أن اصلح من صورتي في عينه ربما وجدنا معا حل وسط يرضينا ولكن في النهاية سنتفق أشعر بذلك.

- أتمني ولكن كوني حذرة ولا تنسي من تكون أمه وماذا يمكن أن تكون ملئت رأس الشاب به ربما أتي للانتقام يا جوري.

- لا تتعجل الأحداث ودعنا لا نتصرع في الحكم علي الفور الأيام ستوضح كل شيءوبالمناسبة المربية الجديدة ستأتي اليوم وأرجو أن تستقبلها بنفسك وتشرح لها نظام البيت.

- تمام قد أعدت لها غرفة ملاصقة لغرفة زينب.

جاء الليل فطلب خورشيد أن يكون العشاء في الحديقة احتفالا بقدوم علي كان خورشيد وجولفدان يعتدان أن يجلسا في حديقة المنزل ليلا كثيرا كانت هذه مكافأتهم اليومية لبعضهما البعض مهما حدث خلاف أو تشاحنا ولكنها يجب أن يتسامرا معا تحت النجوم كل ليل يحكي خورشيد أخر الأخبار السياسية التي سمع بها عن مصر وتركيا وكيف تحولت الحياة السياسية بهما كثيرا بعد الحرب كان يشارك جولفدان أراءه وأفكاره ويحب أن يسمع منها هو يعرف أنه يسري عنها وحدتها طوال اليوم في

المنزل وأيضا كان دائما يثق في أراءها قد عزل خورشيد جوري حقا عن العالم ولكنه خلق لها وله عالمهما الخاص المقدس خلق عالم محبب لكليهما داخل أسوار هذا البيت فالحديقة زرعت بكل الزهور التي تعشقها وبالطبع ورد الجوري كان له الحظ الأوفر خصص خورشيد في البيت غرفة لمكتبه الخاص ولكن في الحقيقة كانت مكتبة عظيمة لم يبخل خورشيد في البحث عن كل الكتبالقيمة في كل المجالات التي يعشق كلاهما القراءة عنها وكانت صور زينب والدة جوري تزين حوائط تلك الغرفة تلك الصور التي رسمها كومانوس حتي أن صورة كومانوس هي الأخري معلقة بتلك الغرفة فكل ممتلكات كومانوس أتي بها عارف لمصر بعد وفاته كما أوصي كومانوس لم ينسيا جولفدان وخورشيد يوما كومانوس حتي أبناؤهم يعرفونه جيدا كأنه جد لهم.

بدأ الإعداد لتقديم العشاء في الحديقة سبق خورشيد وجولفدان الجميع إلي هناك نظر خورشيد لجوري مبتسما فبادلته الابتسام قائلة

- لما هذه الابتسامة بما تفكر أراك تريد أن تقول شيء

- تعرفينني أنت قبل أن أتكلم

- أنا جوري يا خورشيد هل نسيت ثم ضحكت

- لم انسي حبيبتي ولكن لا أخفي عليكي وأنا أدخل البيت اليوم مع علي كنت قلق كيف ستتقبلي ابن جولسن كنت أخشي أن تشعري بالضيق منه ولكن انظر إليكي الآن فأسخر من نفسي كيف فكرت هكذا؟

- أولا هو بالنسبة لي ابن خورشيد حبيب العمر وليس ابن جولسن ثانيا هو أخو أبنائي الأكبر في البداية نظرته تلك أخافتني ولكن ترحابه مع فاضل وزينب أذاب جبال الثلج تلك التي حاول أن يضعها في البداية.

- حقا يا جوري هو يحاول أن يضع السدود بينكما ولكني أثق بك ستستطيعين اجتيازها.

- لا تقلق الأيام كفيلة بإصلاح كل شيء نزل علي إلي الحديقة وقد رسم علي وجه مجددا تلك النظرات القاسية الحادة، ولكن هذه المرة تجاهلتها جوري ورسمت علي وجها ابتسامة وحاولت أن تبدأ معه حديث

- هل أعجبتك غرفتك يا علي أم تريد تغير أي شيء بها

- لو أردت شيء سأخبر أبي علي الفور

- بالطبع ستفعل ولكن أن أردت أي شيء من الخدم فقد؟ اعلمني وسأخبرهم
- لا تقلقي انت بهذا الشأن أنه منزل أبي سأتعامل أنا كيفما شأت أليس كذلك يا أبي؟لم يعجب خورشيد أسلوب علي وكاد أن يرد عليه بما يليق لولا تدخل جولفدان واحتواءها الموقف فطلبت منهم الجلوس علي مائدة الطعام لأنه أصبح جاهز وقبل أن يجلس علي على المائدة تسأل عن فاضل فأخبرته جولفدان بأنه سينزل على الفور هو وزينب ولكنها يتعرفان علي مربيتهما الجديدة.

بعد دقائق من بداية العشاء نزل الأطفال مع مربيتهم الجديد ليليان وما أن حضروا حتي ذهبت كل العيون إلي ليليان حتي جولفدان تفاجأت بتلك الفتاة لم تكن كذلك حينما حضرت في الصباح.

عرفت جولفدان خورشيد علي ليليان فحياها وكذلك علي وسألها علي بشكل مفاجأما جنستك؟

- مصرية

فتعجب الفتي لأن ملامحها لم تكن تدل علي ذلك

فتدخلت جولفدان

- ليليان مصرية يونانية

كانت ليليان ذات ملامح إغريقية فوجها دقيق الملامح ولها أنف جميل وعيناها واسعتان بشدة لهما لون غير محدد ربما رمادي أو أخضر أو مزيج من اللونين وشعرها أسود كليل طويل بيضاء البشرة لحد كبير تكاد تكون بشرتها شفافة تظهر ماتحت الجلد من عروق يبدو عليها الصمت والهدوء فهي لا تجاوب غير كلمة أو أثنان لأي سؤال.

نظر خورشيد لها ثم لجوري ولم يجاوب إلا بحسنا، أما علي بدي عليه من الوهلة الأولي الاهتمام بأمر الفتاة.

أنتهي الجميع من الطعام وأتفق خورشيد مع علي لاصطحاب صباحا إلي منطقة الأهرامات لمشاهدتها فوافق علي ورحب بالفكرة.

أنصرف الجميع ولم يتبقي غير جوري وخورشيد فانتهزت جوري الفرصة لتسأل خورشيد

- ماذا عن الفتاة لما لا تعجبك؟

- لم أقل ذلك

- ولكن نظرت لها ولم تقل شيء

- من أين عرفتي تلك الفتاة

- من زوجة أحد الباشوات التي قابلتها عند صفية هانم زغلول شكرت لي بها كثيرافهي كانت ترعي أحفادها ولكن الأسرة سافرت للخارج

- تمام

- هل يوجد شيء يا خورشيد لا يعجبك

- لا أنا لا أتدخل في من يعمل بالمنزل هم اختياراتك

- ولكن

- هل سنظل نتحدث عن تلك الفتاة طوال اليوم غدا يوما طويلا بالنسبة لي وأريد الخلود للنوم.

ذهب خورشيد للنوم ولكنه ترك لجولفدان تسألا لما هذا التوجس من الفتاة؟!

أتي الصباح وأستعد خورشيد للخروج مع علي وخرجا هو وجولفدان من غرفتهما للمرور على علي ولكن عند فتح باب الغرفة تفاجأ كلاهما بليليان وعلي ومعهما فاضل وزينب وقد بدي أنهم قد استعدا للخروج.

نظر خورشيد بتعجب لفاضل وزينب وقال لهما

- إلي أين ذاهبين صغاري الأشقياء؟!

- رد علي وجدت أنه من الأفضل ألا أذهب بمفردي معك في تلك النزهة فطلبت منمربيتهم أن تعدهم للذهاب معنا.

نظر خورشيد لجولفدان ثم عاد ليبقي سؤال على المربية الجديدة.

- هل أمرتك جولفدان هانم بذلك؟

- لا

- إذن لم أعددتي الأولاد دون الرجوع لها؟

هنا تدخلت جولفدان لكي لا يتأزم الأمر .

- لا يوجد مشكلة الأولاد سيسعدون لهذه النزهة كثيرا وبما أن هذا طلب علي الأول فلا مانع أن يصطحب فاضل وزينب معه لم يكن ذلك مرضي تماما لخورشيد ولكنه حاول أن يجاري جوري لتهدأت الأمر وبالطبع كان

علي ليليان الذهاب مع الأطفال لرعايتهما في النزهة وهذا ما لا يعجب خورشيد علي ما يبدو؟خرجا الجميع وعادت جوري لغرفتها وهي في حيرة من أمرها من موقف خورشيدهو لين الطباع عادة مع كل العاملين بالمنزل لماذا يبدو عليه التزمر من تلك الفتاةوهنا لمحت جوري طيفا لطاهر في المرآة لم يكن المرة الأولي لجوري أن تلمح طيفا لطاهر ولكنه هذه المرة في المرآة مما أخافها عادة كان طيف طاهر مجرد فكرة في عقل جوري هي تعرف ذلك عندما يأخذها التفكير أو الحزن كأنها تتخيله ولكنها تعلم بعدم وجوده ولكن هذه المرة لم تكن كالسابقات خرجت جولفدان من غرفتها مسرعة لا تعرف لما هذا الخوف؟!

نزلت للأسفل واستدعت عارف لتسأله

- ما رأيك في ليليان تلك المربية الجديدة

- تبدو فتاة مجتهدة قمت صباحا فوجدتها استيقظت قبل الجميع

- ولكن يبدو لي أنها لا تعجب خورشيد

- لماذا؟

- هو لم يقل شيء ولكنني لاحظت عدم أعجابه بها من أول دقيقة

- لا تشغلي بالك هذا طبيعي

- كيف؟

- لا تنسي ليليان يونانية وخورشيد باشا تركي وأنت تعرفين لا تتوافق تلك التركيبة أبدا كل الأترك لا يشعرون بالراحة لليونانيين.

- لا أعتقد خورشيد كذلك أبدا فمثلا ألا تتذكر علاقته الوثيقة مع العم كومانوس؟

- كان الأمر مختلفا الطبيب كومانوس لم يكن يونانيا مثلما كان مصريا الرجل عاش حياته بمصر لم أسمعه يتحدث اليونانية إلا مرات قلائل من يوم معرفتي به ولكن ليليان يونانية حتي النخاع ولذلك ثارت تحفظ خورشيد باشا.

- ربما يا عم عارف أتمني ذلك لقد أقلقني تصرفه تجاهها

- لا يوجد في الأمر غير ذلك

حاولت جوري أن تقتنع بكلام عارف وأن تشغل نفسها طوال اليوم بأمور أخريحتي جاء المساء وعاد الجميع للمنزل عاد خورشيد مساءا بمزاج مختلفا عما كان عليه صباحا كان عائدا يضحك ويبدو عليه السعادة والراحة ولكن لم يكن خورشيد وحده سعيدا ولكن كانوا جميعا هكذا يبدو أنه كان يوما مميزا.

طلب خورشيد من جولفدان أن يكون العشاء في الحديقة اليوم أيضا فوافقته الأمر ولكن الذي أدهشها أن طلب منها أن يعدو مقعد علي المائدة لليليان أيضا وهذا ما تعجبت له جولفدان.

- منذ متي تطلب أن تجلس معنا مربية الأطفال علي العشاء؟

- لم يكن عندنا مربية أطفال مثل ليليان من قبل يا جوري كانوا خادمات يساعدوكيفي رعاية الأطفال فقط ولكن ليليان ليست مجرد مربية هي معلمة أيضا ألا تدرس لهم اللغة الفرنسية أيضا؟

- أنني أتعجب لتغير رأيك بهذه السرعة في الفتاة؟

- أنا لن أغير رأيي أنت من كنتي تظنين أنني معترض عليها ولكن يبدو أن جوري صاحبة مبدأ المساوة بين البشر تعترض علي جلوس المربية معنا قالها خورشيد ممازحا لجوري.

- أنا لا أعترض أنا فقط أتعجب من تغير مواقفك

- ما زلتي تقولين مواقفي أنت تضخمين الأمور

نزلت جوري وأمرت بإعداد الطعام بالحديقة وتوفير مقعد أضافي لليليان نزل الجميع بعد ذلك للحديقة وتعجبت جولفدان مجددا عندما لاحظت التقارب بين خورشيد وليليان جلس الجميع علي المائدة بدأت جولفدان بتفحص ليليان لم تنظر لها جيدا عندما جاءت تلك الفتاة بها شيء حقا غير مريح كيف لم تلاحظه من اللقاء الأول تلك الصامتة قليلة الكلام تملك عينان تبوح بكثير من الكلام أنها لا تتحدث إلا بعينيها نظراتها تلك ليست صامتة مثلها بل نظرات جريئة ترمق الجميع بها وفجأة وجوري غارقة في تفسير شخصية تلك الفتاة تنبهت أن خورشيد يوجه لها الحديث.

- ما رأيك يا جوري؟!

- في أي شيء؟

- ألم تسمعينا عما نتكلم

- أسفة تملكني الصداع طوال اليوم لم أنتبه ماذا كنتم تقولوا؟

- كنت أقترح أن نسافر جميعا للفيوم الطقس هذه الأيام هناك رائع وعلي وليليان لم يذهبا من قبل إلي هناك.

- نعم بالطبع يمكن أن نذهب

ذهبت جولفدان للتفكير مع نفسها مرة أخري في الصباح لم يكن يطيق الفتاة والآنيريد أن يريها الفيوم ويجلسها معنا !!

أنتهي الجميع من العشاء لاحظت جوري أن ليليان تعامل بقية الخدم في المنزل بتعالي هي نفسها لا تحب أن تعاملهم هكذا.

أنصرف الجميع وبقي جولفدان وخورشيد كان يبدو علي خورشيد المزاج الجيد فراح يصف لجوري علي المتعة التي حصلوا عليها اليوم وكيف أن علي أنبهر بالأهرامات والأطفال أيضا وليليان وكيف راحوا يلعبون هناك معها.

وهنا تدخلت جوري

- يبدو أنه يوما جميلا لماذا لم تأخذني معكم؟!

- أنت لم تطلبي؟

- ولم تطلب ليليان ولكنها ذهبت

- جوري تلك الفتاة ذهبت لأنه عملها

صمتت جوري قليلا تلوم نفسها عما تقول إنها حقا للمرة الأولي تشعر بالغيرة علي خورشيد كانت دائما تختنق من غيرته عليها ولكنها للمرة الأولي تتذوق مرارة تلك الغيرة نظرت جوري لخورشيد وهي تقول في نفسها

- نعم أغار عليك ولكن سأتحكم في نفسي لن أكون مثلك تنبهت جوري لنظرة
خورشيد لها فابتسمت وبعفوية قبلته فضحك من جنونها نحن في الحديقة ما بك

- أحبك هذا ما في الأمر.

ليليان

ليليان تلك الفتاة التي أتت منذ عدة أيام فقط لهذا القصر تحمل حقيبة صغيرة فييديها وتحمل في عقلها الكثير في أيام قليلة استحوذت علي عقول الجميع الصامتة صاحبة الكلمات القليلة والعين المتكلمة يبدو وراء الصمت قصص لم تروي وحقائق يجب أن تخفي عن الجميع.

لقد أصبح خورشيد يثق في ليلة وضحاها بها ويأخذ برأيها في كل شيء والصغار أمر بتغير غرفتها بعد أن شكت من ضيقها ليبدلها غرفة مستقلة لها لم يكن يتم التعامل معها أنها من العاملات في القصر بل معاملة الضيفة هكذا أمر خورشيد أما علي فقد تخلي عن نظرته المتحجرة ونسي ثأره مع جولفدان وصار كفراشة تطوف حول نيران ليليان، أما ليليان نفسها كانت ماهرة جدا في إدارة الأمور من حولها بدت ولو أنها تلعب بقطع شطرنج بدت كلاعبة محترفة للعب بأوتار الجميع.

هذا خورشيد تجيد أمامه الفتاة الوحيدة التي تعاني قسوة الحياة فتستغل تعاطفه معها حنو عليها، وذلك الشاب علي الذي لا تشك لحظة أنها تمتلكه كخاتم تزين به أصبعها أنها لا تنطق بالوعود له ولكن عيناها تقول حتي العم عارف استغلته ليكونالمحامي المفوه لها وسط بقية الخدم في المنزل فلا يستطيع أحد أن يعاملها كعاملة بالمنزل فلقد فرض عليهم العم عارف معاملتها كضيفة كما أمر خورشيد باشا الجميع أصبحوا بين ليلة وضحاها تحت تأثير تلك الساحرة الصغيرة، ولكن واحدة فقط تقف أمامها لا تنخدع بألاعيبها هذه إنها جولفدان سيدة هذا القصر كانت شكوك جولفدان تزداد يوما بعد يوم حول حقيقة تلك الفتاة وماذا تريد أن تصل له حقا أنها تتقرب من الجميع بشكل يريب جولفدان طالما حاولت جولفدان ألا تتشكك في تصرفات الفتاة وأن تحلل تصرفاتها بالعفوية ولكن يعود الشك لقلبها مرة أخري من تلك الفتاة؟

عادة كانت تتسأل جوري هل هي فتاة صغيرة أتجني عليها لغيرتي علي زوجي أم أنها شيطان فتحت له أبوابي؟!

تبدلت الأحوال من يوم أن أتت ليليان للقصر بعدما كانت غيرة خورشيد علي جوري تخنقها أصبحت غيرة جوري عليه هي الخانقة وإن بدأت جميلة له أحيانا، ولكن ما أصاب جولفدان في مقتل وجعلها تترمح من الألم ما جاءت به أنصاف هانم لتخبرها به تلك العجوز الخبيثة هي زوجة شريف باشا عم جولفدان جاءت في زيارة مفاجأة في أحد أيام الجمع لم تفهم جولفدان مخزي الزيارة أول الأمر وتحيرت عندما أخبروها بأن زوجة عمها بالأسفل جاءت لزيارتها.

- زوجة عمي العزيزة أي ريح أتت بك اليوم لبابي يختنق صدري لتلك الزيارة أخر مرة زارتني كانت لتسمعني الكلام عن زياراتي لصفية هانم زغلول وكيف لا يليق بي الآن أن أزور أصدقاء من كنت سأتزوجه من قبل زوجي وأن الناس لا ترحم ماذا سيقولون؟ ما زالت تسعي خلف ذكري رجل كان حبيب لها قبل زوجها وكأن بيت الأمة هو دار أهل طاهر في بلدته إنه قبلة لكل الوطنين والسيدة صفية زغلول تعد أم ثانية لي وجدت في صحبتها حنو الأم وخاصة بعد وفاة الأميرة فاطمة إسماعيل كل ذلك لا يعني شيء لزوجة عمي أنما هي وجدت فرصة من كلمة ربما في أحدي جلسات النميمة تلك التي تشتهيها كما يشتهي المقامر الورق لا يمكنها أن تتوب عنها أبدا لتأتي غلي ببعض من تلك التفاهات لتلقيها علي ربما أنها بتلك الأفعال تبرد نار متقدة بداخلها تجاهي فقد ورثت كرهها لأمي وحقدها علي والآن هي تقارني بابنتها وكيف لي أنا اليتيمة أن أحظي بزوج مثل خورشيد لم تحظي بنصه ابنتها رغم أن زوج ابنتها يعتبر عالم يدرس علوم الطبيعة في جامعة القاهرة ولكن أنصاف هانمتجده رجل قليل الحيلة فقير يسكن ابنتها بأحدي الشقق السكنية المتواضعة بوسط البلد بشارع طلعت حرب ولا يمكنه أن يأمن لابنتها معاش وقصرا يماثل ما يوفره خورشيد لجولفدان ومع ذلك كله ما كان من جولفدان إلا أن ترحب بأنصاف هانم إكراما لعمها الحبيب .

بعد جلست أنصاف هانم في الصالون وتلت تلك الجمل الكاذبة عن توحشها لرؤية جولفدان وافتقادها لها وغيابها عن زيارتها رغما عنها لانشغالها بمرض عمها ورعايته ورغم تأكد جوري لكذب أنصاف هانم فعمها قد زارهما منذ أسبوع والرجل في أفضل حال اضطرت جوري مجاراتها والسؤال عن صحة العم وأنها ستزوره في أقرب وقت ولكن أنصاف هانم دخلت في صلب ما جاءت إليه فسألت جولفدان

- لما لا تخرجين مع خورشيد باشا كل سبت أراه باستمرار بمقهي جروبي كل سبتبنفس الميعاد تعرفين ابنة عمك تسكن بالقرب منه.

- جروبي ربما يذهب في فترات استراحته من العمل ليحتسي القهوة أو يأكل شيء منالحلوي هو يحبها .

- ربما ولكن لما تتواجد معه تلك مربية الأولاد ماذا كانت تسمي ليليان ربما؟

- نعم ربما قابلها مصادفة أجازتها الأسبوعية يوم السبت.

- مصادفة؟؟ أن ينتظرها كل سبت في جروبي يا جوري يأكلان الحلو ويتحدثون ثم يصحبها الباشا بعربته.

- وكيف عرفتي ذلك؟؟

- لا أخفي عليكي يا جولفدان أنا بمثابة أمك جميع مجالس النساء لا يتحدثون إلا
عن زوجك خورشيد باشا ومربية أطفاله وأنا لم أصدق ذلك بالطبع ولكنني وبحدث الأم ذهبت لأتأكد وتعرفين جروبي قريب من منزل ابنتي ذهبت وشاهدتهما معا وحتي لم يلحظ الباشا وجودي بالمكان الفتاة صغيرة وشديدة الجمال يا جوري وزوجك رجل كبير والرجال فذلك السن من السهولة العبث بعقولهم.

- زوجي ليس من هذا النوع

- لا يوجد رجل ليس من هذا النوع حبيبتي

وقفت جوري لتنهي تلك الزيارة وتشكر زوجة عمها علي المعلومة رغم أنها متأكدة أنها تسئ الفهم وخورشيد لا يقبل علي هذه الأفعال الدنيئة.

استأذنت أنصاف هانم في الانصراف لتأخرها عن زوجها وتلك الحجة لتغطي عن خجلها من غلاظة رد فعل جوري.

انصرفت زوجة العم تاركة لهيب الشكوك يلتهم قلب جولفدان

- أيمكن هذا حقا؟! خورشيد يخون؟!! العاشق الحارس الأمين علي بابي منذ سنين وسنين الذي ترك وطنه وعالمه يبحث عني أيخون؟

لم تكن جوري لتصدق أنصاف هانم إن لم تعرف ليليان جيدا تلك الفتاة. ذهبت جولفدان لغرفتها بل هرعت إلي نافذتها تفتحها علي مصرعيها بشكل جنوني

- طاهر كان هناك علي ضفة النيل ينظر لها إنه اليوم لا يبتسم كالعادة إنه ينظر لها في قلق لم تعرف جوري كيف تتصرف هل تواجه خورشيد بما سمعت اليوم أم تصمت لعلها أحد ألاعيب أنصاف هانم فقط، ولكن غدا السبت فلأذهب وأري بنفسي.

مضت الليلة علي جوري طويلة باردة أنه نوفمبر ما تلك البرودة التي تسري في أوصالها كانت جوري تعشق ليال الخريف ولكن تلك الليلة تشبه ليل شتوي طويل لا ينتهي ظلت جوري مستيقظة تنتظر الصباح كما لو أنه سيأتي معه نطق بالحكم علي قلبها الضعيف تسمع نبضاته اليوم جيدا أنه يحاول الدفاع عن معشوقه يرددمع ضرباته صوت كأنه يقول خورشيد لا يخون.

أنقشع الظلام وأتي الصباح متسلل مع نسمات الفجر ما زالت جوري واقفة في النافذة تنتظر الشمس استيقظ خورشيد فتفاجأ بها هكذا فراح يسألها

- هل وقفت طوال الليل هكذا يا جوري قبل أن أنام تركت حيث أنت

- بالطبع نمت قليلا ولكني استيقظت مبكرا

- ما بك شيء يؤلمك

- قلبي

- ماذا؟ يؤلمك قلبك حقا؟

- نظرت له جوري ثم ابتسمت امزح

- بالله عليكي يا جوري اتركي هذا المزاح وتعالي لتكملي نومك

- لا نم أنت أنا رحل النوم عني بلا رجعة

بعد ساعة كان المنزل دبت به الحركة جلس الجميع لمائدة الافطار وانضمت لهم ليليان حاول علي أن يفتح معها مجالا للحديث عن خططها للإجازة الأسبوعية وأقتراحه بأن يصحبها معه لنادي الجزيرة الذي تعرف علي بعض الأصدقاء المصريين وبعض من الجالية التركية من أعضاؤه ولكن ليليان ارتبكت ثم حولت نظرها لخورشيد وهي تعتذر لعلي عن الذهاب معه كل ذلك كان يحدث تحت أعين جوري التي يكاد أن يخرج قلبها من الخفقان والضيق.

ذهب خورشيد أولا وبعده بقليل ذهبت ليليان بعد أن استأذنت جولفدان في الانصراف فهذا يوم عطلتها الأسبوعية فوافقت جوري لتذهب ليليان.

جلست جوري تفكر والأفكار تتزاحم برأسها

- لم أصرت تلك الفتاة علي يوم السبت كعطلة لم ترضي بيوم الجمعة أو الأحد كالجميع بالطبع لا تأخذ عطلتها أيام عطلات خورشيد فكيف ستلقاه خارج البيت تلك الشيطانة الصغيرة أو ربما اظلمها لا أعرف يا رب أعني ..

أنتصف النهار أن أنصاف هانم قالت أنهم يتقابلان بحوالي الساعة الثانية كل سبت هل أذهب؟ وبعد التردد والأقدام قررت جوري الذهاب.

حاول عارف أن يعرف إلي أين ولما الخروج اليوم وهل يعرف خورشيد ولكن جوري لم تطلع عارف بشيء فقط طلبت منه أن يطلب من السائق الاستعداد للذهاب ذهبت جوري إلي جوروبي الساعة تخطت الثانية ولم يتواجد أحد في المقهي لا يوجد هنا خورشيد ولا ليليان ربما هي أوهام وأحقاد أنصاف هانم فقط خرجت جوري من جروبي مسرعة وركبت السيارة مرة أخري وهي تلوم نفسها علي تصديق تلك أنصاف لم تعرف ماذا ستقول لخورشيد عند العودة للمنزل عن سبب خروجها من المنزل بهذا الشكل دون إخباره ربما لو أمر علي أتيليه هاجر.

فتلك هاجر من اعتادت أن تحيك لجولفدان ثيابها ربما علي أن أحيك ثوب جديد فعيد ميلاد خورشيد أقترب مرت جوري علي الأتيليه واختارت أحدي الموديلات وانتهت من الأمر وقد أرتاح قلبها وهدء فقررت أن تبتاع شيء من الحلو الذي يحبه خورشيد فقررت العودة لجروبي لشراء قالب الحلو، ولكن عند دخول جوري لجروبي هذه المرة رأت خورشيد وليليان يجلسان علي نفس الطاولة ليس هذا فقط كان خورشيد يلامس وجنتي ليليان وينظر لها في حنو وعطف شديدين وقفت جولفدان متجمدة لبضعت دقائق مروا عليها كأنهما الدهر كادت أن تسقط علي الأرض مغشي عليها ولكنها تماسكت ولكن ما قطع تجمدها هذا إلتفات خورشيد لها فجأة لقد رأها وهي تقف في منتصف المقهي كتمثال جليدي متجمد نظر لها خورشيد ليقوم من مكانه علي الفور ولكن جوري كانت أسرع منه فرت من المكان مسرعة لتطلب من السائق أن يعود إلي البيت.

ذهبت جوري للبيت فاستقبالها عارف ففزع لحالتها تلك حاول معرفة حقيقة الأمولكن جوري لم ترضي أن تفصح له فقط جلست في بهو المنزل تنتظر عودة خورشيد ولكن ما جعل جوري تجن أن خورشيد لم يأتي مسرعا بعدها للبيت عدت أكثر من ساعة ولم يعد خورشيد أو ليليان.

- بأي جحيم أنتما الآن يا خورشيد؟ علي ما تتفقان؟ أتلك تكون نهاية قصة العشق كل ذلك كان يدور داخل جوري وهي جالسة علي ذاك الكرسي قابضة علي ذراعي الكرسي بكلتا يديها تكاد تنفجر الدماء من معصميها وقد صبغ الاحمرار وجها وتحجرت الدموع في عينيها تأبي السقوط والبوح بالآلام مرت ساعتان ليفتح باب البيت ليدخل منه خورشيد وليليان كانت ليليان تتأخر في السير خلف خورشيد وقد طأطأت رأسها تسير بخطوات متذبذبة تدعي الخجل والأسف ولكن خورشيد كان يتجه على جوري وقد بدي عليه الغضب.

- ما أتي بك لجوروبي ياجولفدان اليوم؟

اتسعت حدقتي جوري وهي تنظر لخورشيد في حنق وغضب.

- أسفة يا باشا هل أزعجتكم رؤيتي هناك.

- جولفدان أسألك فحاولي أن تردي علي في هدوء.

- هدوء ماذا وهل تجرؤ لأن تأتي بتلك الفتاة إلي هنا.

- ماذا صنعت الفتاة لتقولي ذلك؟

- ماذا صنعت؟ لا لم تفعل شيء أنت من فعلت ثم توجهت جوري لليليان واقتربت منها ثم أشارت إلي باب القصر .

- أخرجي من بيتي

لم تنتظر ليليان لجولفدان بل انتفضت كعصفور بلله المطر، ولكن صوت خورشيد جاء وهو يمسك بذراع جولفدان ويضغط عليها.

- لن تذهب الفتاة لأي مكان يا جولفدان أنتي تسئين الظن.

- فليكن أسئ الظن بإحدي العاملات لدي وأطردها من العمل إذن ما المشكلة؟

- أنا لا أصدق يا جوري أري جولسن تتكلم أمامي اليوم.

- جولسن وهل أصبحت الآن جولسن فلتذهب أنت لتبحث عن فتاة صغيرة جديدة لتنسج شباكك عليها.

- لا أصدق ما أسمعه منك.

- لا تصدق يا خورشيد فأنا أيضا لا أصدق بل أكاد أكون لا أعرفك.

عادت جولفدان للاقتراب من ليليان لتلوح لها مرة أخري أخرجي من هنا، ولكن خورشيد عاود لنفس كلماته.

- لن تذهب يا جولفدان تلك الفتاة لن تخرج من بيتي.

- إذن أخرج أنا.

قالتها جوري ونظرت لخورشيد تنتظر الرد.

فنظر لها خورشيد طويلا ثم قال.

- إن رأيتي هذا لائقا بك وبي فلتفعلي يا جوري.

- بالطبع أفعل يا خورشيد

قالتها جوري ثم اندفعت إلي غرفتها ليلحقها عارف محاولا أثنائها عن مغادرة المنزل ولكن جوري غلقت باب غرفتها وأخذت تجمع بعضا من ملابسها بشكل هيستري في حقيبة صغيرة ثم فتحت الباب ونزلت وخورشيد ينظر لها شظرا ولا يحاول منعها.

أخبرت جوري عارف أن يجعل السائق يأتي ليوصلها لبيت عمها شريف باشا حاول عارف التدخل ليهدئ من جوري ولكن خورشيد أمره بأن ينفذ أوامر الهانم انطلقت العربة بجوري لبيت عمها وبقي القصر كساحة حرب خسر كلا من أطرافها فعم سكون الهزيمة علي الجميع.

اختفاء

مرت أيام ثلاث وعارف يحاول تهدأت خورشيد وإقناعه بأن يذهب معه ليحضروا جوري من بيت عمها ولكن خورشيد كان متعند الرأي يري أن تشكك جوري به وعدم ثقتها أسوء ما كان أن يتخيله منها في يوم من الأيام كيف سمحت أن تسئ الظن به وتتهمه بالخيانة، ولكن عارف كان هو الأخر بدأ يرتاب في أمر ليليان لم تقدم له مبرر بلقائها مع خورشيد بشكل منتظم أسبوعيا في جروبي تهربت من الإجابة عدة مرات متعللة بأنها مجرد صدف ولكن عارف رجل كبير ما زال يملك الحكمة ليميز الكذب من الصدق تلك الفتاة كاذبة يوجد ما تخفيه، ولكن عارف لا حيلة له مع سيده إنه يحاول أن يسنيه عن عناده رغما عن كل شيء، ولكن عندما وجد أن من الصعوبة أن يقنع خورشيد بالذهاب معه أستأذنه أن يأخذ بعضا من أغراض جوري ويذهب لزيارتها في منزل عمها فوافق خورشيد علي ذلك ذهب عارف ليأمر الخادمات لمساعدته ليضب بعضا من أغراض سيدته وليس كلها فحتما سيدة القصر عائدة بالطبع توجه عارف لمنزل شريف باشا فأستقبله الباشا مرحبا وهو يظن أنه أتي برسالة من خورشيد له ولكن عارف قال له أنه أتي بأغراض جولفدان ليسلمها لها ويطمئنها علي الصغار، ولكن شريف باشا ظهر عليه التعجب من حديث عارف.

- جولفدان ما الذي يأتي بجلفدان إلي جولفدان لم تأت إلي لم أراها منذ أكثر من أسبوع وقع كلام شريف باشا علي عارف كالصاعقة .

- أين ذهبت إذن؟

- ما الذي حدث لابنة أخي أخبرني

قص عارف علي شريف باشا ما حدث فما كان من الرجل إلا أن أنطلق لقصر المنيل وهو يكيل لخورشيد وما أن رأه حتي جن الرجل تماما .

- أنت يا هذا أيها التركي المغرور أين ابنة أخي أضعت أمانتي عندك يا رجل؟

أنا غلطتي أنا إن وثقت بأمثالكم من أنتم لتعرفوا كيف يصان العرض والشرف يا ابن اسطنبول لعنكم الله أعداء الله.

لم يفهم خورشيد لما يهاجمه الرجل هكذا ولما يهجم عليه ظن في بادئ الأمر أنه يثور لظنون جولفدان فقال له.

- يا باشا قبل أن تصدق ابنة أخيك دعني أخبرك ما حدث.

- ابنة اخي أين هي ابنة أخي يا ابن بلاد أتاتورك أعداء الله.

- كيف أين هي أليست عندك.

- عندي؟؟خرجت زوجتك من بيتك فلا تكلف نفسك أن تسلمها لي وتوصلها لداري جولفدان لم أرها منذ أكثر من أسبوع.

لم يصدق خورشيد ما يسمع فوقف في زهول تدور به الأرض وقف الرجل دقائق يسب ويلعن ثم ذهب ليبحث عن جوري.

نظر خورشيد لعارف لعله يكذب له نبأ اختفاء جوري ولكن عارف سارع لخورشيد يسنده قبل السقوط ليشد علي ذراعه ليقول

- جوري ليست الفتاة التي تضيع يجب أن نتحقق من الأمر ونسأل عنها في كل مكانوهكذا مر الأسبوع الأول من اختفاء جوري والجميع يبحث عنها بلا جدوي في العثور علي أي أثر.

تناثرت الأحاديث هنا وهناك عن اختفاء جولفدان علام حتي بات اختفاؤها العنوان الرئيسي لكل مجالس النميمة في صالونات السيدات وهمسات الرجال في النوادي ومجالس الباشوات وبالطبع تزعمت أنصاف هانم إصدار التصريحات النارية ضد خورشيد ذلك الباشا الفاسق الذي يرافق مربية صغاره يعلم الله كيف تخلص من ابنتنا الطيبة جولفدان فأصبحت أصابع الإتهام تشار لخورشيد في أي مكان يذهب إليه فجأة شعر خورشيد بالغربة خانقة الجميع الآن تذكروا أنه ليس مصري عربي ذلك الباشا التركي من الطبيعي أن يكون عنوانا للفسق والفجور ومن هم الأتراك هممن تخلوا عن خلافة المسلمين ليأتوا برجل ذنديق مثل كمال أتاتورك يحول قبلة الخلافة الإسلامية إلي قبلة العلمانية أخبار التغيرات في القانون التركي تملء الصحف أصبحت الهوية التركية لا تكتب بها الديانة كما أغلقت الكثير من المساجد وألغي لبس الحجاب وأمر بالسفور وشجع كل ما هو غربي وبعيد عن تعاليم الإسلام الآن يتحمل خورشيد كل علمانية بلاده التي فالأساس حدثت بعد رحيله عنها ولم يدركها من الأصل الآن نسوا جميعا الباشا الورع محب الخير وناصر الدين ابن أخت العالم الحلبي الجليل الشيخ الرفاعي الجميع تذكروا فقط نصفه التركي أما النصف العربي طمس تماما بعد اختفاء جوري ومعرفة قصته المزعومة مع ليليان ولكن كل ذلك كان لا يعني خورشيد في شيء لم يكن يعنيه غير جوري أين ذهبت؟

جوري لم تكن بطائشة يوما حتي وهي فتاة صغيرة لتختفي هكذا دون أن تخبر أحد بمكانها مهما حدث أو ظنت بي الظنون جوري لا تفعل هذا بي أبدااا، ورغم أحزان خورشيد وانعزاله كان المجال يفسح لليليان ومطامعها أكثر كل الخدم سمعوا بقصتها مع الباشا ربما ستكون سيدة القصر الجديدة حتي ولو كانوا لا يطيقونها ولكن كانوا حذرين ربما ستكون تلك هي السيدة القادمة للبيت، أما عارف كان لا يطيق المكوث في البيت يستيقظ مبكرا يصلي الفجر ليخرج في رحلة يومية للبحث عن جوري كل معارفها القدام أصدقاءها وأصدقاء طاهر الجميع بلا استثناء فعارف يشعر أنه خذل الطبيب كومانوس وأضاع الأمانة.

- كان يجب أن أخرج معها في ذلك اليوم كيف تركتها هكذا وسمعت لخورشيد؟!
كان عارف يلوم نفسه حتي أشفق عليه بقية الخدم ليرحم نفسه ولكن هل يرحم الأب نفسه في التفكير في ابنته

- نعم تلك كانت ابنتي لا سيدتي فأضعتها ياالا بؤسي، أما الأطفال فقد سمعوا عن اختفاء أمهم مصادفة من الخدم فحزنوا ولم يكفوا بكاءا عليها كانت زينب تميت نفسها بكاءا أما فاضل فقد فهم أن ليليان سبب ما حدث كله لم يكن فاضل طفلا ضعيف مستكين بل كانت في عينيه لمعة ونظرة تحتوي علي الكثير.

- تلك ليليان هذه هي سببا فيما حدث لأمي فلتكن الدار جحيم لها تغيرت معاملة فاضل لليليان لم يعد يحترمها أو يطيعها بل تغيرت معاملته مع أخوه علي أيضا كل أعداء أمه وضعوا في قائمة فأصبح البيت ساحة معارك.

أعلن فاضل عن وجوده في غياب امه هو ليس بالطفل الصغير أنه في بداية مرحلة المراهقة تغيرت أخلاق الطفل صار أكثر حدة مع الجميع في البداية أخذه الجميع بمحمل التعاطف ولكن فاضل لم يكن يريد تعاطفهم معه بل أراد السيطرة علي مملكة غابت ملكتها وغرق مليكها في حزنه كما أراد الصبي أن يتطرد الدخلاء في وجهة نظره يوم أن أتوا خربت دنياه فيجب أن يرحلوا فذهب فاضل يضيق الخناقعليهما لاحظ أن ليليان تتقرب من علي تلك الفترة كثيرا فقرر أن يضرب عصفورين بحجر واحد وبدأ في التفكير بذلك، أما زينب فلم تكن يوما قريبة من أبوها مثل تلك الفترة فلقد راحت الفتاة رغم صغر سنها تهتم بأبيها وترعاه وتخفف عنه وتؤكد له أن أمها ستعود وأن أمها أبدا لا تتخلي عنهم هكذا كان هذا ما يخفف عن خورشيد كثيرا كم تشبه البنت أمها لم يلاحظ أن زينب نسخة

من جوري إلا الآن كان يعرف أنها تشبها كثيرا ولكن منذ اختفاء جوري صارت زينب نسخة من جوري تلك الصغيرة التي أحبها في إسطنبول تشبه تلك الصورة التي رسم لها سبستيان علي ظهر السفينة.

مر الشهر علي اختفاء جوري أصبح عالم خورشيد يتقلص يوما تلو الأخر يكاد تخنقه الغربة تغير عليه كل الناس حوله البعض أختفي والبعض أصبح حريصا في التعامل معه حتي وجد نفسه في غربة موحشة لولا بحثه الدأوب عن جوري في كل مكان لفكر في أن يأخذ الصغار ويذهب من مصر ولكن كيف يذهب وهو لا يعرف مصير حبيبته.

ضاقت الأرض بخورشيد فتذكر أن تلك الأرض حتى لا تحتوي في باطنها رفات الأجداد كم تمني اليوم ليذهب ليقف علي قبر أمه أسماء ليسألها قالت له يجب أن يذهب إلي قومها فهم يشبهونه.

- أنا الآن وسط قومك يا أمي فلما يرونني غريب لم يحاول أحد التفكير بي أو حتي مواساتي علي فقدان زوجتي لا أري غير نظرات الاتهام في عيونهم أنا ذلك الغريب السئ في رواياتهم يا أمي أنا من أضعت ابنتهم أنا الغريب، ولكن فجأة تذكر خورشيد شيء ما فذهب لعارف.

- عارف أريد أن أذهب لطاهر

- تريد ماذا؟؟

- أريد زيارة قبره هل تعرف مكانه

- نعم ولكن لما؟

- أريد ذلك فقط هل سترشدني لقبره أم أذهب لأسأل عنه

- بل سأذهب معك

ذهب خورشيد لقبر طاهر وقف عليه وبعد تلي الفاتحة وألقي السلام قال - نعم يا طاهر أنا ذاك الرجل التركي صاحب العيون الزرقاء أعرف أننا لسنا علي وفاق ولكنك الآن في دار الحق وتعرف انني لم أكرهك يوما حتي وإن أحببنا نفس الفتاة تلك الفتاة يا طاهر من ملئت القلب والعين لقد أضعتها حتي أنني لا أعلم أهي الآن تنعم بالسلام معك في عالمك أم أن خطرا ما يواجهها هنا في عالمي أنا الغريب يا طاهر وأنت صاحب الوطن حتي وإن كنت أنا الحي وأنت الميت فدلني تقولون في بلادكم تلك أن الغريب أعمي وإن كان بصير وأنا البصير الأعمي الذي لم يجد من يذهب له ليشكي حاله غير ميت يقف علي قبره يتوسل له دلني يا طاهر أين تلك الفتاة، ثم أدمعت عيون خورشيد فشعر عارف بكم الأسي الذي يحيط به لقد نسي عارف حزن خورشيد لم يتعاطف معه والسبب ليليان ولكنه شعر الآن أن خورشيدهو أيضا يحتاج من يبحث عنه الرجل تحول لحطام في أرض غريبة عنه ربت عارف علي كتف خورشيد وساعده للوصول للعربة كانت الشوارع تعج بالمتظاهرين لقد وقعت الحكومة المصرية علي أتفاقيه ١٩٣٦ الجميع ساخط علي موافقة الحكومة علي الاتفاقية فبرغم الوعود التي تضمنتها بحصول مصر علي الاستقلال ولكنها ترمي بالبلاد بين أنياب حرب قاسية لا ناقة لنا بها ولا جمل فالاتفاقية تلزم مصر بالوقوف مع انجلترا في حربها وأن تمدها طوال الحرب العتاد والمؤن.

عاد خورشيد لقصره وحيدا شريد أرهقه الحزن حتي تملك منه جلس بحديقته بجوار زهور الجوري ينظر لها يتذكر ليال مماثله في إسطنبول ولكن تلك الليلة كانت أكثر ظلاما ووحدة كانت رياح شتوية تعصف بأغصان شجر الحديقة فتصدر صوت حفيف مخيف يسري فيقطع هدوء الليل بأصواته المخيفة بينما النجوم في السماءتطل باستحياء خلف غيوم شتوية قطعت علي نفسها وعود بأن تهطل علي أهل الأرض لتغسل نفوسهم وتزيل همومهم تلك الليال الشتوية أتت مبكرة هذا العام

يبدو أنها ستمطركم تهوي جوري المطر وبينما يحاول خورشيد بإقناع نفسه علي النهوض ليذهب إلي غرفته سمع شيء يرتطم علي الأرض كان الصوت قوي شيء سقط من أعلي سور الحديقة لا يبدو سقوط قط أو طائر الصوت أكثر من ذلك وما كاد خورشيد ينهض ليتفحص المكان حتي سمع صوت تأوه إنسان أدرك خورشيدأن أحداهم تسلل إلي الحديقة وسقط من فوق السور تتبع خورشيد الصوت فوجد شاب يرتمي علي الأرض لا يقوي علي النهوض نظر خورشيد للشاب عن قرب فوجده ينزف ويبدو أنه مصاب صاح خورشيد ليستدعي الحرس والخدم ولكن أتاه صوت الشاب يتوسل له لا تستدعي أحد سيسمعك الظباط ليأتوا ليقبضوا علي عرف خورشيد أن الشاب مطارد

- لما تطاردك الشرطة؟!

- لست لص أنا طالب جامعي

- ولما تهرب من الشرطة إذن

- كنت أتظاهر ضد الحكومة والإنجليز

- ألم تعلم لقد وقعوا علي اتفاقية

- أنني أتظاهر بسبب ذلك

- أتركك من هذا دعني أساعدك الآن علي النهوض من هنا أسرع خورشيد ليأتي بعارف ليساعده علي إدخال الشاب للداخل تفاجأ عارف من موقف خورشيد مع الشاب فهو يكره السياسية والسياسيين، ولكن خورشيد قاطع نظرات عارف له قائلا

- إنه شاب صغيرا في عمر علي ابني

ساعدا خورشيد وعارف الشاب لإدخاله داخل البيت أدخلاه مباشرة إلي غرفة المكتب فهي الأكثر أمانا من بين جميع غرف البيت فلا يدخلها الخدم دون أستاذان خورشيد تمدد الشاب علي أريكة متواجدة في غرفة المكتب وقد بدي أنه يعاني من جرح قطعي في ساقه ويبدو أنه كسرت ذراعه بعد وقوعه من فوق السور قال خورشيد للشاب

- يجب أن ننقلك لأحد المشافي ليتم تجبير ذراعك هذا كما أنك تحتاج جراحة في قدمك رفض الشاب بشدة قائلا

- سيتم القبض علي بمجرد ذهابي للمشفي

- إذن كيف لنا أن نساعدك أنت تحتاج لمساعدة طبية وليس إسعافات أولية فقط

- لا يمكن ذلك

- إن سمحت لي أن أقضي تلك الليلة بمنزلك وصباحا سأرحل وسأتولي أمر نفسي

- أسمح لك ولكن

- لا يوجد أي شيء يمكنك أن تقدمه لي غير ذلك ولكن كل الشكر حقا أنت مصري أصيل نظر خورشيد لعارف مبتسما مصري أصيل؟ تلك الكلمة أسعدت خورشيد حتي استطاعت إخراجه من ظلام أحزانه ليبتسم فبالرغم حصول خورشيد من سنوات علي الجنسية المصرية ولكن لم يسمع أحد ينعته بمصري جاءت الكلمة من الشاب لتسعد قلب خورشيد الكسير .

أمر خورشيد عارف بتوفير أغطية ووسائد للشاب وأكد علي عارف أن يحرص علي عدم دخول أحد لغرفة المكتب حتي الصباح.

صعد خورشيد لغرفته الغرفة مظلمة باردة تفتقد للحياة من دون جوري نظر خورشيد يتلفت حوله فوجد انعكاسه علي المرآة فنظر لنفسه مبتسما ساخرا .

- مصري أصيل ...هل بعثت بهذا الشاب يا طاهر لتخفف عني ابتسم خورشيد مجددا بانكسار ثم أوي إلي الفراش ولأول مرة خلد خورشيد للنوم ربما أتت تلك الترضية له في موعدها فكانت كمخدر لآلامه لأول مرة شغل تفكير خورشيد شيء أخر غير اختفاء جوري ولربما ساعد خورشيد الشاب إكراما لها هو يعلم دائما أن حث جوري الوطني لم ينتهي أو يقل بعد موت طاهر ربما بعدها عن المشاركة في الحياة السياسية إرضاءا له ولكنها تذهب لبيت الأمة دائما للاطلاع علي كل جديد يخص قضية بلادها.

أتي الصباح فنهض خورشيد من فراشه مبكرا عندما تذكر ضيفه الممدد علي أريكة المكتب بالأسفل لبس ثيابه مسرعا لينزل قبل الجميع ويسرع لغرفة المكتب دخلخورشيد علي الشاب فوجده ما زال ممدد كما هو فأيقظه خورشيد متسألا.

- ما الذي تنوي عليه جرحك عميق يحتاج لجراحة وذراعك لا يمكن تركه علي هذا الحال ما الذي يمكنني أن أقدمه لك.

- شكرا لك كثيرا أنت إنسان وطني حقا.

- ابتسم خورشيد مجددا وقال للشاب لا تشكرني علي واجب إنساني أفعله تجاهك أنت بعمر ابني.

- وهل ابنك له نفس الحث الوطني مثلك.

- لا أعرف حقا لم أسأله يوما ما يشعر به تجاه وطنه.

- كيف لا تعرف

- لأنه تربي بعيدا عني.

- ولكنه تربي علي أرض هذا الوطن حتي لو بعيدا عنك.

- للأسف لا تربي علي أرض وطنه وليس هنا.

- هنا أنتفض الشاب وحاول النهوض من مكانه لقد لاحظ ملامح خورشيد الغير مصرية فتيقن أنه في بيت رجل أجنبي فشعر بالخطر.

- لا تقلق أنا مصري مثلك حصلت علي الجنسية منذ أعوام وزوجتي مصرية أب عن جد وأولادي مصريين.

- وما جنسيتك الأصلية.

- أبي تركي الجنسية من الأناضول وأمي امرأة عربية من الشام من حلب.

- إذن أنت مسلم عربي حتي وأن لم تكن مصريا.

- تماما والآن هل يمكننا التعارف أنا عبدالله خورشيد وأنت.

- سمير مرقص.

- هنا ضحك خورشيد لاطمئنان الشاب لمعرفته أن خورشيد عربي مسلم وهو قبطي.

- لا تضحك كلنا مصريون انا مصري قبطي وأثق في أخواني المصريين المسلمين.
- والآن كيف أساعدك؟؟!

- لتأخذني إلي المستشفي القبطي.

كان المستشفي القبطي يقع في شارع رمسيس وكان المشفي في ذلك الوقت تابع لإدارة الكنيسة ولكنه يقدم الخدمات الطبية لجميع المواطنين المصريين علي أختلاف دياناتهم وأصل فكرة المستشفي كعمل خيري لأول جمعية خيرية مصرية قبطية وهي جمعية المساعي الخيرية كان سعادة بطرس باشا غالي رئيسا لها وقد شاركهم في التأسيس الشيخ محمد عبده والشيخ محمد النجار وقد خطب في أول اجتماع لتأسيسها عبد الله النديم ولذلك فتلك الجمعية كانت رمز للوحدة الوطنية لم يكن يعرف خورشيد كل ذلك التاريخ ولكن سمير مرقص قد رواه له خلال طريهما إلي المستشفي وقد عرف خورشيد من سمير أن المشفي بها الكثير من الأطباء المصريين أقباط ومسلمين ومنهم من يساعد حركة المقاومة المصرية ضد الإنجليز وصلا خورشيد وسمير إلي المشفي ولكن سمير طلب منه المغادرة لكي لا يثير تواجد معه الشبهات لخورشيد فيما بعد، ووعد خورشيد الشاب بالمرور عليه مرة أخري للتأكد من تعافيه من إصابته بعد ذلك غادر خورشيد المشفي وهو في تعجب من أمره ما الذي دفعه لمساعدة هذا الشاب دائما هو بعيد كل البعد عن هذه المهاترات فهو يحب أن يعيش بسلام دون مخاطرة بسلامة عائلته لم يأخذ أيمن المواقف المؤيدة أو المعارضة للمقاومة المصرية ضد الاحتلال ربما ما أصاب جولفدان هي وطاهر في السابق جعله يتخذ الحيطة دائما في الدخول في تلك المعتركات السياسية التي لا يأمن المرء نهايتها، ولكن لما الآن يتغير خورشيد مساعدته لسمير اليوم كان إعلان صريح بداخله لأي من الأطراف ينحاز لقد شاهد خورشيد عربدة الاحتلال الفرنسي في الشام وعجرفة الاحتلال الإنجليزي في مصر نعم لم يحاول يوما المشاركة في مقاومتهما ولكنه دائما بداخله عقدة الذنب ربما لأنه ينتمي لذلك الكيان العثماني الذي تقاعس عن الدفاع عن تلك البلاد وهو من نصب نفسه وليا عليهم وجعل من سلطانه خليفة لتلك الأمة ولكن العثمانيين أضاعوا تلك البلاد وضاعوا هم أيضا تذكر خورشيد ما عزم علي القيام به بالأمس

ولكن أنساه ذلك حادثة ذلك الشاب فلقد عزم خورشيد علي زيارة شريف باشا علام عم جولفدان ليطمئن عليه لقد سمع من عارف أن الرجل منذ اختفاء جوري لا يبرح منزله وقد أستسلم للمرض فليزوره ويحاول أن يوضح له موقفه ولعله هو وشريف باشا يمكنهما التفكير مجددا بشكل منطقي لعلهما يجدا حلا لاختفاء جوري كان شريف باشا أنتقل للعيش في سرايا جديدة له في منطقة الزمالك لم يزوره فيها خورشيد من قبل طلب خورشيد من السائق أن يوصله لسرايا شريف في الزمالكوعند الوصول عاود خورشيد سؤال السائق عن اليوم الذي أوصل جولفدان لعمها وعما رأي أي شيء مريب حول المنزل في ذلك اليوم وكان جواب السائق.

- لا شيء أوصلت الهانم ثم طلبت مني الانصراف.

- هل رأيتها تدخل السرايا.

- لا ولكن رأيتها تتحدث مع الحارس

وصل خورشيد لمنزل شريف باشا ولكن أنصاف هانم هي من استقبلته فيبدو أن شريف لا يريد استقبال خورشيد رحبت أنصاف بخورشيد وبدأت بالاعتذار عن عدم تمكن الباشا من النزول بنفسه للترحيب به فرد عليها خورشيد.

- لا بأس أعلم أنه ما زال غاضب مني وأنا متفهم لموقفه.

- للأسف يا باشا الوضع سئ للغاية ما زالت جوري مختفيه وعمها يكاد يجن من أجل الفتاة.

- نعم ولكنني لن أرتاح إلا أن أجد جوري أنتم تعلمون مدي حبي لها لا يوجد منسيجن لاختفائها مثلي .

- ليتك كنت تتذكر هذا الحب قبل الآن.

صمت خورشيد للحظات وهو ينظر لأنصاف هانم

- ما الذي تقصدينه؟!

قالها بعد أن أعتدل في جلسته وذهب بظهره مستندا علي ظهر المقعد في وضع يبدو أنه متحفزا للجدال معها.

فنظرت له أنصاف بنظرة خبث واتهام

- لم يكن من اللائق يا باشا تلك التصرفات الصبيانية حتي وإن لم تجد راحتك مع جولفدان نعلم جميعا أنها فتاة عنيدة إذن فلتتزوج ولكن ليس مربية أولادك.

- كل هذا افتراءات لا يوجد لها صحة.

- كيف افتراءات أنا بنفسي من رأتك مع تلك الفتاة وأنا من أبلغ جولفدان يعلم الله كنت أريد الخير لكما كنت أظن أن جولفدان أصبحت سيدة عاقلة ستحاول أن تحتوي نزوة زوجها لا أن تتركه وتهرب.

- عن أي نزوة تتحدثين أنتي؟ وعن أي هروب جوري لا تهرب مني أبدا؟.
- إذن أين ذهبت مر أكثر من شهر ولم تظهر الفتاة أمر من أثنين أما أنها تتعمد ألا يجدها أحد أو ربما.....

- ربما ماذا؟

قالها خورشيد وهو يحاول أن يتمالك أعصابه والدماء قد أصبحت تتدفق إلي رأسه حتي صبغت وجه بالون الأحمر تماما .

- ربما لقدر الله انتحرت

هنا وقف خورشيد ينظر لأنصاف وكأنه يريد أن يوجه لها لكمة ما جعله يتحكم في انفعاله أنه رجلا محترما وهي سيدة فمسك قبضة يده اليمني باليسري وقال.

- زوجتي سيدة تخاف الله أعلمها جيدا وما دار بيننا ذلك اليوم مجرد خلاف يحدث بين أي زوجين ربما جوري غضبت لأنها المرة الأولي التي شكت في حبي لها، ولكن لو بقت لعلمت أن شكوكها كاذبة وأنني لا أري من نساء الأرض غيرها، وبعد أن أخذ نفس عميق نظر لأنصاف التي بقيت جالسة علي مقعدها تنظر له في برود وعدم اكتراث لغضب الرجل أستأذنها خورشيد.

- أرجو أن تبلغي سلامي واحترامي لشريف باشا وتطمئنيه أنني سأصل لجوري في أقرب وقت، غادر خورشيد المكان مندفعا وهو يهرب من جحيم تلك المرأة ويسأل نفسهلما أتيت إلي هنا، ولكن أثناء مغادرته سأل الحارس الموجود علي باب السرايا عن يوم اختفاء جوري.

فرد عليه الحارس

- لقد سألني شريف باشا من قبل أتت سيدة في ذلك الوقت وسألت عليه ولكن الباشا وكل أهل السرايا كانوا في الخارج كانوا بالخارج ذهبوا جميعا إلي حفل زفاف رحل خورشيد وهو لا يندم علي تلك الزيارة كل شيء بدا واضحا الآن من أدخل الشك لقلب جوري هي أنصاف هانم تلك المرأة الشيطان يعلم الله أي من الأفكار أقنعت بها جوري ذلك اليوم جعلتها تثور بذلك الشكل كما أنهم لم يكونوا متواجدين في حفل زفاف جوري كانت تعلم أنهم سوف يتأخرون بالخارج والحارسلا يعرفها ليدخلها الحارس والبيت جديدين ربما ذهبت لمكان ما بعد ذلك لتنتظر عودة عمها.

- إلي أين ذهبتي يا جوري؟؟

عاد خورشيد للبيت وهو يلوم نفسه كيف لم يفكر من أخبر جوري بلقاءاته مع ليليان؟ وبأي شكل وصلت لها المعلومة؟ ليته أخبر جوري بكل شيء يخص ليليان من البداية.

ما وصل خورشيد إلي البيت حتي وجد أن البيت تحول لساحة معركة بين علي وفاضل لقد وقف فاضل يتهم كلا من علي وليليان بأبشع الاتهامات أمام جميع من فيالبيت لقد أتهم فاضل ليليان بأنها تذهب لغرفة أخوه وأن بينهما علاقة محرمة لقد قص عارف علي خورشيد ما كان من فاضل لقد وقف الفتي علي الدرج يصيح أخرجوا من بيتي وظل ينده علي الخدم ليأتوه ليروا بأعينهم فما جرأ أحد علي الصعود غير عارف.

قال عارف لخورشيد

- عندما صعدت لأعلي لأري لما يصرخ فاضل رأيت ليليان تخرج من غرفة علي ولكن لم أري غير ذلك وعندما سمع خورشيد ذلك شعر أن جدران بيته تنهار فوق رأسه حجر ثم حجر لقد تحول بيت الأحلام إلي كابوس لا ينتهي استدعي خورشيدفاضل وعلي فورا فنزلا الأخوين وقد أصبح بينهما عداء لم يكن في الحسبان طالبخورشيد فور نزولهم فاضل بالاعتذار لأخوه الكبير علي.

- أعتذر الآن لأخيك الأكبر

- لن أعتذر

صدم خورشيد في رد فاضل السريع لقد أخد الفتي الصغير قراره مسبقا .

- كيف لن تعتذر؟! هذا أخوك قد أهنته أمام كل من يعمل في هذا البيت.

- وليكن هو يستحق

- متي أصبحت عديم الأدب

- عندما سمحت أنت لليليان تلك أن تكون مربية لي.

- ما الذي تقول يا فتي ألا تعرف عمرك.

- نعم أنا صغير حمدا لله وألا أصبحت هدفا آخر لها بعدك أنت وأخي.

هنا لم يتمالك خورشيد نفسه فصفع فاضل صفعة جعلت الولد يسقط علي الأرض فذهبا كلا من علي وعارف لمحاولة مساعدته علي النهوض ولكن الفتي رفض وقال

- ابتعدوا عني لا أحب أحد منكم بعد الآن ولن أسامح أو اعتذر لأحد إلي أن تعود أمي ثم فر هاربا من أمامهم إلي غرفته.

شعر خورشيد أنه هو من سيسقط علي الأرض كيف فعل هذا في الصغير الفتي حزين علي فراق أمه ويبدو أنه يظن أن أخوه وليليان السبب.

نظر خورشيد لعلي وسأله

- وأنت الأخر ما جاء بليليان في غرفتك عارف قال أنه رأها تخرج منها؟

- نعم ولكن ليس كما يدعي فاضل جاءت لتقترض مني شيئا ما.

- شيء ما وما هو؟

تكلم خورشيد وهو يتهكم علي ردود علي

- جاءت تقترض رواية قالت أنها تشعر بالملل ليلا فقلت لها أنني أملك العديد من الروايات وطلبت منها أن تأتي لتختار أحداهم.

- قال أخوك أنها ليست المرة الأولي

- نعم في مرة سابقة جاءت وأخذت أحدي أسطوانات جرامافون

نظر خورشيد وعارف كلهما لبعض ثم صمت خورشيد قليلا ثم قال

- من اليوم ممنوع التعامل مع مربية أخويك منعا تاما يا علي

- كيف هذا ولما لافتراءات طفل معقد هربت أمه؟

هنا كاد أن يصفع خورشيد علي هو الأخر ولكنه تراجع

- أنني لن أصفعك مثل أخوك لأنك أصبحت رجلا ولكن حذار أن تتكلم عن أخوك أو أمه هكذا أبدا هل تفهم؟

نظر علي لأبوه لحظات ثم انصرف دون أن ينطق كلمة واحدة سقط خورشيد علي أقرب مقعد تهاوي جسده تماما عليه شعر بأنه رجلا عجوز أرهقته السنين وأوجعته لم يعد عنده القدرة علي تحمل لكماتها له لقد هزم تماما كملاكم في حلبة وقع ويبدو أنه هذه المرة لن يستطيع النهوض اقترب عارف من خورشيد يحاول أن يخفف عنه ولكن خورشيد طلب منه أن يتركه.

مر ليل أخر علي خورشيد لا يعرف فيه النوم لقد بدأت الليالي الحزينة تتوالي علي هذا البيت منذ رحيل جوري ولكن اليوم كان أتعسهم.

صعد خورشيد لغرفته وهو يكاد يجرجر قدميه وكأن ريح عاتية تقاوم تقدمه وصل إلي الغرفة لم يحاول أن يضيئها بل أرتمي علي الفراش بكامل ملابسه لم يستسلم للنوم بل أراد أن يستسلم لما هو أكثر ظلاما ووحدة وأكثر طولا أراد لو يستسلم كليا كفارس منهزم رمي سيفه ودرعه وهوي علي الأرض جاثيا علي ركبتيه أمام عدوه يعلن الاستسلام الأبدي ولا يطلب غير الموت الرحيم أراد أن تبتلعه ظلمة الغرفة أن يتلاشي فهي أقل كأبة ووحشة من الظلمة بداخله أغمض خورشيد عيناه بلا نية علي أن يحاول أن يفتحهما مرة أخري ذهب إلي عالم أخر تلك الليلة وجد نفسه في

الأناضول رأي خورشيد كايا ممسكا بيد فاضل ياللعجب كيف لم ألاحظ فاضل نسخة من جده خورشيد كايا كان صفير يعلو المكان ما هذا الصوت يد قوية تربت علي كتفه أنه طاهر يقول له أنظر جوري تقف هناك.

يستيقظ خورشيد مفزوعا وهو يردد أين؟أين؟

لم يجد إلا عارف واقف بجانب الفراش نور الصباح ملء الغرفة

- سيدي هل أنت بخير؟

- نعم يا عارف مجرد حلم.

ذهاب وعودة

يبدو أن صباح يوم جديد أتي رغما عن خورشيد مهما حاول الإنسان الهروب من أحزانه وأوجاعه فلابد له أن يواجهم لن ينتهوا من مطاردته طوال الحياة إن لم يواجهما كان يجب علي خورشيد مواجهة ما يحاول الهروب منه استعد خورشيد لمواجهة يوما جديد ولكن لابد أن يلملم أشلاء قلبه وأن يجاهد أحزانه من أجل أبناؤه ما حدث بالأمس ليس بقليل لن يترك فاضل الصغير تأكله نيران الغضب علي كل من حوله ولن يترك علي يتمادي في دور الأناني أما تلك ليليان وإن كان يشفق عليها سابقا ولكن لكل شيء حدود وحدود خورشيد دائما كانت حدود الله وما يرضيه نزل خورشيد لغرفة الطعام فلم يجد غير الصغيرة زينب جلست محاولة ألا تبدي دموعها ألقي خورشيد تحية الصباح عليها فردت وهي تضع عينيها في الأرض تحاول ألا تلتقي بعيني أبوها أنها حزينة مما بدر منه وعقابه لأخوها بالضرب بالأمس تأثر خورشيد كثيرا بحزن ابنته كأنها جوري جلست امامه تعتب عليه بنظراتها تلك زينب ما هي إلا قطعة من أمها أقترب خورشيد من الفتاة ثم نزل لها يضمها لصدره لم يقل لها الكثير فقط قال

- لا تخافي كل شيء سيصبح بخير أبوكي سيصلح كل شيء يا صغيرتي فقط لا تغضبي منه هو في حاجة لكي وما كان للفتاة أن تسمع هذا إلا أن أرتمت في أحضان والدها والدموع تسيل علي وجنتيها بعد ذلك أستدعي خورشيد عارف ليعطي أوامر جديدة

- من اليوم ليليان تنتقل من غرفتها إلي أحد غرف العاملين بالطابق السفلي ولا داعي لأن تتناول الطعام معنا فالأولاد لا يحبون وجودها معنا أكد عارف علي تنفيذ أوامر سيده فأمر الخدم بالأوامر الجديدة نزل علي بعد ذلك ولكن فاضل لم ينزل وأخبر عارف خورشيد بأن فاضل يفضل

أن يتناول الطعام اليوم في غرفته لم يعلق خورشيد وجلس علي طاولة الطعام فسأل علي عن ليليان فأجابه عارف

- أمر خورشيد باشا بألا تجلس معكم مجددا

نظر علي لوالده ثم أكمل طعامه دون أن يلفظ بكلمة واحدة

بعد أن انتهي الجميع من الطعام تحدث خورشيد لزينب

- أتحبين الخروج معي اليوم

- إلي أين؟

- سنذهب معا إلي لونا بارك

كانت لونا بارك هي أشهر مدينة العاب في مصر أو الوحيدة وكان مكانها حي مصر الجديدة ابتهجت الصغيرة كثيرا كان أكثر الأماكن بهجة بالنسبة لها رغم أنها لم تذهب إليه غير مرات فالمسافة بين المنيل ومصر الجديدة ليست بقليلة أراد خورشيد أن يقلل من أحزان الصغيرة الجميع عبر عن حزنه لاختفاء جولفدان إلا تلك الصغيرة كتومة تحتضن حزنها في قلبها الصغير ولكن يجب أن يرفق بها أحد قبل أن تتهاوي من حزنها ذاك.

أثناء الطريق كان يسود الصمت لم تتكلم زينب كثيرا أو تعبر عن فرحتها للذهاب لونابارك يبدو أنها تذكرت المرة الأخيرة التي ذهبت إلي هناك مع أمها وأخوها فاضل.

- ليتهما معي

هذا ما كانت تفكر به زينب طوال الطريق أما خورشيد فقد ذهب عقله بعيدا فظل شارد دون كلام في لحظة أتي صوتا قوي قطع الصمت كالسيف أنه صفير انتفضت الفتاة ونظرت لوالدها أنتبه خورشيد لقلق الصغيرة لا تقلقي أنه صوت القطار نحن بالقرب من محطة مصر.

صمت خورشيد قليلا وكأنه تذكر شيء فعاد لصغيرته ليقول لها

- هل يمكن أن تذهبي معي لمكان قبل الذهاب للونا بارك

- إلي أين؟

- سنزور مريض

- من هو

- شاب أعرفه يوجد بمستشفي قريب من هنا

- تمام فلنذهب

أمر خورشيد السائق أن يتوجه إلي المستشفي القبطي وعندما وصل سأل في الاستقبال عن شاب يدعي سمير مرقص كانت تقف أحدي الممرضات وكان يبدو عليها أنها ممن يقدمون خدمات تابعة للكنيسة فالتفتت إليه تسأله

- وما الذي تريده من سمير مرقص؟

- أنا صديق له.

- تعجبت الممرضة ولتعاود السؤال صديق له؟

لاحظ خورشيد أنها يبدو أنها تعرف سمير فقال في صوت منخفض

- أنا من أحضرته إلي هنا هنا ابتسمت المرأة لخورشيد ثم قالت

- تفضل معي

- أنتي تعرفين سمير ربما أنت الشخص الذي يثق به ولذلك أتي إلي هنا

- نعم هو أخي أنا ماري مرقص

وصل كلا من خورشيد وماري والصغيرة إلي العنبر الذي يوجد به سمير كان ملء بالمرضي الرجال ويبدو أنه عنبر خصص لمرضي العظام كان سمير يتمدد علي أحد الأسرة بالعنبر ولكنه بمجرد أن رأي خورشيدابتهج بل حاول أن ينهض للترحيب به ولكن خورشيد سبقه ليسلم عليه ويحاول منعه من النهوض نظر سمير لزينب فقال له خورشيد.

- تلك ابنتي جاءت لتطمئن عليك

ابتسمت زينب لسمير ولكنها كان يبدو عليها القلق والتأثر من حالات المرضي حولها استأذنت ماري من خورشيد أن تأخذ الفتاة معها لتبتاع لها بعضا من الحلوي ولكن خورشيد حاول أن يعتذر لها لأنهما في عجلة ولكن ماري أصرت.

- لقد ضايفت أخي ليلة في بيتك دون أن تعرفه وتبخل علينا أن نضايفكم شيئا لم يرد خورشيد أن يخجل ماري فوافق فذهبت زينب معها .

عاد خورشيد للاطمئنان علي سمير

- كيف أصبحت الآن

- بخير وذلك بفضلك

- لا تقل ذلك

- لو تم القبض علي في تلك الليلة لتم تسليمي للإنجليز

- وهل يستحق الأمر كل ذلك العناء بعد معاهدة ٣٦ اعترفت انجلترا بحقوق مصرفي الاستقلال

- ومتي صدق الذئب في وعوده للأغنام؟ أنها الحرب فقط أنهم لا ينظرون لنا غير ممتلكات وضعوا يديهم عليها يلحون لنا بوعودهم الواهية ليأمنوا جانبنا أثناء حربهم فقط فما أن تنتهي تلك الحرب سيعودون أسوء مما كانوا

- ربما أنت محق لقد زرت فلسطين قبل مصر ورأيت كيف استطاعوا أن يكسبوا اليهود حول العالم بوعد بولفور هذا إنهم يمنحون أرض ومقدسات لغير أصحابها ولا يهمهم ما الذي سيحدث بعد ذلك من تناحر بين الطرفين فقط مصالحهم في المقدمة

- قلت لك لا عهود لهؤلاء القوم

- ولكن ألا تخاف علي حياتك أنت تعرضها للخطر

- لا أخاف بل أتمني أن أموت فداء لوطني

صمت خورشيد قليلا ربما تذكر طاهر في تلك اللحظة

- ما هو الوطن بالنسبة لك يا سمير؟

تعجب سمير لسؤال خورشيد

- لا أفهمك ولكن لا يوجد وصف دقيق للوطن داخلي هو شيء كالهواء والماء لا يمكن الاستغناء عنه هو كأبي وأمي أنتمي له لا أعرف وطنا غيره ولا أريد غيره أشعر أنه يمتلكني وأنا أمتلكه ولا أسمح للغرباء بأن يشاركونني أياه أغار عليه كغيرة محبوب علي محبوبته

- أتعرف أنني أحسدك

- علي أي شيء

- أنت تعرف وطنك حق المعرفة

- وأنت ألا تعرف وطنك؟

- أنا الوطن عندي ليس أرض أو مكان كان وطني شخصا وفقدته بل أضعته فضعت أنا

- فلتبحث عنه لا أحد يضيع وطنه نحن نفني من أجل الأوطان

- أحاول ولكن ...

هنا أتت زينب أتت تجري تهرول كادت أن تقع علي الأرض تصرخ

- أبي وجدت أمي

نظر لها خورشيد في زهول والفتاة تعلقت بملابسه تدفعه دفعا أمامها

- وجدت أمي يا أبي ترقد هناك

خورشيد لا يصدق ما يسمع ولكنه ترك نفسه لصغيرته حتي دخل عنبر يبدو أنه للنساء لم يكن به غير حالتين وبقية الأسرة فارغة من المرضي فدفعته زينب دفعا إلي أحد الأسرة وماري واقفة لا تصدق هي الأخري تنتظر ردا من خورشيد وصل خورشيد للسرير ونظر فجحظت عينه لما رأي تلك جوري تنام مغمضة العينين كالملاك ذهب في سبات عميق.

نظرت ماري لخورشيد الذي فقد القدرة علي الكلام فسألته

- حقا هي زوجتك؟

استيقظ خورشيد وتنبه لسؤال ماري وهو ينظر إلي جوري

- نعم زوجتي تلك زوجتي

كان ينطق بتلك الكلمات ويكررها والدموع غلبته فنزلت من عينه دون أستاذان كانت جوري في حالة غيبوبة ليست كاملة كانت تفيق أحيانا دون أن تنطق غير بكلمات مبهمة لم يفسروا منها غير اسم خورشيد كما كانت يوجد بها كسور تم علاجها خلال شهر كامل فلقد صدمتها سيارة أمام محطة مصر يبدو أنها كانت ذاهبة إلي هناك هذا ما أخبرت ماري خورشيد به جاءت إلي المستشفي بدون شيء يدل علي هويتها لم يكن معها حقيبة أو أي شيء ربما فقدت أو سرقت أثناء الحادث كانت الإصابة بالرأس شديدة وفقدت دماء كثيرة وربما هذا ما جعل حالتها تسوء

رغما عن حالة جوري تلك ولكن خورشيد شعر بالروح تدب مرة أخري في جسده شعر أنه وجد ما ينتمي له لينقذه من الضياع عودة جوري كانت معجزة كعودة الروح للجسد.

مرت أيام بعد أن وجد خورشيد جوري كل شيء عاد الحياة السعادة الأمل رغم أنجوري لم تكن جوري أنها تستيقظ تنظر لم حولها في حالة من الاستغراب والوحشة لا تتحدث إلا همهمات لا أحد يعلم هل هي تعي ما يجري حولها أم أن عقلها أخذها لمكان أخر لم يعد خورشيد يفعل شيء يوميا إلا البحث عن طبيب جديد ليعرض عليه حالتها أختلف الأطباء علي حالتها من قال أنها حالة مؤقته وستزول مع الوقت ومن قال أن تجمع دموي قد تكون في الرأس يضغط علي المخ بصعوبة أن يزول ولكن قدرتها علي المشي كانت في تحسن ولكنها تسير كشبح هائم تحركها الرياح .

وبعد أسبوعين قرر الأطباء أن جوري يمكنها مغادرة المستشفي ولكنها يجب أن تظل تحت الرعاية الطبية والمتابعة.

عادت جوري للمنزل ولكن كان يجب من وجود من يمرضها فختار خورشيد أنيطلب من ماري هذا لم تكن ماري لتخرج للتمريض المنزلي فعملها في المستشفي القبطي كان تحت إشراف الكنيسة ولكنها لتأثرها بحالة جوري واعترافا منها بجميل خورشيد الذي صنعه مع أخوها وافقت أن ترافق جوري وأن تنتقل كممرضة مقيمة معها في المنزل شكر خورشيد ماري وسمير كثيرا لوقوفهما معه في تلك المحنة ولك هما وجدا ذلك أمر مفروغ منه وأنهما يفعلان ما وجدا الأمر يتوجب عليهما.

أقامت ماري في غرفة ليليان القديمة وهذا ما أسعد الصغيرين كثيرا وخاصة زينب التي أحبت ماري كثيرا كانت تراها من أعادت لها أمها فلولا أنها أخذتها معها ومرتعلي هذا العنبر مصادفة ما كانت ستري أمها

ثانية أما فاضل وجد أنها امرأة تحب أمه كثيرا تحنو عليها وترعاها وكأنها تعرفها منذ وقت طويل.

أما ليليان فلقد فقدت أيامها الجميلة فالقصر الجميع أصبح يعاملها معاملة الضيف الثقيل الجميع يتسائل متي ترحل تلك الفتاة وخاصة أن خورشيد منع صعودها للدور العلوي منعا نهائيا لكي لا تراها جوري ربما ما زالت تتذكر فتتأثر بوجود تلك الفتاة بشكل يؤثر علي حالتها بالسلب، أما علي فعودة جوري لم تكن لتعجبه ظن أنه تخلص منها للأبد وأن والده عاد له كان ينتظر قليلا من الوقت ليفاتح والده بالعودة جميعا لإسطنبول فلنعود إلي حيث ننتمي ولقد وعد ليليان أيضا بأن يصطحبها إلي هناك فأعجبتها الفكرة كثيرا لقد تحدث لها عن جمال قصر صابانجيفي إسطنبول وروعته وما يملكونه هناك من سلطة ونفوذ مما ألهب طموحها وهي لا تفوت مثل تلك الفرص، ولكن عودة جوري قد هدمت كل تلك الأحلام بل أثبتت لعلي أن والده لا يمكن أن يتخلي عن جوري في يوم من الأيام، أما شريف باشا ذلك الرجل لم يكن أحد يتوقع أنه يحب ابنة أخاه بهذا الشكل ففور علمه بالعثور علي جوري لم يفوت يوما دون المرور عليها يجلس بجوارها يمسك بيديها يضعهما علي وجه ويقول

- حبيبتي اشم بين كفيك ريح أخي سامحني أن أثرت يوما معك وكانت جوري تتجاوب معه جيد تنظر لها وعينها ترغرغ بالدموع وأحيانا تبتسم له فكان يكتفي بهذا ويرحل ليعاود الزيارة يوميا ولم يصطحب معه زوجته في أي من زياراته ويبدو أنه حملها ما أحل بالفتاة .

أما خورشيد فلقد أصبح يهتم بجوري كطفلة له وليست كزوجة كان يمسك بيديها يساعدها علي السير في الحديقة يوميا ثم يجلسها بجانب أحواض ورد الجوري ليهديها أحداهم وتلمع عينه حبا لها كأنه أول يوم يلقاها فيقبلها بين عينيها ويهمس.

- سامحني

كان كل من بالبيت شاغله الشاغل هي جوري إلا فاضل هذا الفتي متيقظ دائما أنه لا يغفر ما حدث لأمه.

- عندما يتعلق الأمر بأمي لا غفران هنا الجناة أمام عيني تلك ليليان وعلي لا أشك أن له بالأمر يد ما حدث لك يا أمي لن أمرره.

كان فاضل بلغ الرابعة عشرا عمرا ولكن عقله أكبر كثيرا من عمره لا يحب اللهو مثل أقرانه في عمره لا يحب الثرثرة كثيرا قاسي في كثير من الأحيان إلا علي والدته وأخته عهد علي نفسه أنه حارسهما رغم اندفاعه وعنفه أحيانا ولكنه الطفل الوديع بين يدي والدته ينظر لها في حنان وعطف عليها وكثيرا ما تخونه دموعه وهو ينظر فيجد لا حول لها ولا قوة ذلك يجن جنونه ويعصف بصدره لهيب نار يريد أن يخرج ليحرق من تسببوا بذلك لقد رسم لنفسه طريق لا أحد يعلمه غيره بعكس زينب التي أصبحت كالفراشة تطوف حول أمها تساعد في تمريضها مع ماري كثيرا حتي أصبحت تقول أنها تريد أن تصبح طبيبة.

مرت الشهور وحالة جوري ما بين التحسن البسيط والثبوت ولكن الأمل لم ينقطع عند خورشيد كان يحادثها كما لو كانت منصته وتفهمه هو مصر أنها واعية لكل شيءولكنها تجد صعوبة في التعبير عن نفسها كان يكفيه أنها ما زالت تذكر اسمه بل أنه الاسم الوحيد الذي تردده خورشيد تنطقه بصعوبة ولكنها تردده فتبتسم الحياة لهعندما يسمعها، أما فاضل كان مثل الصياد الذي يراقب فريسته لم يفارق يوما تتبع خطوات ليليان ولم يعد يجد حرج في أن يطلب منها ألا تقترب من المكان الذي تجلس به أمه.

حتي أتي هذا اليوم لقد أتت أخصائية العلاج الطبيعي لتقوم بعمل جلسات لجوري كان هذا اليوم في العادة الكل ينشغل به فلا أحد يقترب الدور العلوي إلا جوري وماري والأخصائية وزينب تساعدهم وقد لاحظ فاضل أن في ذلك اليوم تحديدا يجد العاشقين الجو المناسب للقاء وكان عادة في القبو حيث مخزن الأغذية للبيتأو في البيت الزجاجي في نهاية الحديقة

كان يتابعهما عن كثب دون أن يلفت الانتباه لن يتهمهما مرة أخري بشيء إلا بشهود ولكنهما عادة يلتقيا ويظلان يتحدثان فقط ولكن هذا اليوم وجدهما متجهان للبيت الزجاجي في الحديقة أن لو نافذة قد تعمد فاضل لإتلافها ليسمع منها ما يدور بينهما في الداخل وقف فاضل يسترق السمع يبدو أن يوجد أمر يربك ليليان ولكن علي يحاول تهدأتها فحاول فاضل أن يقترب أكثر ليسمع بوضوح فوجد ليليان تقول

- ما الذي سنفعله إذ تكلمت تلك الحمقاء وأخبرت خورشيد باشا بكل شيء؟

- لا تخافي إنها تريد الحصول علي المال فقط سنعطيها إياه

- وإن طلبت مجددا

- سنكون ذهبنا أنا وأنت من ها

- متي هذا أنا لم أعد أطيق البقاء في هذا البيت

- اصبري قليلا سأفاتح أبي في أمر المال قلت لك أتيت هنا لأحصل علي توكيل من أبي لإدارة أعماله بإسطنبول بدلا من ذلك زوج أمي.

- ولكنك لم تفاحه إلي الآن

- كنت اظن أنني سأقنعه للعودة لإسطنبول لولا عودة جوري تلك

- لا أعرف ما الذي سيفعله أبوك أن عرف أننا كنا علي معرفة بمكانها ولكننا لم نخبره وأخفينا الأمر عليه؟

- كنت أتمني ألا يعرف أين هي فييأس ويعود معي لتركيا

- ولكنه وجدها

- تلك المصادفة وسوء الحظ

- ولكن صديقتي تلك التي تعمل في استقبال المستشفي القبطي لولا أنها أخفت الحقيبة الخاصة بجوري يوم الحادث بعد أن أخبرتها أن تفعل ذلك لكان وجدها من اليوم الاول إنها تهددني الآن لتعلن كل شيء لأبوك

- لن تستطيع ستتعرض هي أولا للمسائلة القانونية هي لصة سرقت حقيبة جوري وأخفت هويتها.

سمع فاضل ذلك فكاد أن يجهز عليهما فيرديهما قتلا ولكنه تذكر والدته يجب أن أخبر والدي هذا هو الحل الأمثل سيعرف كيف يخرج منهما الحقيقة ولكن هل سيصدقني؟

جلس فاضل في واجهة باب المنزل ذلك اليوم دون حراك ينتظر عودة والده فمر عليه علي يسخر من حاله.

- ما الذي تجلس لتنتظره أمام الباب يا فتي؟ أيكون لك محبوبة وعدتك بالمجئ اليوم؟

نظر له فاضل في ضيق وغضب يتطاير من عينه حتي خاف منه أخوه وانصر يتمتم

- ما بال هذا الولد يبدو أنه فقد عقله

بعد ساعات انصرفت الأخصائية وبلغ عارف فاضل أنه يستطيع الصعود للأعلي إن أراد ولكن فاضل ظل متحجرا بمكانه.

وبعد ساعات فتح الباب ودخل خورشيد منه ليجهز عليه فاضل في الحال

- أبي أريد التحدث معك

- تمام يا فاضل ولكن سأصعد أولا للاطمئنان علي أمك

- لا لا يمكن التأجيل الأمر عاجل

نظر خورشيد لفاضل متعجبا من حال الفتي فلم يجد ألا أن يأخذ ابنه لغرفة المكتب ليسأله ما به

- لقد شغلتني يا فاضل لعلها لا تكون مشكلة جديدة بينك وبين أخوك؟

- أنها ليست مشكلة يا أبي أن الأمر بشع ستجد صعوبة لتصدقه فهل ستصدقني يا أبي؟

- أصدقك طالما أنك لا تكذب

قص فاضل كل ما سمعه لوالده لم يستطع خورشيد تصديق ما يسمع ولكنه أيضا لايمكنه تكذيب ابنه أي جحيم هذا كلا الأمرين أمر من الأخر إن كان فاضل صادق فأخوه شيطان خدعت فيه كيف يكون ابنا لي بتلك البشاعة وإن كان فاضل كاذب فإنها لكارثة أن يصل الحقد بقلب ابني ضد أخوه حتي يتهمه بذلك زور أصبح خورشيد بين نارين عاد فاضل ليسأل والده

- هل تصدقني يا أبي؟ ما الذي تنوي أن تفعله؟ هذان زادا من بؤس أمي ألا يكفي أنهاتركت البيت بسبب تلك الشيطانة ليليان وأيضا كانوا يعلموا أنها تعرضت لحادثوأنها ملقاة علي أحد أسرة المستشفي فأخفوا الأمر.

- يكفي يا فاضل لقد أوصلت لي ما سمعت فدعني أتحري حقيقة كل ذلك

- ولكن يا أبي

- لا يوجد لكن قلت لك سأتحري وأوعدك أنني لن أترك حق والدتك ابدا بعد ذلك أنصرف فاضل إلي غرفته وظل خورشيد بغرفة المكتب ولكنه أخرج من درج مكتبه تلك المفكرة القديمة إنها يومياته القديمة منذ فترة أنقطع عن التدوين بها أمسكها وأخذ يفر في الصفحات حتي وصل لصفحة منها فجلس يقرأها بعينه ثم أخرج قلمه من جيب معطفه ليضعه وسط تلك الصفحات نهض خورشيد من مكتبه متوجها إلي غرفة جوري

دخل مبتسما عندما وجدها تجلس أمام نافذتها ترسل النظر ل ضفاف النيل كعادتها القديمة أقترب خورشيد وجلي علي الأرض جاثيا علي ركبتيه وأمسك بيديها ونظر طويلا لعينيها وكأنه يبحث عن حبيبته وسط تلك العين الغارقة فالحزن والضياع.

- جوري حبيبتي يا من ملكت القلب والعقل ولم يملكهما غيرها أتعرفين يا جوري أنا بدونك غريب نعم أنا اكتشفت أن معني الوطن لي هو أنت أنا أنتمي لكي وأنتي تنتمين لي أينما وجدنا معا كان وطننا وأينما خطت قدماكي كانت أرضي وأينما سكنتي كان بيتي جوري لم أتحدث معك منذ أن عدت ولكن أجد اليوم مناسبا أعرفك الحقيقة يبدو أنني أخطأت أردت خيرا ولكن قوبل الخير بالشر ليليان تلك ...هنا تصلبت عيني جوري فعرف أنها قادرة علي فهم حديثه والإنصات له فستأنف حديثه في اهتمام أكثر

- ليليان تلك كنت أعرفها طفلة صغيرة منذ سنوات يوم أن دخلت منزلنا تحيرت من أمرها إلي أن شرحت لي مجيئها لبيتي تلك ليليان كانت أمها تدعي سارة وهي تعمل لدي رجل تركي يهودي يدعي عيزرا جاباكي؟ أتذكرينه كان معنا علي نفس السفينة ونحن قادمون من تركيا ذلك عيزرا لم يكن رجلا صالحا أبدا كنت أعرف شره منذ أن كنت بإسطنبول ولكن عند ذهابي لفلسطين تقابلنا مرة أخري ودعاني في أحد الليالي لمنزله كان يعتاد علي إقامة الحفلات الصاخبة لم يعجبني تلك الأجواء أبدا ولكنه كان حريص علي أن يدعو لحفلاته تلك الكثير من العرب من أمراء وسياسيين وتجار وعسكريين أيضا ولمعرفتي السابقة به شدني الفضول لغاية الرجل لم أكن أشك لحظة أن وراؤه غرض خبيث وبالفعل تعرفت علي سارة والدة ليليان هناك كانت حفلاته تعج بالنساء والرجال كان يتعلل أنه رجلا منفتحا وثقافته أوروبية ولا يحبالفصل وتلك العادات القديمة كما يدعي ولكن سارة كانت سيدة تختلف عن جميعمن بهذه الحفلات سيدة عربية محتشمة المظهر تتسم بالثقافة واللباقة في الحديث كانت ترحب

بالجميع وكان يقول عنها أنها ليست مديرة منزله فقط بل مديرة لأعماله أيضا تحدثنا يوما أنا وسارة كثيرا فبدا لي رغما أنها يهودية الديانة مثل عيزرا ولكنها تختلف عنه بل إنها لا تطيقه فقد أوضحت لي أن ذلك المرابي كان زوجها مدين له بالكثير من المال حتي تمكن عيزرا بوضع يده علي أملاك الرجل بعد وفاته فأصبح مصير سارة وابنتها ليليان تحت تصرف ذلك المرابي وأنه طلب منها العمل لديه بوعد منها أن يعطيها صك بيتا عتيقا بالقدس كان يملكه زوجها ويديره كبنسيون صغير هناك، ولكن في ليلة أتت لي سارة تلك تستغيث بي من عيزرا وتستحلفني بكل شيء أن أنجدها فلقد طلب منها عيزرا شيء مشين فلقد كان رجلا عربي من تجار فلسطين يعجب بها ويطاردها في كل مكان فأراد عيزرا أستغلال ذلك وألمح لها بمجاراة الرجل لإقناعه ببيع أرض تخصه بأحد الضيعات القريبة من القدس وعندما رفضت هددها بأبنتها تلك الفتاة ليست يهودية بالكامل فوالدها يوناني الجنسية كاثوليكي وأهله في اليونان كانوا يبحثون عنها ويرفضون تهويدها وإن عرفوا طريقها لن يتركوها أبدا لسارة، وهكذا يا جوري لم أجد بد من مساعدة امرأة وحيدة وبنتها جاءت لي تستغيث فأغثتها لقد حجزت لها علي نفس السفينة التي أتيت بها إلي مصر وأنفصلنا في الإسكندرية كانت سارة تقول أنها ستذهب إلي أصدقاء لزوجها هناك وستبحث عن عمل، ولكن بعد كل هذه السنين فوجئت بليليان طفلتها تأتي للعمل لدينا لم أعرف لما أتت وبعد ذلك وضحت لي ليليان أن أمها ذهبت للمغرب وتركتها بالإسكندرية وقد ذهبت هناك لأهلها لتبيع إرث لها وقد وعدتها بالعودة بمجرد أن تنتهي من البيع ولكن الأم ذهبت وانقطعت أخبارها هناك لم تعرف الفتاة ماذا تفعل وخاصة أنها قابلت عيزرا بالإسكندرية مصادفة وقد عرفها عيزرا وعرفت أنه يتتبعها فخافت من أن يصير لها قدر أمها فأتت إلي القاهرة وما عرفت أنك تبحثين عن مربية فرحت لذلك لتأتي لبيت الرجل الذي حماها هي وأمها صغيرة لقد طلبت مني ألا أبلغ أحد عن قصتها حتي لا يتمكن عيزرا من

العثور عليها كما أنني كنت فقط أنتظرها كل يوم سبت بعد خروجها من المعبد اليهودي في شارع طلعت حرب لم تحب أن يعرف أحد ديانتها وهي تعيش بهوية ولقب والدها اليوناني فلم أجد مانعا لتقديم تلك الخدمة الصغيرة لها وخاصة أنني أتناول قهوتي دائما في جروبي بعد أن أنتهي بعملي تلك هي القصة حبيبتي، ولكن إنني أندم أشد الندم علي أنني لم أقصها لكي من اليوم الأول لدخول ليليان تلك إلي بيتنا هنا نظرت جوري لعيني خورشيد إنها تستوعب كل حرف فنظر ليديها وفوجدها تقبض علي يده وتشد عليها فنظر لها خورشيد وهو لا يصدق عينيه فوجد الدموع تنزل علي وجنتي جوري وهي تبتسم فضمها له وأخذ يقبل جبينها. مضي أسبوع وفاضل شغله الشاغل يعرف إلي أي شيء توصل أباه حتي كاد اليأس يصيبه ويعتقد أن خورشيد لم يصدق حديثه من الأصل ربما أخذه بمحمل غيرة أخويه أو مجرد خلاف كان كثيرا ما يفكر أن يسأل أبيه ولكنه يتراجع دائما ربما إلحاحه سيؤثر علي رد فعل أبيه لصالح علي وليليان.

كان خورشيد يشعر ما يدور بعقل الصغير ولكنه تركه دون تفسير لعله يكون درسا له لعدم التهور والاندفاع.

مرت الأيام ثقيلة قاتلة لفاضل ولكن هذا البؤس لن يتركه أبوه فيه طويلا أتي صباح يوم كالعادة ليجتمع الجميع علي مائدة الطعام لتناول الفطور ولكن لم ينزل كلا من خورشيد وجوري أخبر عارف الأبناء أن والدهم يريد أن يجتمع معهم اليوم ومن أجل ذلك لا أحد يخرج من المنزل وأنه سينتظرهما في تمام الساعة الثانية عشر في المكتب نظر الأولاد الثلاث لبعضهم البعض لما يتوجب أن نري والدنا بمعاد مسبق وإن كان يريد أن يخبرنا بشيء لما لم يأت ويخبرنا به الآن ولكن لا بأس يبدو الأمر هام انصرف الأبناء إلي غرفهم والجميع يتسأل ما الذي سيخبرنا به والدنا كان فاضل يشعر أن الأمر له علاقة بما أخبر والده به ولكنه غير متأكد.

جاءت الساعة الثانية عشر ظهر دخل فاضل الذي كان فضوله سيقتله المكتب ليري والديه فتعجب لوجود أمه فمنذ إصابتها في هذه الحادثة يتجنب والده أن يزعجها بأي من أمور البيت ودائما يحذر الجميع من إثارة أي حوار أمامها يثيرها أو يغضبها أو يؤثر عليها بالسلب قبل فاضل والدته وجلس بجوارها ثم دخلت زينب ففرحت بوجود كل أفراد العائلة فجرت تقبل والديها وهي تبتهج لهذا التجمع دون أن تفكر في سببه وأخير جاء علي فنظر للجميع بشيء من الريبة والتوجس لهذا التجمع ولكنه ألقي التحية وجلس منتظر معرفة سببا لهذا الاجتماع، ولكن حدث أمر أدهش الجميع أتي عارف ومعه ليليان فأذن لهما خورشيد بالدخول، ولكن لم يحاول أن يرحب بهما أو أن يدعوهما للجلوس فظلا واقفين وبدا ذلك التصرف غريبا لفاضل فوالده لم يعامل ليليان كعاملة في القصر من قبل قام خورشيد ليحضر شيء تركه علي مكتبه وأعطاه لابنه فاضل فنظر له الولد متعجبا.

- تلك مفكرتي يا فاضل ربما تعرفها ورأيتني أكتب بها من قبل.

- نعم ولكن لم تعطيني إياها.

- أفتحها يا فاضل علي الصفحات التي وضعت القلم بينهم فتح فاضل المفكرة كما أمره والده

- اقرأ يا فاضل ما هو مكتوب فأخوك الأكبر علي لا يقرأ العربية يتحدثها فقط نظر فاضل لعلي الذي بدأ في توتر.

فاضل يقرأ (اليوم السابع من شباط أتت السيدة سارة موظفة عيزرا جاباكي تستغيث بي من ذلك المرابي عديم الأخلاق .....) ظل فاضل يقرأ السطور وهي نفس ما قص خورشيد علي جولفدان كانت ليليان تسمع القصة وهي تنتفض ويبدو أن علي لم يكن يعرفها فكان ينظر لليليان في

دهشة وحيرة لما يسمع انتهي فاضل من الصفحتين كما أمره والده ثم صمت ونظر لأبوه ليرد والده علي تساؤلاته

- نعم يا فاضل تلك السيدة سارة والدة ليليان وأنا كنت أساعد ليليان لمعرفتي بوالدتها، ولأنها طلبت مني المساعدة ووالدتكم أصبحت تعرف القصة كاملة قبلكم ولكن ليس دائما يا أولاد نجني من وراء الخير خيرا أحيانا يقابل هذا الخير نكران الجميل والإساءة والشر وهذا ما حدث معي للأسف ثم نظر خورشيد لليليان.

- أليس كذلك يا ليليان؟

ردت ليليان وهي ترتجف

- لا أفهم شيء

- ربما تفهمين عندما تقابلين صديقتك سيفيا.

ثم أمر خورشيد عارف بأن يدخل الضيفة التي أتت مع ماري اليوم فدخلت سيفيا فتاة تمتلك ملامح اوربية وشعر أحمر دقيقة الوجه تمتلك نظرة حادة ووجه متجهم نظر لها خورشيد وحياها وطلب أن تقص علي الجميع ما أخبرته به اليوم صباحا فقالت

- يوم الحادثة أتت السيدة جولفدان عندنا في المستشفي القبطي وأنا أعمل في الاستقبال أخذ بيانات المرضي الجدد عندما جاءت لم تكن بوعيها أتوا بها بعض الرجال الذين شاهدوا الحدثة كان يوجد مع جولفدان هانم شنطة بها المحفظة الخاصة التي تحتوي علي هويتها فعرفت من تكون لأن ليليان وأنا صديقتين عندمارأيت اسمها جولفدان علام عرفتها فأتيت هنا لليليان لأتأكد وأخبركم بالحادثة ولكن ليليان قالت لي أن أخفي تلك الحقيبة لفترة فالسيدة جولفدان قد تركت البيت بسببها وإن عرف لتعرضها لحادث سيلقي الجميع اللوم عليها ثم نظرت سيفيا لليليان قالت ليليان لي أن

جولفدان هانم لم تكن ترحمها وأنها سيدة لا يعرف قلبها الشفقة ولا الرحمة وأن هذا انتقام الرب منها هنا وقف فاضل وهو ينظر لليليان يكد يفتك بها فأمسك أبوه بمعصمه وطلب منه الجلوس استمرت سيفيا في الحديث بعد أول أسبوع أتيت مرة أخري إلي هنا لأخبر خورشيد باشا بمكان زوجتهولكن ليليان جعلتني أقابل ابنه الكبير الذي أعطي لي نقود كانت ليليان تعرف باحتياجي لها لسداد دين علي وطلب ألا أخبر والده وأكد لي أن لا أحد يفتقد السيدة جولفدان وأن الجميع سيغادرون قريبا لإسطنبول مؤكدا بمجرد السفر سأجعلك تذهبين لهم جولفدان هانم لأخباره بمكانها وما إن صمتت سيفيا حتي صاحت ليليان.

- تلك الفتاة كاذبة لا أعرف لما تحاول الافتراء على أنا وعلي بيه.

بالطبع كان خورشيد متأكدا من كلام سيفيا فذلك نفس الكلام الذي سمعه فاضل وأكده له طلب خورشيد من سيفيا أن ترحل ويبدو أنه وعدها بمبلغ بالطبع كان أكثر سخاءا من ابنه علي ظلت ليليان تبقي وتتأوه والكل لا يري إلا دموع التماسيحفقدت تأثيرها السابق علي الجميع أما علي ظل صامت لم يبرح مكانه ينظر للأرض أخذ خورشيد نفسا عميقا ثم ذهب لمكانه الأول بجوار جوري وأمسك بيديها فتلك الأحداث كثيرة علي حالتها ثم قال لليليان.

- أما أنتي يا ليليان يمكنني أن أبلغ الشرطة عنك ولكن إكراما لوالدتك سأسمح لكي أن ترحلي من هنا ولا أريد أن أري وجهك مجددا.

حاولت ليليان أن تلعب دور الضحية ولكن الجميع أشاحوا وجهم بعيدا فخرجت مسرعة كالفأر الهارب من أمامهم، أما علي ظل الجميع ينظرون له في انتظار دفاعه عن نفسه ولكنه لم يتكلم أمر خورشيد فاضل وزينب بمساعدة والدتهم للصعود لغرفتها وهو ينظر لعلي وعندما خرج الجميع أغلق خورشيد الباب خلفهم ثم نظر لابنه علي يقول.

- هل تعرف يا علي كم صبرت في بدايات حياتي وتحملت حياة كالجحيم من أجلك من أول يوم أتيت أنت للحياة حاولت كفاح نفسي ورغبتها بالخلاص من قصر صابانجي وعجرفة أمك وتلك الحياة التعيسة البائسة التي كنت أحياها معها لم يكن شيء إلا من أجلك من أجلك أنجبت من أمك أخويك ليكون لك أخوه من نفس الأب والأم حاولت وحاربت لأبقي معكم ولكن مؤامرات والدتك ضدي كانت أكبر من قوة تحملي خسرت تجارتي ونفسي وتركت كل شيء وفررت ولكن لم أنسي يوماشققة من قلبي تركتها هناك أنت وأخويك عندما أخبرتني أنك تريد المجئ لمصر أزهرت الدنيا في عيني أنت أول أبنائي اسميتك علي اسم والدي الذي حرمت منه لعلك تعوضني غيابه وتكون لي السند في تلك الدنيا لما يا علي؟ لما هان عليك أبوك؟

لما لم ترفأ بحال أخويك الصغيرين فاضل وزينب أنت لا تراهما أخويك؟

هنا رفع علي رأسه ليتحدث

- بل أراهما أخواي يا أبي أحبهما ولذلك أريد ألا نفترق أريد أن نعود جميعا للوطن ياأبي أنت وأنا وزينب وفاضل مالذي يربطنا بهذه البلد زوجتك جولفدان فقط من جعلتك تتخلي عن أسرتك الأولي أنا لست مثلها لن أقول لك تخلي عن فاضل وزينب هم من لحمي ودمي ولكننا جميعا غرباء هنا يجب أن نعود لحيث ما ننتمي إليه.

- أنا لم أرحل من أجل جوري يا علي أنا رحلت لأبحث عن وطن يحتويني وأشعر بالانتماء له أنا أيضا عربي مثل جوري فلتتقبلني هكذا أو أنسي أمري للأبد هنا ظل علي صامت ينظر للأرض فشعر خورشيد أنه لم يعد شيء ليقال فطلب من ابنه الانصراف لغرفته.

ذهبت ليليان من القصر بلا عودة عادت الحياة كما كانت أما علي فكان يلزم غرفتهطول الوقت ولكنه طلب من والده الغفران واعتذر من جولفدان التي لا تتكلم ولكنها أعطته نظرة تدل على السماح أما فاضل حاول التظاهر بمسامحة أخوه ولكن الجميع كان يفهم على فاضل أصبحت شخصيته أكثر وضوحا هو لا يشبه والديه أنه فتي عنيد لا يسامح من يخطئ في حقه فهو يعرف قدر نفسه جيدا ومع ذلك هو ليس بسئ الطباع فهو كريم مع من يستحق ودود لمن يجدهم يستحقون الود فقط ولكنه يبدو حاد الطباع للغرباء كثيرا.

عدت الأيام ومر على المواجهة أسبوعين ظن الجميع أنها كانت زوبعة في فنجان وانتهت ولكن لم تنتهي تلك القصة فأمثال ليليان لا يتنازلون عن صيد ثمين مثل علي عبدالله خورشيد سليل عائلة صابانجي وكايا.

أستيقظ الجميع على طرقات عارف علي غرفة نوم خورشيد يخبره برحيل علي لقد ذهب عارف ليوقظه بعد أن تأخر في الاستيقاظ اليوم فوجد الغرفة خالية تماما أخذ كل أغراضه معه يبدو أنه رحل لتركيا ولكنه ترك رسالة لوالده.

(والدي الغالي)

أعلم أنك ستغضب مني ولكن أعلم أيضا أنك رجلا تؤمن بالحب والعشق لقد أخترت لنفسك امرأة اسميتها وطنك وأنا يا أبي أري في ليليان الحبيبة وهي التي تري في أنا الوطن إنها تريد أن تضحي بكل شيء لتكون معي

ستعود معي لإسطنبول لنتزوج هناك كنت أتمني أن تبارك هذا الزواج ولكنني أعرف أنك لن تفهم علي ليليان إنها فعلت كل ذلك من أجلي أنا وفي النهاية يا أبي حاول أن تسامحني وتفهم على أحبك كثيرا ... ابنك علي.

قرأ خورشيد الرسالة وهو يكاد يجن عن أي عشق يتحدث الأحمق ألا تري عيناه طمع تلك الفتاة به ألا يري السوء والشر التي تضمرهم للناس لقد أذتني وأنا من ساعدتها وهي صغيرة وكبيرة ما الخير الذي يأتي من فتاة مثلها.

حاول عارف أن يهدأ من روع خورشيد ويذكره أن جولسن هانم في اسطنبول ستقف لليليان بالمرصاد وهي سيدة لن تترك ابنها الأكبر يتورط في مثل هذه الزيجة كان خورشيد يشفق علي ابنه في حياته أصبح يوجد حيتان ستتقاتل وسيضيع عمره بينهما، ولكنه هو من اختار لعله يفيق يوما يتمني خورشيد ألا يكون ذلك بعد فواتالأوان.

ليلي العاشقة

ليلي تلك الفتاة التي لا تري عينها من العالم غيره تلك العاشقة مرت ست أعوام كاملة منذ رحيل علي عن مصر توالت الأحداث فالعالم كله يشتعل بنيران الحرب تلك النيران التي تناثرت شرقا وغربا شمالا وجنوبا لم تترك بلدا إلا طرقت أبوابه بشكل أو بأخر نيران أخذت في طريقها الأخضر واليابس، ولكن كان في سرايا خورشيدنيران صغيرة أخري نيران محببة لطيفة تشتعل في صدر فتاة جميلة أحبت فاضل كانت ليلي ابنة أحد أصدقاء خورشيد أبوها مهندس ري بالفيوم ولكنهم انتقلوا حديثا للقاهرة ولمعرفة خورشيد وجولفدان المسبقة به وجدا له سكنا قريبا منهم في المنيل ليس سرايا مثل تلك ولكنه بيت بحديقة صغيرة يبعد خطوات عن السرايا كان المهندس إبراهيم فهمي أرمل يربي ابنته الوحيدة ليلي كانت جوري تحب الفتاةكثيرا كم تذكرها بنفسها عندما أتت مع أمها من الفيوم منذ زمن بعيد وكانت تفهم علي الفتاة جيدا فهي تعي ما تعانيه من بؤس اليتم كانت زينب تحب ليلي وتحب اللعب معها، ولكن جميع من في السرايا يفهمون جيدا ما سبب مجئ الفتاة اليومي لهم ليس اللعب مع زينب أو الشعور بالغربة بل هو عشق تلك الفتاة لفاضل لقد أصبح فاضل شاب كبير يبدو لمن لا يعرفه أكبر سننا وليس ذلك لهيئته فهو طويل القامة يمتلك شاربا يبدو أنه يهتم به كثيرا ولكن لأنه يملك مقومات قوة الشخصية والحزم والشدة مما يجعل الجميع يعتقد أنه أكبر سننا ليلي لم تكن تبلغ السادسة عشر بعد مما جعل فاضل يعاملها أنها طفلة رغم أن الفارق بينهم لا يتعدي الأربعسنوات ولكنه يتعمد دائما معاملتها كالأطفال ربما لأنه يعي مثل الجميع حب وتعلقالفتاة به إنه يسخر من ذلك التعلق كثيرا وكثير من الأحيان يسبب كلامه الجاف في بكاء الصغيرة ولكن أبدا لا تتوب عن عشق فاضل كان فاضل يدرس الحقوق وذلكرغبة منه أن يكمل ما بدأه أبوه في الماضي، ولم يكمله كان خورشيد يتمني أن يرسلفاضل لفرنسا

ليكمل تعليمه بالخارج، ولكن ظروف الحرب حالت دون ذلك كما أن خورشيد لم يعد كما في السابق لقد كسي اللون الأبيض رأسه وبدأ يشعر أن العمر تقدم به ويريد أن يكون ابنه بجواره دائما يساعده ويكون سندا وعونا له ولأمه.أما جولفدان كانت تحسنت كثيرا عن السابق أصبحت كاملة الوعي ولكنها تجد أحيانا مشكلة في النطق وربما تتلعثم عندما تنفعل ولكن حركتها أصبحت في كامل لياقتها مرة أخري ولكن وفاة عمها شريف باشا أثر بها كثيرا وأدخل الحزن علي قلبها أصبحت تشعر بالوحدة كثيرا رغم وجود الجميع حولها ولكنها كانت تردد لو عاد الزمان لأنجبت أولاد أكثر يملئون حياتي أنا وخورشيد ولذلك كانت دائما تتكلم عن رغبتها بزواج فاضل بسن صغيرة حتي تري أحفادها يملئون هذا المنزل، ولكن فاضل لم يكن يهتم كثيرا برغبة أمه رغم عشقه لها ففاضل أصبح له اهتمام أخر يملئ قلبه وعقله ففاضل يحب الصحافة والكتابة كثيرا ويري المستقبل مقال في الصفحات الأولي من الصحف يعلوها اسمه فاضل خورشيد تلك هي أحلامه ولم يكن ليسمح بأي شيء يعوق تلك الأحلام ففاضل ليس بالشخص الذي ينصاع لكلام الأخرين مهما كان حبه لهم شغف فاضل بالصحافة لم يأتي من فراغ فتعلقه بسمير مرقص له عليه اثر سمير أصبح محررا في مجلة روز اليوسف وأصبح تنشر له مقالات تعلوها اسمه الكل يتكلم عن سمير ومستقبل واعد في انتظاره في بلاط صاحبة الجلالة مما جعل فاضل يتخذه مثلا أعلي له روزا اليوسف لم تكن مجلة أسبوعية تمتلكها امرأة بل كانت عالما يضج بصخب الأدب والشعر والفن والسياسة مزيج عجيب يملئ الروح نشوة من يرتشفه مره لا يسلاه وقد أرتشفه فاضل منذ دخوله الأول لعالم روز اليوسف روز كانت امرأة لبنانية من أصل تركي وهي في الأصل مسلمة تدعي فاطمة ولكن تربت وسط عائلة مسيحية فاطلقوا عليها لقب روز فلزمها هذا الاسم طوال حياتها والسيدة روز اليوسف كانت تعمل في الفن

والمسرح قبل أن تعتزل وتحترف مهنة الصحافة ولذلك كانت مجلة روز اليوسف تشبهها في كل شيء في اختلافاتها ومزيجها العجيب.

دبر سمير لفاضل مقابلة مع روز اليوسف من قبل أخذ فاضل معه كل محاولاته الأدبية والصحافية ليعرضها عليها ولكن أكثر شيء أعجبت به روز هو أصوله المختلطة مصري تركي شامي هذا ما جعلها تلتفت له وتسمح له بالالتحاق بعالم روز اليوسف كصحفي تحت التمرين لم يكن يعجب خورشيد ابدا عمل فاضل في روز اليوسف فموقف الحكومة معروف تجاه تلك المجلة وحزب الوفد أخذ موقفا معاديا لها وتم اغلاقها عدة مرات وهذا ما جعل خورشيد يخشي علي فاضل التورط في أمور ربما تحسب عليه فيما بعد فتعارض مستقبلا يتمناه له، ولكنه ترك حرية اتخاذ القرار لفاضل فقد وعد خورشيد نفسه ألا يتدخل بشكل مباشر في تحديد مصائر ابنائه لقد رباهم علي الحرية وعلمهم جيدا كيفية اتخاذ القرار ويعتقد أن كلا منهم يستطيع اتخاذ طريقه في الحياة وكانت جولفدان توافقه الرأي تماما فبعد كلما مروا به من أحداث في حياتهم قد خرج كلا من خورشيد وجولفدان بحكمة واحدة أن الحرية غاية تستحق التضحية من أجل كان فاضل يذهب للجامعة ثلاث أيام ولمجلة روز اليوسف يومان أسبوعيا ويقضي مع العائلة يومان وعادة كان يقضي يومين العطلة في الحديث عن من قابله أو رأه في روز اليوسف فعالمها سحره كليا وسيطر علي أفكاره وكيف لا وهو يقابل هناك أمثال العقاد وتوفيق الحكيم وغيرهم من الأدباء والمبدعين.

كانت ليلي تأتي في يوم العطلة مبكرة لا أحد بالمنزل موعد قدومها في الحادية عشرصباحا تطرق الباب فيتراهن الجميع أنها ليلي كان الجميع يعلم أن ليلي تأتي لتري فاضل وتسمع قصصه بشغف وبلا ملل تسمعه ليس بأذنيها بل بعينيها وقلبها وجميع حواسها وما أن ينتهي حتي تكاد تقف لتصفق بكلا يديها لتهتف باسمه وبالطبع لم تكن لتفعل هذا ولكن هذا

ما كان يتوقعه منها الأخرون وهم يتهامسونعن عشقها له لكن لم يكن فاضل جاهلا بعشقها له ولكن ليلي كأنها شاي الصباح الذي لا يتذوقه ربما لا غني عنه ولكنه مذاقه لا يدوم أو يتذكره أحد بقية اليوم وكانفاضل يمارس كل غطرسة الرجل الشرقي وما كان هذا يثنيها يوما عن حبه وربما زاد منه والجميع يتعجب من أمر الفتاة الصغيرة كانت زينب أكثرهم انزعاجا من غرور أخيها وطريقة معاملته لليلي فزينب كانت تنظر لليلي ليست كصديقة بل أخت لها كانت زينب تشتكي من فاضل لأمها جولفدان ولكنها دائما تهدء من روع زينب.

- الفتاة لا تشتكي ألا ترينها وهي تطوف حول أخوكي كالفراش حول النار.

- إلي متي يا أمي؟!

- أمك لن تترك الفراشة لتحترق لا تقلقي.

- ستحرقها نيران فاضل بلا شك ألا ترين غروره؟!

- ولكنه يملك قلب يعرف كيف يحب.

- فاااضل؟!

- نعم أمه وأعرف ذلك.

- لأنك أمه تعتقدي ذلك.

تضحك جولفدان وتظل زينب تشتعل غضبا من تصرفات أخيها كانت جولفدان تري أن فاضل ربما يحب التباهي أمام فتاة يعرف أنها تعشقه ولكنه أبدا لن يكسر قلب صغير مثلها ربما يري يوما ما أن تلك الصغيرة هي أكثر من تناسبه، ولكن منذ متي تأتي الرياح بما تشتهي السفن؟!!

ففي طرقات روز اليوسف من القدر يخط كلمات قصة أخري لقد أتي فاضل صباحا ليجد أن غرفة سمير مرقص تعج الأشخاص ممن يعرفهم ومن لا يعرفهم تعجب للأمر كثيرا وغلبه الفضول والدهشة ولكن بمجرد دخوله مكتب سمير انتهت دهشته تماما وأصابه شعورا أخر فعندما دخل فاضل المكتب كان يبدو أن سمير يحتفي بقدوم ضيوفه وأنهم سببا لهذه العشقة لم يكونوا ضيوفا في الحقيقة هي ضيفة واحدة أنها (لونا عطاالله) تلك الفتاة التي تبدو كتمثال حي لأفروديت ألهه الجمال عند الأغريق يبدو أنها تخلت عن جبل الأوليمب لتزل عن وتحل بمكتب سمير مرقص حقا كانت عبارة عن لوحة متقنة الرسم لقد أبدع الخالق في رسم تلك الفتاة لا عجب من حشود المعجبين تلك فلون العين مزيج من ألوان البحر انعكست عليه أشعة الشمس وقت المغيب والشعر المسدول علي كتفايها بني يميل للاصفرار والجسد ممشوق فارهة الطول يتفجر بمعالم الأنوثي وهي تعرف كيف ترتدي حقا هذا الثوب هذا الثوب جعلها أكثر بريق كأنها حلوي تشتهي دون تذوقها وقف فاضل يتفحصها دقائق من بعيد ثم عاد لرشده ليقول لنفسه ربما لوحة بلا روح أو عقل ولكن الفضول كاد يقتله ليتحدث معها وما أن لمح سمير فاضل من بعيد حتي دعاه ليعرفه علي الضيفة.

- لونا عطا الله فنانة صاعدة أتية من الشام ستشارك في أول فيلم مصري لها وأتت اليوم لتتشرف مجلتنا بعمل أول حوار صحفي معها نظر فاضل بدهشة لسمير فهو محرر بالقسم السياسي وليس له علاقة بأخبار الفن.

- وهل أنت من ستجري الحوار؟

- بالطبع لا أنت تعرف ولكن مدام روز أوكلت لي أن أرحب بالضيفة إلي أن تأتي هي بنفسها.

- بالطبع

ثم نظر فاضل للفتاة نظرته المعتادة المليئة بالتعالي ليرحب بها.

- مرحبا بك في مصر ومن إي مكان أنتي من بلاد الشام؟

هنا تدخل سمير ليعرفها علي فاضل

- فاضل محرر معنا وهو من أصل تركي شامي

- أهلا بك أنا من حلب.

- حقا جدتي لأبي من هناك.

- حقا ولكنني لم أعش هناك كثيرا كنت أحيي معي والدتي بنابولي في إيطاليا فوالدتي إيطالية أما أبي فهو عربي هنا تدخل سمير ثانيا

- تتشابهون كثيرا كلاكما تحملان نصف من حلب ونص أخر غير عربي ثم أدرك سمير أن فاضل ما زال واقف فدعاه للجلوس فجلس بالمقعد المقابل للونا كانت تجلس بثقة كامرأة تعرف قدرها حقا وبدأ فاضل يحاورها ليكتشف أن تمثال أفروديت يمتلك عقلا لا يستهان به وأنها تتعمد ألا تعطي أي انطباع بالإعجاب أوحتي الارتياح فأثالها اعتداد أن يكونوا كشمس معتادة بأن يطوغ حولها الكواكب مرت الدقائق لحظات لفاضل الحديث معها ممتع ليته لا ينتهي ولكن جاء سكرتيرمكتب المديرة روز ليخبر لونا أنها في انتظارها انصرفت لونا من المكتب وما أن تأكدالشابان أنها بعدت حتي تنفسا الصعداء ليتعلوا ضحكاتهم.

- أريت يا فاضل هل يوجد بالحياة هذا الجمال

- نعم جميلة

- جميلة؟! هذا ما استطعت أن تقول يا رجل إنها ألهه الجمال ستصبح البطلة الأولي لكل الأفلام القادمة ستري.

- ليس بهذه السهولة

كيف هل سيجدوا من يضاهيها جمالا

- ولكننا لم نري موهبتها بالتمثيل بعد

- جمالها يكفي وستري

- ربما

- أنت يا تمثال الثلج لا أحد يذيبك ولكن البشر الطبيعيين مثلي سيندون لها البطولات وستري ضحك فاضل علي سخرية سمير منه فقد أعتاد الجميع بتلقيبهتمثال الثلج، ولكنهما حولا الحديث إلي أخبار الحرب التي أصبحت تحمل كل يوما مأساة جديدة تشهدها أحد بقاع الأرض فبعد أن أجتاح هتلر أوروبا والهجوم التي قامت به اليابان علي ميناء بيريل هاربر وغزو الاتحاد السوفيتي فيما يسمي عملية البارباروسا يبدو أن دول المحور تتقدم بشكل مخيف أصبحت صوت خطاها يمسع بوضوح في كل دول الشرق فلم تعد الحرب في أوروبا فقد انتقلت الحرب لشمال أفريقيا وغربها وإلي الولايات المتحدة بعد هجوم اليابان عليها وإلي الصين شرقا بعد صدامها مع اليابان العالم يشتعل حقا هذه المرة أخذت الحرب العالمية الثانية منعطف صعب أن يتجنبه العالم وخاصة مع حمي تطور الأسلحة التي اجتاحت العالم فدول المحور من ألمانيا وإيطاليا واليابان يتحدون الغرب بأسلحة لم تسمع عنها البشرية من قبل ودول التحالف من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وانجلترا يحاولون بكل ما أتوا من علم وإمكانيات التفوق علي دول المحوروبين هذا وذاك راحت الشعوب الوديعة المسالمة تدفع الثمن باهظا من أرواح الأبرياء، وبينما سمير وفاضل منهمكان في التحدث عن الحرب قاطعهما سكرتير مدام روز ليطلب من فاضل أن يستعد لعمل الحوار الصحفي مع لونا عطا الله في مكتب مدام روز لم يصدق فاضل ما سمعه فوقف ليسأل الرجل أن

يعيد ما قاله فأكد الرجل له ما سمع نظر فاضل لسمير في دهشة فما كان من سمير إلا أن يدفعه دفعا أذهب يا رجل إنها فرصة العمر، وبينما ما زالت الصدمة مسيطرة علي فاضل كان يسير في الطرقات المؤدية لمكتب زوز اليوسف وهو يسأل نفسه هل رشحتني لونا لذلك أم أنه رأي مدام روز ولكن ما الفرق سأجري أول حوار صحفي لي مع ممثلة واعدة يشار لها بالبنان سيقرأ الجميع اسمي أعلي هذا الحوار وسيتساءلون من فاضل خورشيد؟!

وصل فاضل للمكتب فلم يقابل مدام روز فلم يجد إلا لونا في انتظاره فأخبرته أن مدام روز خرجت لحضور اجتماع مهم لم يستطع فاضل أن يسألها هل هي من طلبت من مدام روز أن يكون هو المحاور لها أم أن هذا كان ترشيح مدام روز له نظرت لونا لفاضل وهي تحاول أن تخفي عنه ابتسامتها فهي كانت تقرأ أفكاره وتعرف ما الذي يفكر به ولكنها حاولت ألا تظهر له أي اهتمام إن أمثال لونا تعرفجيدا كيف يقرأ عقول الرجال وفاضل غروره يفضحه إنه محب لذاته يشعر بالفخر دائما وإن عرف أن لونا من اقترحت اسمه علي مدام روز سيزيد هذا من غروره ويشبعه وهي لن تسمح بذلك بدأ فاضل في مناقشة لونا في الخطوط العريضة التيسيتترك لها الحوار معها ولكنه لاحظ أنها لا تميل لذكر جنسية والدتها الإيطالية في الحوار كان يكفيها ذكر أنها أتت من الشام لهوليود الشرق عشقا للفن والسينما.

وبعد ساعات أنتهي الحوار ثم بدأ المصورين في التقاط الصور للونا التي كانت تقف أمام الكاميرات بشكل احترافي ملحوظ وقد تمادت في الدلال وفاضل يقف خلفالكاميرات يشاهدها وكل نظراتها كانت موجهة له.

مر اليوم وودعت لونا فاضل وسمير وقد وطدت علاقتها بهما تحت مسمي الصداقة فرحبا الشابين بذلك وودعاها علي أمل لقاء قريب عاد فاضل للبيت وقد سيطر التفكير في لونا علي عقله كليا المرء لا يقابل لونا

كل يوم أفروديت الشرق كما لقبها هو نفسه في حواره معها وقد أعجبت بذلك اللقب وتمنت أن يلاصقها طوال مشوارها الفني رحب فاضل بوالديه واستأذنهما للصعود لغرفته فور وصوله تعجبخورشيد من ذلك فدائما يعود من مجلة روز اليوسف محملا بالقصص التي لا يمل بسردها لهم وجولفدان أيضا وافقت زوجها الرأي يوجد شيء مختلف في الشاب اليوم حتي مناوشات زينب له لجره لمعركة جديدة لم تفلح الشاب كان مستهلك تماما كان يريد الانفراد في غرفته ليعاود كل أحداث اليوم مع لونا كل كلمة وكل ابتسامة وكل نظرة كان يفكر بها ويذكرها فيبتسم وكأن هذا اليوم لن يمحي من ذاكرته ما حيي أيكون ذلك عشقا؟

لم يكن يملك فاضل الجواب لهذا السؤال هو لم يكن من الأشخاص المندفعين في عواطفهم يوما ما والعشق لا يأتي في ليلة وضحها ربما أعجاب فقط ولكن شيء بداخله كان يصر أن يقابل لونا مرة أخري وبأي شكل أنسي التفكير في لونا فاضل أنه أجري أول حوار صحفي له وأنه سيحمل اسمه كما كان يحلم لسنوات نسي أن يفرح بحلمه وأن يفرح والديه أحتلت لونا عقله كليا مرت الليلة علي فاضل وكانت تبدو أن تلك الليلة هي أول ليالي عشقه مرت الأيام بعد هذا اليوم وفاضل في انتظار نشر حواره مع لونا ليس لاهتمامه بانتصاره الصحفي الأول ولكن لانتظاره مكالمة لونا له منذ يوم اللقاء ذهبت لونا ولم تفكر في الاتصال بفاضل مما جعله يجن كان يذهبللمجلة يوميا حتي في أيام دراسته كان يذهب بعد الجامعة ليسأل هل اتصل به أحد أو سأل عنه فتكون الإجابة بالنفي مما يزيد من غضب فاضل وتوتره لما كانت تلك النظرات والابتسامات إذن لا لشيء غير لصحفي تريد منه أن يخرج أفضل ما عنده في حوار معها كان فاضل عقله لا يتوقف عن التفكير في لونا التي اختفت تماما ولا يعرف عنها شيء الأمل الوحيد في أن يتم نشر الحوار الصحفي معها لعلها تتصل بعد ذلك لتشكره ولكن متي سينشر كان يسأل سمير فيرد أنه هو أيضا لا يعرف أخبار الحرب هي ما تشغل

الجميع في المجلة الآن ولا يوجد اهتمام بالفن وأهله فالأخبار عن اقتراب ثعلب الصحراء روميل من مصر تملء الدنيا والجميع بين خائف ومترقب لاجتياح القوات الألمانية لمصر فاجتياح القوات الألمانية بزعامة روميل شمال أفريقيا أصبح حديث الجميع.

أصيب فاضل بخيبة أمل ربما سيتم تأجيل نشر الحوار مع لونا وقتا طويلا عاد فاضل للمنزل وهو في حالة إحباط وحزن ليجد حالة أكبر من الحزن تنتظره إنها ليلي تبكي بحرقة والجميع من حولها لا يجدون شيء لينجدونها به إن والدها قرر الزواج بإحدى قريباته وهي سيدة ما كانت ليلي تتحملها أبدا أثناء زيارتها لهم فكيف بالإقامة معها وأن تحتل تلك السيدة مكانة والدتها في البيت وفي قلب والدها إنه كابوس بالنسبة للفتاة رغم الضيق الذي يشعر به فاضل ولكنه ولأول مرة تعاطف مع دموع ليلي كانت ليلي تجلس وسط والدته جولفدان وزينب وقد أجهشت في البكاء وأمثال ليلي عندما توجه لهم الحياة ضربة موجعة كهذه فهي تنال منهم تماما فتذكرت ليلي وفاة والدتها وما تعانيه من اليتم والوحدة وكأن الأحزان تكاتفت لتهزم الصغيرة جلس فاضل في مقعد بعيد ولكن من خلاله يستطيع أن يراها جيدا ظل جالسا صامت يضع نظره في الأرض يستمع لكلمات الحزن تخرج من الفتاة ليرد عليها في رد فعل مفاجأ.

- لما تبكين هكذا مما تخافي ونحن بجانبك هل تتخيلين أنك بمفردك انظري يا بنت لمن حولك الآن نحن جميعا هنا وسنظل أنت من هذه الأسرة يا ليلي هنا صمت الجميع وتوجه نظرهم نحو فاضل هل هذا إعلان منه بأن ليلي ستكون عضو في هذه الأسرة عما قريب أم مجرد شفقة وتعاطف مع الفتاة؟!

ولكن فاضل لم يهتم بنظراتهم بل أكمل حديثه لها

- ليلي يجب أن تكوني قوية أولا لنستطيع مساعدتك تقولين أن تلك المرأة لا تحبك هل ستظلين تنتحبي علي هذا إن كان والدك قرر الارتباط بها يجب أن تسعي لإيجاد طريقة أنت بنفسك وجميعا سنساعدك أولا يجب أن تنهي دراستك الثانويةوتفكري في الالتحاق بالجامعة يا ليلي كانت ليلي تنصت لفاضل وما أن أنتهي من كلامه حتي انتفضت كالعصفور ينفض قطرات المطر من فوق ريشه لتقف وتقول فاضل محق يجب أن أكون أقوي وأن أستعد لامتحانات هذا العام ولن تهزمني تلك المرأة كيف أن أهزم وأنا أملك أسرة أمان وتحيطني بالأمان والاهتمام مثلكم فما كان من جولفدان إلا أن احتضنت ليلي لتقول

- يعلم الله يا ليلي أنت في قلبي مثل ابنتي تماما منذ أن رأتك عيناي وقد دخلتي في قلبي يا بنت ابتسم فاضل وهو يري ليلي في حضن والدته كم يشبهان بعضهما البعض من وجهة نظره، أما زينب فذهبت تقترب من أخيها وتميل عليه لتقول.

- أتمني من الله أن تكون في قدر وحجم كلماتك تلك وألا تكون بعض كلمات فارغة كتلك التي تكتبونها أنتم في الصحف.

- علي رجل يعي معني كلماته يا بنت يا ليت أنت تعرفين قدر نفسك وتعرفين أنكي تتكلمين مع أخيك الكبير .

- نعم نعم أخي ولذلك أعرفه حق المعرفة ثم انصرفت زينب من جانب فاضل تضحك ثم ذهبت لتحضن ليلي هي الأخري تعنفها علي البكاء وتقول لها .

- بلهاء من يستطيع النيل منكي ولكي أخت مثلي

خرج فاضل للتراس الذي يطل على النيل وذهب عقله مرة أخري للونا وكأن صورتها مطبوعة علي صفح النيل رن الهاتف وبعد قليل جاء أحد الخدم ليخبر فاضل بأن سمير مرقص علي الهاتف.

فما كاد فاضل يأخذ سماعة التليفون ويضعها علي أذنه حتي ارتسمت علي وجههضحكة وبدون قصد منه صوت ضحكته وصل للجميع وما أن أغلق الهاتف حتي تسأل الجميع عن سبب تلك السعادة فما كان من فاضل إلا أن يخبرهم أن حوارا أجراه سينزل هذا الأسبوع بمجلة وسيحمل اسمه فلتف الجميع حوله يهنؤه بهذا الخبر كانت سعادة فاضل لا توصف شعر بأنه طائر يريد أن يفرد جناحيه ليطير بعيدا فوق السحاب فالأرض لم تعد تساعه وبالطبع لم يكن كتابة اسمه علي حوار في المجلة هو السبب الحقيقي وراء تلك السعادة أنما تلك الخطوة ستجعله يري أو يسمع صوت لونا مرة أخري يومين فقط وسيصدر العدد الأسبوعي من المجلة وستراه لونا بالطبع ستتصل بي لتشكرني وربما عرضت أن تراني ربما يجب علي أنا أنأدعوها للخروج لا أعرف فليحدث هذا الأمر أولا ثم لنري ما سأفعل كل هذا كان يدور في عقل فاضل منذ تلقيه خبر نشر الحوار.

مر اليومين لم يكونا يومين بالنسبة لفاضل بل عامين انتظر انقضاؤهما بفارغ الصبروأخير جاء اليوم المشهود استيقظ فاضل مبكرا في انتظار المجلة خرج من غرفته فوجد الجميع حتي ليلي في انتظاره في الأسفل نظر فاضل لليلي ليضحك متي أتت تلك الفتاة هل غادرت منزلهم فجرا ولكنه حيا الجميع مبتسما وما إن جاء حتي أتي عارف بعدة نسخ من المجلة كانت صورة لونا عطالله تحتل مكانا ممتازا من الغلاف ليتصفح الجميع العدد ليقرؤا اسم فاضل خورشيد فوق الحوار الصحفي مع لونا عطا الله كان الجميع مسرورين لرؤية اسم فاضل ما عدا واحدة رسمت خيبة الأمل علي وجها إنها ليلي صورة لونا أوقعت الخوف في قلبها الصغير دون أن تعلم بشيء أو تدري بما في قلب فاضل مجرد صورتها أشعرتها بالغيرة والخوف.

- فاضل جلس وتحاور مع تلك الفتاة إنها جميلة جدا جميلة لدرجة مخيفة أمثالها يؤثر الرجال بهم من المرة الأولي نظرت ليلي بنظرة المنهزم لفاضل لتقول له مبروك .

فرد عليها فاضل بابتسامة لم تعد تعرف ليلي تلك الابتسامة تقدير أم شفقة إنها ترثي لحالها لو كانت والدتها موجودة الآن ربما كانت قسمتها أفكارها كانت باحت لها بكل شيء كيف أنها تعشق ذلك الشاب ولا تري في العالم غيره كيف أن الحياة تختصر عندها بنظرة واحدة منه ولكن أمها لم تعد موجودة السيدة جولفدان حقا تحبها ولكنها والدة فاضل كيف يمكنها أن تبوح لها وزينب هي تعرف جيدا رأي زينب في أخيها ربما نهرتها وقالت لها أليس أخي ولكن انسي ذاك الموضوع لا لا يمكن أن تتكلم مع أحد ستظل تكتم ما تشعر به في صدرها، أما فاضل فلقد ذهب إلي المجلة مباشرة بعد ذلك فهنئه كل من قابله حتي وصل مكتب سمير كان سمير منشغلا جدا بأحداث الحرب فهو يتحدث منفعلا مع أحداهم علي الهاتف فأشار لفاضل أن يجلس أمامه كان واضحا خوف سمير من أن تطول مصر نيران الحرب فطبول الحرب تقرع علي أبواب مصر الشرقية ستكتوي مصر بحرب لا ناقة لها ولا جمل الأبرياء سيقتلون من أجل العرش البريطاني هل هذا يعقل أليس يكفيهم سنوات الاحتلال والظلم والمعاناة؟! والآن يرغمونا علي دخول حربا معهم بسبب معاهدة ظالمة مثل معاهدة ٣٦ والتي وعدت بريطانيا مصر بالاستقلال مقابل وقوف مصر أثناء الحرب انتهي سمير من مكالمته ثم التفت لفاضل

- أرأيت السفير مايلز وامبلسون طلب رسميا من الملك أن يسند الوزارة إلي حزب الوفد وأن يحل وزارة حسين سري باشا.

- وهل وافقت السرايا علي ذلك

- لا توجد معلومات مؤكدة حتي الآن ولكن لا أعتقد الملك لن يخضع لهم أسمعت ماذا قال قال للسفير البريطاني بعد أن طلب منه التخلص من الإيطاليين الموجودين بالسرايا؟!

- ما الذي قاله؟

- قال له عندما تتخلص أنت أولا من الإيطاليين عندك سوف أتخلص منهم

- وما الذي يعنيه ذلك؟

- أنه يقصد زوجة السفير البريطاني فهي إيطالية

- والله أصاب الملك هكذا تكون الردود علي هؤلاء

- لا تتحمس يا صديقي أتظن أنهم سيتركونه؟!

- ما الذي يستطيعون فعله النازحين متقدمين عليهم ويطرقون الأبواب أي فعل لهم سيخسرون وقوف مصر معهم.

- وهل تتخيل أننا نقف معهم بمحض إرادتنا ليكون لنا حق الاختيار بين الوقوف معهم أو التخلي عنهم؟

- إن الأسد البريطاني أصبح أسد عجوز ضعيف ليس كما كان في السابق

- الضعيف دائما أكثر شراسة

- ما الذي تخشي منه يا سمير؟

- فلننتظر الليلة لنري

- نسيت مبرووك نشر الحوار مع لونا

- هل قرأته؟

- بالطبع أول شيء فعلته هذا الصباح أعجبني كثيرا تلك البداية قوية وستري أثرها

- نعم أتمني أن يكون هذا رأيها أيضا

- لا تقلق أنها فخورة بك

هنا تحمس فاضل

- هل تحدثت مع لونا؟

- لونا ماذا يا رجل أتكلم عن مدام روز بالطبع

- نعم طبعا مدام روز هل حقا أعجبت بما كتبت؟!

- نعم كثيرا

- سأمر عليها لأخذ ملاحظتها

- أعتقد أنها غادرت الجميع خائف اليوم يا بني من الأفضل أن تذهب للمنزل مبكرا

سمعت أن بعض العربات العسكرية والدبابات تحركت من سكناتها.
- طبيعي نحن في حالة حرب

- التحرك ليس للشرق ربما إلي وجهة أخري

قالها سمير بصوت منخفض ففهم فاضل الإنجليز ربما يتوجهوا للسرايا لإرغام فاروق للتخلي عن العرش.

عاد فاضل للمنزل وقد فقد حماسه لم تتصل لونا به ولم يسمع عنها شيء اليوم.
- تري أين هي؟؟؟

كان فاضل حقا يتحير من موقف لونا الغامض حتي لو لم تكن تعجب به كانت ستتصل به للشكر ولكنها اختفت تماما عندما وصل فاضل للبيت وجد عارف بانتظاره يؤكد عليه أن والده بغرفة المكتب، وأنه في انتظار رجوعه منذ وقت طويلدخل فاضل علي والده فوجده يجلس أمام مكتبه ممسكا بورقة وقد أندمج مع ما كتب حتي أنه لم يلاحظ دخول فاضل وقف

فاضل للحظات يتأمل والده ثم ألقي التحية ليفوق والده علي صوته ليطلب منه أن يجلس جلس فاضل أمام والده وهو في حيرة من تلك الحالة التي أصابت الأب فنظر له والده ليخبره.

- وصلتني اليوم رسالة من إسطنبول من أخوك علي

- خيرا أن شاء الله

- لا يبدو خير يا بني

- ماذا يريد علي يا أبي؟

- أنه يخبرني أنه انجب من ليليان صبي

- خيرا مبروك أول حفيد هنا نظر خورشيد للأرض طويلا ثم تنهد

- حفيد من امرأة يهودية مثل ليليان يا ولدي هذا ما كنت أخاف منه

- الولد لوالده يا أبي حفيدك مسلم يحمل ديانة والده

- ليس في تركيا أديان تذكر في الهوية

- ولكن عند الله يكتب مسلما لا تقلق

- بل أقلق الديانة اليهودية تسمح أن يرث الولد ديانة أمه ليليان نفسها والدها يوناني كاثوليكي ومع ذلك ورثت من أمها ديانتها وليس فقط هذا ما يقلقني يوجد ما هو أخطر

- وما هو أخطر من ذلك؟!

- ليليان تتلاعب بعقل أخوك من الواضح أنها في صدام مع والدته وتريد أن ترحل وتترك تركيا.

- لا يمكن أن تذهب للمغرب جميعا نسمع عن محارق هتلر لليهود هل ستذهب بنفسها للهلاك هناك.

- لا يا بني ليليان تريد أن تذهب لفلسطين

- ومالها في فلسطين لكي تذهب

- تقول عيزا مات وأنها ستذهب لتحاول الحصول علي ممتلكات والدها التي كانت تحت يده

- إن كان الأمر كذلك لا يوجد مشكلة

- بل يوجد كارثة وليست مشكلة يا فاضل

- لما يا أبي؟!

- ألم تسمع بوعد بولفور من قبل؟

- بالطبع أعرفه ولكن ما العلاقة؟

- العلاقة واضحة جميع يهود العالم يحلمون بالوطن في فلسطين وتلك زوجة أخيك ربما تكون منهم.

- لا يا أبي أنه مجرد حلم لن يتحقق لن يسمح أحد من العرب بأن يحدث أبدااا.

- يا بني الحياة علمتني ألا أستبعد شيء أو أن أقول مستحيل وقوعه.

- إلا هذا يا أبي

- لا أعرف كما أن أوضاع أخوك ايميري واختك ايبيك أيضا يقلقني

- وما بهما يا أبي هما الأخرين يا أبي؟!

هنا قالها فاضل في تزمر فنظر له خورشيد

- فاضل أعرف أننا عند زيارة تركيا من عامين لم تحب أخويك كثيرا.
- بل هم الذين لا يطيقونني أنا الصغير ومع ذلك لم أري في عينهما غير الأحقاد علي.

- ربما ايمري وايبيك لأنهما الأقرب لأمهم جولسن أما علي يحبك يا فاضل مهما حدث بينكم فإن أخوك الكبير يحبك.

- نعم أعرف ولكن تلك زوجته ليليان لا تطيقنا أنا وأمي وأختي حتي أنت وأنت تعرف يا أبي

- لن نترك أخوك لها أبدا ولأفكارها الشيطانية.

- ما الذي يمكننا فعله بعد أن اصبحت أم ابنه؟!

- كل شيء في وقته ألم تسألني علي ايميري وايبيك أخوك ايميري ذهب وتطوع في الجيش التركي ليصبح ضابط بين صفوفه وأختك تم خطبتها دون الرجوع لي.

- وما الذي في هذا يقلقق أنت تعرف إيبيك تابعة لوالدتها وليس لها شخصية مستقلة عنها وايميري هذا حلمه كما سمعت منه ونحن هناك.
- أختك خطبت لرجل أمريكي ستهاجر معه هي وأمها ولم يذكر أخوك في الرسالة ديانة الرجل أما ايميري أختار اسوء توقيت لدخول الجيش تركيا ما بين المطرقة والسندال لها حدود مع ألمانيا وحدود مع الاتحاد السوفيتي.

- ولكنها تأخذ موقف محايد ولم تدخل الحرب

- إلي الآن فقط يا بني إلي الآن أن تلك الحرب لن تترك بلد إلا وأقحمتها في نيرانها فما بالك بتركيا إنها مسألة وقت وستضطر تركيا أن تنحاز لأحد الطرفين وعندها ستدخل الحرب بالتأكيد جلس فاضل وخورشيد ساعات يتشاوران في الرسالة القادمة من اسطنبول ولم يحددا ما الذي

يمكن أن يفعلاه تجاه ما جاء بها.بدا فاضل مرهق حتي أشفق عليه والده وطلب منه أن يذهب لغرفته وأنه سيعلمه بما عزم علي فعله عندما يأخذ القرار المناسب ذهب فاضل إلي غرفته وقد تزاحمتالأفكار في رأسه ورغم كل ما مر به اليوم لم يتوقف عقله في التفكير في لونا لقد أصبحت تسيطر علي تفكيره تماما مر ليل طويل علي فاضل أتي بعده صباح محمل بالأخبار التي أخافت الجميع لقد تحركت القوات البريطانية بالأمس وحاصرت قصر عابدين يبدو أن مخاوف سمير تحققت.

سارع فاضل بالذهاب إلي المجلة ليعلم صحة الأخبار فوجد الارتباك في جميع الأماكن معظم المحال أغلقت خشية من أصحابها عما سيحدث وتأثيره علي الشارع المصري أما المجلة نفسها فيبدو أنه يوم الحشر كل الصحفيين والأدباء وبعض الساسة كانوا موجودين الجميع يحاول أن يكون فكرة عما يحدث أول بأول كلا منهم أتي ومعه خبر مناقدا للأخر البعض قال أن لامبسون أرغم الملك علي التوقيع علي العرش لولي عهده الأمير محمد علي وهو المعروف عنه أنه المنتظر لهذه الفرصة منذ سنوات فهو أكبر أعضاء أسرة محمد علي سنا وهو يري نفسه الأفضل للجلوس علي عرش مصر عوضا عن ملك شاب يغامر بمستقبل البلاد بتحديه للإنجليز ولكن أخرون ممن جاؤوا متأخرا لمجلة روز اليوسف يحملون الجديد من الأخبار لقد تدخل أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي وجعل فاروق يتخلي عن التوقيع علي ورقة التنازل عن العرش في أخر لحظة وأن فاروق طلب من لامبسون مهلة لتنفيذ طلباته كان الشارع يغلي تماما خرجوا طلبة الجامعة يهتفون بسقوط الاحتلال الذي تجاوز المدي هذه المرة وليذكروا الاحتلال أن الشعب لن يتخلي عن ملكهم وهذه المرة لن تكون مثل ثورة عرابي فساكن السرايا والمقصود به فاروق هو أيضا كاره وعدو للإنجليز كان الأمور تغلي والأخبار تتغير كل دقيقة ووسط كل هذا سمع سمير صوت الهاتف فطلب من فاضل أن يرد عليه لأنه مشغول لحد كبير ولا يتوقع أن الهاتف سيحمل أخبار أكثر غرابة مما

يسمع رد فاضل علي الهاتف فوجد صوتا أنثوي مخمليا جميل لا يخطئه إنها لونا سألته لونا

- من أحادث سمير مرقص فرد فاضل

- بل فاضل خورشيد معك

- أهلا فاضل بك وددت أن أحدثك مباشرة ولكنهم أوصلوني بمكتب الأستاذ سمير

- أهلا بك

- أنا لونا عطا الله

- أهلا بك

- وددت أن أشكرك على الحوار أعجبني كثيرا وأسعدني ما كتبته عني

- لا شكر على واجب إنه عملي

لاحظت لونا أن فاضل يكلمها بكثير من الجفاء ويبدو أنها تعرف لماذا فردت عليه.

- أسفة لتأخري بشكرك ولكني كنت أمر بظروف صحية الأيام الماضية.
- لا بأس عليكي أتمني أن تكوني بخير الآن.

- نعم وأتمني أن نتقابل ولو لم تمانع.

- اليوم؟

- إن لم تكن مشغولا

أراد فاضل أن يخبرها بأن اليوم ملئت الشوارع بالمظاهرات ولا وقت للقاءات الآن ولكنه تراجع أمام فرصة رؤية لونا.

- لا لست مشغولا يمكننا أن نلتقي اتفقا فاضل ولونا باللقاء لتناول الغداء معا في إحدى مطاعم وسط البلد الشهيرة بعد أن أغلق فاضل الهاتف ظل يفكر بلونا ولقاؤه معها لم يعد يسمع أخبار حصار حصار قصر عابدين لقد وقع هو للتو في حصار لونا مرت الدقائق علي فاضل ببطيء قاتل ما أبطئ عقارب الساعات عندما ننتظر ذهب فاضل بعقله إلي عالم المعشوقة من قبل أن يراها مجددا كان يحاورها في عقله ينسج كل كلمة سينطقها معها دقات قلبه صارت متسارعة يكاد يسمعها من حوله ارتسمت علي وجهه ابتسامة صافية والعين زائغة لا تري من حولها الوقت لا يمر.

- ربما من الأفضل أن أذهب مبكرا ليس من اللائق أن ادعها تنتظر هكذا كان فاضل يقنع نفسه وهو يذهب لينتظر لقاء لونا قبل الموعد بكثير من الوقت ذهب فاضل للمطعم ليجده مغلق ليلعن حظه لقد أغلقت معظم المحال في وسط البلد خوفا مما تمر به البلاد لم يجد فاضل حلا غير أن ينتظر لونا أمام المحل وهو يلوم نفسه كيف لم يسألها عن رقم هاتف المنزل مرت ساعة كاملة وفاضل واقف أمام المطعم يشاهد ما يحدث حوله المظاهرات بدأت تحتشد الطلبة خرجوا من الحرم الجامعي يهتفون ضد الانجليز المحاصرين لملكهم لم يعد فاضل يعرف ما الذي يجب أن يفعله كيف جعل الفتاة تنزل من بيتها في يوم مثل هذا؟

وصلت لونا نزلت من العربة فما أن وقع عين فاضل عليها حتي أثر بسحرها هي أكثر تألقا من اللقاء الأول ربما لا تضع اليوم الكثير من مساحيق التجميل علي وجها فكاناأكثر براءة وتألق كما أنها ترتدي ثوبا يناسب سنها باللونين الأبيض والزهري وتلك الابتسامة الصافية التي تتوج وجها أمام طلت لونا أختفي كل شيء صوت المظاهرات وضجيج السيارات وقلق فاضل كل شيء اختفي تماما لم يعد غير صوت لونا يسمع في المكان وهي تلقي عليه التحية نظر فاضل للونا وقد نسي حروف الأبجدية للحظات ثم تذكر

- أهلا بك

-هل تأخرت؟

- لا أبدا أنا من أتي مبكرا

- يبدو المطعم مغلقا

- نعم للأسف ما أسوء الحظ اليوم

- لا داعي يمكننا أن نذهب لمكان أخر

لاحظ فاضل أن لونا لم تقل لنلتقي يوما أخر بل أنها تريد أن تتحدث معه اليوم وكان هذا مصدرا أخر لسعادته.

- بالطبع ولكن ليس هنا يجب أن يكون في مكان بعيدا عن المظاهرات

- أنا لا أعرف أماكن كثيرة هنا أقترح أنت

- المنيل مثلا

- أوافق لم أذهب إلي هناك من قبل

- يوجد اماكن قد تعجبك علي النيل

تحركا فاضل ولونا إلي المنيل ليجلسا في أحد المطاعم علي النيل تحدثا كثيرا بدا واضح لفاضل أن لونا ليست مجرد تمثال لأفروديت بل تملك عقلا وروحا يستحقان الإعجاب كانت مهتمة بالفن والسياسة كثيرا متابعة لكل الأخبار عن كثبراحت تتناقش معه في أمور الحرب وتسأله عن رأيه في كل شيء وكانت شغوفة بأن تفهم ما الذي يحدث اليوم وما أخر الأخبار لحصار الانجليز لفاروق وكان فاضل يبادلها الحديث وهو مبهور بفتاة مثلها تمتلك كل هذا الجمال ولكن تهتم أكثر بعقلها مر الوقت سريعا انتهي النهار وبدأت الشمس تعلن عن رحيلها فقرر الأثنين أن يكملا

حديثهما وهما يتمشان علي ضفاف النيل ويبدو أن فاضل لم يلاحظ إلي أين تأخذه قدماه فما أن تنبه حتي وجد أنهما وصلا إلي بيته وعندما نظر فاضل للبيت التفتت لونا له لتقول.

- يا له من منزل رائع أحب هذا الطرز المعماري أنه يحمل سحر الشرق.
- هل تحبين أن تريه من الداخل؟

- وكيف هل تعرف ساكنيه؟

- تقريبا تعالي معي لم تمانع لونا وهي تنظر لفاضل وتضحك علي جرأته وهو يتوجهإلي منزلا يريد أن يدخله لمجرد أنها أعجبت به وصل فاضل لبوابة الحديقة فنظرت له لونا وقالت

- إلي هنا وكفي سيظنون أننا لصوص أو متطفلين دعنا نرحل قبل أن يلاحظنا أحد ابتسم فاضل للونا وقال

- تفضلي سيدتي جئت أهلا وحللت سهلا

لم تفهم لونا إلا عندما قام الحارس من مكانه يحيي سيده فاضل ليأخذ فاضل لونا من يديها ويترك الباب لتفتح له أحدي الخادمات فيشير فاضل للونا.
- تفضلي

- بيتك أنت تمزح؟

- لا أمزح هذا منزلنا المتواضع هل تحبين أن تكتشفيه

- ضحكت لونا ثم نظرت له ومن يسكن هنا غيرك؟

- أمي وأبي وأختي الصغيرة لو تفضلتي سأعرفك عليها

كانت لونا فتاة غربية تختلف بالطبع عن فتيات الشرقيات في هذا العصر أن تثق بنفسها كثيرا ولا تأبه شيء.

دخلت لونا مع فاضل حتي قابلهما عارف فعرفها عليه وطلب منه أن يخبر زينب وأمه بالضيفة نزلت زينب مسرعة قبل أمها والفضول يقتلها لتري لونا علي الواقع لقد رأت صورها في المجلة جمالها ملفت كم تمنت أن تراها. ثم لحقت جولفدان بزينب بالنزول للترحيب بضيفة فاضل جلس الجميع بعد الترحيب بلونا تحدثت جولفدان كثيرا بدا أنها تريد أن تستكشف الفتاة فابنها لا يأتي كل يوم بفتاة وطالما أتي مع تلك الضيفة إلي هنا يعني أنها تعني له الكثير لاحظت جولفدان أن الفتاة تتهرب من التحدث عن حياتها في ايطاليا مع أمها ولا تحب التحدث عنها كثيرا ربما يوجد ما يؤلم ذاكرتها ولكن جولفدان شعرت أن تلك الفتاة ليست بسيئة بل بدت ودودة تعرف كيف تكتسب حب الأخرين عكس زينب التي كانت متحفظة في التعامل مع الفتاة وربما كان هذا لحب زينب لليلي، أما خورشيد فلم يجلس معها كثيرا ترك الأمر لجولفدان وهو يثق بتقديرها لتلك الأمور دعت جولفدان لونا للعشاء معهم اليوم ولكن لونا اعتذرت وتعللت ببعد المسافة عن منزلها وأن ربما سيكون حذر للتجوال اليوم فطلبت جولفدان من فاضل أن يصل لونا لمنزلها ويأخد معه السائق والعربة لم ترضي لونا في البداية ولكن مع إلحاح جولفدان وافقت بعد انصراف لونا مع فاضل بالطبع كانت زينب تستشيط غضبا فهدأتها أمها

- أهدئي لن يحدث ما تفكرين فيه

- وما الذي أفكر فيه أمي؟

- لن يتزوج فاضب تلك الفتاة

- وكيف لك أن تتأكدي هكذا وأنت نفسك يبدو عليكي الإعجاب بها

- نعم هي ليست سيئة ليست سيئة إطلاقا

- أمي وليلي؟!

- مالها ليلي يا زينب هل معني أنني أمدح الفتاة أنني تراجعت عن حبي لليلي أنا أقول تلك الفتاة ليست سيئة ولكنها لن تناسب أخوكي فاضل لها شخصية وطموح ستتصادم مع فاضل مثلها لن يتنازل عن طموحه من أجل رجل وفاضل ليس رجلايرضي أن تكون زوجته ممثلة تقف أمام رجال أخرين غيره تقول كلمات غرام تعرفين أخوكي جيدا حتي لو أنه اليوم مبهور بها غدا سيتراجع.

- أتمني أن يكون عندي ثقتك تلك يا أمي

- سترين

بينما كانت زينب وجولفدان ما زالا يتناقشان احتمالية حب فاضل لفتاة مثل لونا كان فاضل ولونا يخطان أول كلمات عشقهما لم يتوقفا للحظة عن الحديث طوال الطريق لمنزلها كأن كلاهما كان ينتظر العمر كله ليلتقيا لقد تعلق قلب فاضل بلونا بشكل واضح له ولها أما لونا فبدت تحاول أن تقاوم هذا الانجذاب وكأن شيء بداخلها يعيق هذا الحب من التغلغل لقلبها وصل فاضل ولونا لمنزلها كان عبارة عن منزل متواضع في منطقة العباسية نظرت لونا للعمارة التي تسكنها لتقول لفاضل وهذا منزلي المتواضع بالطبع لا يقارن بسراياكم

- ليس البيوت بجدرانها بل بسكانها يا لونا

- ضحكت ثم قالت هذا اطراء كبير

نظر فاضل لضحكات لونا وكأنه يرتشف من السعادة الحقيقية أول الرشفات ثم نظرت له لونا لتودعه وتؤكد اتصالها به في أقرب وقت ودعها فاضل ولو بيده ما كان ليودعها أبدا ظل فاضل طوال الطريق للعودة لمنزله يفكر في لونا بشكل مختلف لقد تبقي القليل علي تخرجه ماذا

لو تقدم لخطبتها؟ هل ستوافق؟ هل سيوافق أهله بها؟ هل يمكن أن تتخلي لونا عن تلك الأحلام عن الشهرة والسينما لتصير زوجة لرجل محترم يؤمن لها حياة كريمة ووضع اجتماعي جيد كل ذلك كان يدور في عقل فاضل إلي أن وصل إلي منزله ليجد والده في انتظاره ظن فاضل في أول الأمر أن والده سيحدثه بأمر لونا ويسأله عن علاقته بها، ولكن والده خيب ظنه كان يريد أن يتحدث معه عن شيء أخر تماما لقد فاجأ خورشيد فاضل فقال له ابني أنت الآن رجل ناضح يعتمد عليه وأنت يا فاضل أكثر ابنائي عقلا واتزانا وأنت تعرف مدي حبي لك أنت وأختك زينب ولكن أخواتكم في تركيا هم أبنائي أيضا وأنا يا بني ضميري يؤنبني تجاههم دائما لم تسمح لي الظروف أن أكون عونا لهم ومرشد لهم طوال مراحل أعمارهم مثلك أنت وزينب لذلك أجد من واجبي كأب ألا أتخلي عنهم الآن

- بما تفكر يا أبي؟!

- الحقيقة أفكر في السفر لتركيا

- الآن وفي ظل تلك الظروف مخاطر السفر كبيرة يا أبي

- ولكن ترك أخواتك لأهوائهم يحمل أكبر المخاطر

- أبي إنهم ليسوا بأطفال صغار علي رجل متزوج وصار أب وإيميري رجل عسكري لن يسمع غير صوت عقله فقط أما إيبيك أنها امرأة ناضجة يا أبي وحرة في تصرفاتها وقد سبق لها الزواج من قبل والآن تريد أن تذهب لتغير حياة هؤلاء ...أسف يا أبي ولكن أجد إن قرارك هذا خاطئ لن يغير من الأمر شيء هل تعتقد حقا أن سفرك لهم سيغير مجري الأمور؟!

- أعرف كل ما قلته يا فاضل وأعرف أنك محق ولكن أنا أب لا يمكنني أن أقف مكتوف اليدين وأنا أري ابنائي يكتبون نهايتهم بأيديهم.

- أنا لا يمكنني أن أثنيك عن رأيك أبي ولكن حاول أن تفكر مرة أخري في حل أخر غير سفرك هذا أبي هل أخبرت أمي بعزمك علي السفر؟

- لا لم أتحدث معها بعد

- إذن تحدث مع أمي وربما أنتما معا تتواصلا لحل أخر غير السفر .

- لا أعتقد أنه يوجد حل أخر ورغما عن ذلك بالطبع لن أسافر إلا بعد أن أقنع والدتك بالأمر.

صمت فاضل قليلا ثم نظر إلي والده وهو لا يجد كلمات تثني والده عن قراره ولكنه قال

- أبي وأنا سأكون معك في أي قرار ستتخذه وستجدني بإذن الله علي قدر المسؤولية التي تتركها لي نظر خورشيد لفاضل مبتسما ثم أقبل عليه ليعانقه.

مرت تلك الليلة علي فاضل بطيئة الخطي جفاه النوم فيها بل رحل عنه كليا كان قلبه مضطربا بالنبض حبا للونا أما عقله كان مشغولا بقرارات أبوه لم تمر أيام قليلة عن تلك الليلة وبات كل شيء في حياة فاضل بل العائلة كلها تتغير بات تعلق فاضل بلونا واضح للجميع وضوح الشمس في منتصف النهار لا يمر يوما دون أن يتلاقا إما في الجريدة أو في نادي الجزيرة أو يمر عليها فاضل في أماكن تصوير فيلمها الجديد ورغما عن كل هذا لم يصارحها فاضل بحبه ربما لمراوغتها له وربما لعدم تأكده من مشاعرها دائما ما تحاول أن تضع حدودا لعلاقتهما في نطاق الصداقة والثقة يسمع كلامها فيتراجع عن مصارحتها وينظر لعينيها ونظراتها له فيكاد قلبه ولسانه يصرخان بكلمات العشق وبين ذلك وتلك تركت لونا فاضل متحيرا في أمرها.أما خورشيد وجولفدان كان الأمر مختلفا عندما أخبرها خورشيد بعزمه علي السفر لتركيا انقبض قلبها واختنقت أنفاسها داخل صدرها ولكنها حاولت أن تبدي مالا تبطن بداخلها فوافقت خورشيد فكرة السفر وهي دامعة العينين ولكن لتريح حبيبها إنها يشعر بوجع

الضمير تجاه ابناؤه والضمير لو عذب لا يترك الانسان يهنأ بلحظة صفاء ستتحول حياته لجحيم أن لم يفعل ما يمليه عليه ضميره ولذلك وافقن جولفدان زوجها الحبيب علي قراره، ولكن زينب لم تتخذ نفس موقف والدتها بل ثارت وجالت عندما عرفت هي ابنة ابيها ولا تتحمل فراقه وفي هذه الظروف خاصة العالم يشتعل بنيران الحروب حاولت أن تقصي ابوها بكل السبل ولكن باءت كل محاولاتها بالفشل للأسف، أما عن ليلي تلك الفتاة المسكينة فلقد استحكمت عليها الدنيا بكلتا يديها تماما لقد أصبحت حياتها مثال حي للجحيم علي الأرض بعد زواج ابيها من تلك المرأة المتسلطة فقد أذاقت الفتاة من الويلات ما يكفيها عمرا خلال فترة وجيزة وكانت الفتاة تتهرب منها بأعجوبة لتلجأ لبيت جولفدان وخورشيد لتلوذ بهما رغم أنها عرفت وسمعت عن علاقة فاضل ولونا فانزوت الفتاة علي نفسها وكانت تحاول أن تتهرب كليا من رؤية فاضل فغيرت مواعيد زياراتها لمنزلهم في أوقات لا يكون هو بالمنزل وإن تصادف ورأته تهرب من أمامه كطفل خائف من فزاعته وقد لاحظ فاضل تصرفاتها ولكنه وجد أن ذلك أفضل للفتاة لا يجب أن تتعلق بأحبال واهية وقلبه أصبح مشغول بغيرها وخاصة أنه عزم علي مصارحة لونا بعشقه لقد قرر أن يصارحها الليلة .

اليوم مساء سيقام حفلا كبيرا للانتهاء من تصوير فيلمها قرر فاضل أنه سينتهز تلك الفرصة ليصارحها بمشاعره كانت الحفلة ستقام في منزل المنتج وتم دعوة فاضل وسمير مرقص لها هذا الحفل سيحضره نخبة من رجال المجتمع والقيادات السياسية والعسكرية هكذا أخبر سمير فاضل ليستعد لها ولكن فاضل لم يكن يهمه من الأمر شيء غير أمر لونا وعشقه لها ومساءا ذهب سمير وفاضل معا كانت العربات تصطف خارج سور المنزل الفخم ويقف بالخارج قوات امنية يبدو أن من بالداخل حقا من ذوي المناصب المهمة دخل فاضل وسمير إلي هذا البيت ومن الوهلة الأولي أصابتهما الصدمة فقال سمير لفاضل

- أرأيت يا صديقي كما قلت لك جميع الرؤوس الكبار هنا

- هل هؤلاء جميعا يهتمون بالفن والسينما

- عن أي فن تتحدث يا صغير أنه عالمهم السفلي الخفي هنا ستري الجميع علي حقيقته هنا عالم سيدهشك يتحالف الأعداء وتنسي الخصوم علي الطاولات تعلوها ضحكات جميلات وكؤوس الخمور

- ليس الجميع هكذا يا سمير أنت دائما سيء الظن

- بل أنت الذي أخضر القلب

صار سمير يشير لفاضل هنا وهناك بعينه لينتبه لتصرفات الحضور حقا الجميع بدوا لفاضل مختلفين ليست تلك الشخصيات هي نفسها التي يراها في الجريدة أوالمؤتمرات العامة أو اللقاءات الصحفية الجميع يظهر هنا بوجه اخر ولكن فاضل كان منشغلا بالبحث عن لونا كثيرا وسط الزحام حتي قابل مخرج الفيلم فهنئه فاضل علي العمل القادم وطلب من الرجل عمل لقاء معه ليسأله في الأخير.

- أين لونا عطاالله بطلة العمل؟

- لونا... لم يعد اسمها لونا أطلق عليها المنتج لقبا فنيا سيكتب علي أفيش الفيلم اسمها الآن علوية رستم.

- علوية؟؟

تعجب فاضل من ذلك لم تذكر له لونا أي من هذا الشأن كيف نست أن تخبرني بأمر مثل ذلك.

- ولكن أين هي؟ سأل فاضل

أشار المخرج برأسه لأحد الطاولات ثم ذهب ضاحكا لينظر فاضل لتلك الطاولة ليجد امرأة إنها تشبه لونا ولكنها تكاد تتخفي وراه مساحيق التجميل المبالغة وحمرة شفاه صارخة وما تلك الملابس العارية المبتذلة.

- أين لونا من تلك الفتاة؟

هكذا سأل فاضل نفسه قبل أن تلمحه لونا لتتصلب نظرتها عليه وتصمت ضحكتها الصاخبة كانت لونا تجلس علي الطاولة مع مجموعة من الضباط الانجليز وبعض رجال أخرين يبدو من جنسيات مختلفة بدت كحلوي مزركشة تجمع عليهاالذباب التفت فاضل ولم يحاول الاقتراب منها بل توجه إلي سمير ومن معه يتداولون أخبار هتلر والحرب مرت الليلة علي فاضل كغيمة سوداء قد أخفت ورائها ضوء النهار حاولت لونا أن تتحدث معه بعد أن تركت من كانوا بصحبتها ولكن تهرب فاضل منها وترك الحفل ترك فاضل الحفل وقلبه قد طعن بسكين سام يسري السم بعروقه بينما ينزف جرحه دما لا يصدق ما راءه هل خدع تماما في تلك الفتاة إنه يلعن غبائه وقلة عقله لقد كان يريدها زوجة وشريكة لحياته ما الذي تريده المال؟؟؟

هي تعرف أنني من عائلة ثرية وكنت سأقدم لها حياة أكثر رفاهية من كل ما ستحصل عليه من هؤلاء ما الذي يدفع فتاة أن تضحي بقلب رجل عاشق سيقدم لها قلبه وماله واسمه وكل ما تتمناه؟؟؟؟

- لماذا يا لونا لماذا؟؟؟؟؟

وبينما كان فاضل يقود سيارته لمح فتاة تعدو على الرصيف الموازي للطريق إنها تتجه للكورنيش ولكن شيء استوقفه

- من تلك الفتاة؟ إنها ليلي !!

توقف فاضل فورا

- ما الذي تفعله ليلي في هذه الساعة من الليل في الشارع وحيدة؟

نزل فاضل مسرعا من السيارة باتجاه ليلي ليجدها تقف على حافة النيل تحملق له وقد كان واضحا عليها أنها في عالم منفصل لأنها لم تسمع صوته وهو يسألها

- ليلي ما الذي تفعلينه هنا الآن؟؟

لم ترد الفتاة فوضع فاضل بيده على كتفها يهز الفتاة لتفيق إنها لا تتحدث انتفض جسد ليلي كليا بين يدي فاضل كعصفور بلله قطرات المطر ينتفض.

- ماذا بك يا ليلي لا تقلقيني عليك تكلمي يا بنت؟

هنا بدأت ليلي في البكاء بشكل هستيري كانت الدموع تندفع من عينيها كالسيل وصوت النحيب يصدر من عمق صدرها بلا كلمات حاول فاضل أن يجعلها تصمت ولكن وجع ليلي أصابه في الصميم إنه أيضا يريد أن يبكي هو الأخر بل إن دموعه نزلت علي وجهه هو الأخر لأول مرة يبكي فاضل ما تلك المشاعر الضعيفة إنه لا يعرفها ولكنه يريد أن يشاركها مع أحد ما وبين دموعه ودموعها احتضن فاضل ليلي وضعها بين أضلعه يطيب بها قلبه المنكسر ويشعرها بقوته ووقوفه معها وبعد لحظات مرت عليهما وهما لا يدريان ما يحدث تنبهت ليلي فدفعت بفاضل بعيدا عنها وأدارت وجهها عنه، ولكن ظل فاضل يسير ورائها في اصرار منه ليعرف ما أصابها، ولكن ليلي لم تقل له كلمة كانت تنظر له نظرة اللوم والعتاب فهم فاضل ليلي لن تبوح بشيء لي وأنا ربما سبب هذا الألم، ولكن فاضل أصر أن يصل ليلي إليباب منزلها ووقف يطمئن لدخولها ثم عاد لبيته.

وفي صباح اليوم التالي نزل فاضل يبحث عن زينب علي غير عادته فتعجبت زينب من أمره وزاد تعجبها عندما سألها فاضل عن أخبار ليلي فقالت له

- منذ متي يهمك أمر الفتاة أتركها بما هي فيه من عذاب يا فاضل

- أي عذاب

- هل تراوغ أنت تعرف اترك البنت واذهب إلي لونا هذه ليلي عزم أبوها علي تزويجها بأحد أقارب زوجته خطبة الفتاة خلال أيام.

- أي خطبة هذا وكيف وافقت أمي علي هذا

- وما الذي تستطيع أمي فعله نحن نعرف جميعا بعلاقتك مع لونا ربما هذا أفضل لليلي رغم أنها مغصوبة علي ذلك الزواج مسكينة يتحكمون بها كالأشياء وتتحرك حياتها من عذاب لعذاب أسوء وقف فاضل ونظر لزينب يقول

- لن يحدث هذا لن تتزوج ليلي بأحد غيري

نظرت زينب لفاضل وتكاد عينيها تخرج من مكانهما

- ماذا تقول؟؟؟؟

- لن تتزوج ليلي بغيري يا زينب اذهبي الآن وقولي لها هذا ذهب فاضل مباشرة لمكتب أبوه يترك الباب ليسمح له والده بالدخول وقبل أن يتكلم الأب بادر فاضل الكلام

- أبي أعرف أن الظروف غير ملائمة ولكن يجب أن أتكلم معك بأمر هام يخصني.

- تكلم يا فاضل ما الأمر؟

- أعرف أن تلك الأمور ليس هذا توقيتها المناسب ولكن..

- ادخل في الموضوع مباشرة يا فاضل لقد بدأت أقلق

- أريد أن أتزوج من ليلي أريد أن تخطبها لي من والدها

صمت خورشيد قليلا ينظر بإمعان لوجه ابنه ثم عاد ليقول

- ليلي؟

- نعم ليلي يا أبي

- وماذا عن تلك الايطالية لونا

- ماذا عنها يا أبي؟

- لا تناور يا فاضل جميع من في البيت يعرف قصة تعلقك بتلك لونا فلما الآن تريد ليلي؟؟

- لأني أحتاج لليلي وهي تحتاج لي

- أفهم أنها تحتاج لك ولكن لما تحتاج أنت لها

- لأقوي بها أقوي بحبها لي أعرف من زمن أنها تحبني ربما معرفتي تلك جعلتني أزهدبها ولكن كان دائما شيء بداخلي يشعر أنها ملكا لي واليوم عرفت بأمر زواجها فجن عقلي ليلي هي أم ابنائي يا أبي لا أحد غيرها.

ذهل خورشيد من كلام فاضل ولكنه بدا له كلام عاقل متزن

- حسنا ولكن إن كنت تظن ليلي مجرد شيء ستملكه أنا من سيقف لك يا فاضل تعرف أحبها كابنتي تماما ولن اسمح لك بجرحها.

- لن يكون يا أبي ولكن اسمح لي بأن ندخل هذه الفتاة لذلك البيت عروسا قبل سفرك إن مكانها هنا تماما وأعدك بأنني سأكون زوجا وابننا وأخا لكل هؤلاء النساء في غيابك.

- حسنا يا فاضل أنا اتمني يا ولدي أن أري ابناءك في حياتي ووالدك رجل عجوز فلننجز ذلك العرس في أسرع وقت ولتخبر والدتك هذا الخبر سيفرحها كثيرا وهي تحتاج لتلك الفرحة حقا.

حياة جديدة

مرت الأيام مسرعة بعد زواج فاضل وليلي تم كل شيء سريعا فالوقت علي رحيل خورشيد أقترب كان الجميع يبدو سعيدا بهذا الزواج رغم ذلك كانوا جميعا يقتلهم القلق والتشكك من نجاح هذا الزواج الجميع بداخله شك من موقف فاضل المتسرع في اتمام الزواج حتي فاضل نفسه كان يتجنب مواجهة نفسه أو محاولاتسمير لمعرفة ما الذي حدث ليتغير حبه للونا أما عن لونا نفسها فحاولت مرارا الاتصال بفاضل أو لقاؤه لكن فاضل كان يتهرب من رؤيتها بشتي الوسائل أما عن ليلي فحبها لفاضل كان شفيعا له عن مغامرته مع لونا هكذا كانت تحب أن تسمي علاقته بها مجرد مغامرة وانتهت.

مرت الليالي دافئة هادئة منذ زواج فاضل وليلي ونعم بيت المنيل بأجمل الأيام ولم يكن شيء يغير صفو العائلة إلا اقتراب موعد رحيل خورشيد لتركيا وخاصة أن الرحلة غير أمنة والعالم يغلي يملأه أخبار الحرب هنا وهناك فخورشيد سيسافر بالقطار إلي القدس ثم منها إلي الشام بريا ثم إلي تركيا فالجميع حذروه من الذهاب بحريا لتركيا بسبب الحرب كانت جولفدان يعتصرها القلق عليه ولكنها كانت تحاول التماسك أمامه إنها لا تريد أن تكون عائق أمام أبوته لأبنائه في تركيا هي تعلم أن ضمير خورشيد لا يصمت ولا يرتاح دائم التأنيب له جهة أبناء جولسن مهما كانت أسبابه ولكنه تركهم ورحل في عمر متقدمه جدا تركهم لجولسن وهي لا تستأمن علي تربية أطفال تربية متوازنة صالحة إان ضمير خورشيد يحمله ضعف شخصيةعلي وجموح إيمير وجنون إيبيك إنهم حصيلة فشله مع جولسن ويجب أن يتحمل نتائج ما صنع جاء يوم الرحيل كان الوداع مهيب لم تكن المرة الأولي التي سافر فيها خورشيد لتركيا ولكن الجميع يغلبهم القلق هذه المرة تجمع الجميع في بهو المنزل لوداع خورشيد حتي عارف تحامل علي نفسه ونهض من فراش مرضه ليودع سيده

- استودعك الله يا باشا سلامي لإسطنبول وأهلها .

- البيت في أمانتك يا عارف

- ابتسم عارف وهو يعرف أن خورشيد يقولها ليحسن من مزاجه فمنذ فترة وعارف لا يمارس عمله في إدارة البيت فقد أقعده المرض تماما.

أستدار خورشيد لفاضل مودعا

- أصبحت مسؤلا عن الأسرة الآن يا فاضل لا أوصيك على أمك وزينب وليلي.

- لا تقلق يا باشا كل شيء سيصير كما تحب إلي أن تعود بالسلامة. أحتضن خورشيد زينب التي لم تتكلم لوداع والدها بل غالبتها الدموع.

- زينب لما البكاء ابنتي زينب لا تمثلي دور الفتاة الضعيفة لا يلق بك يا بنت ثم ضحك وهو ينظر في عينيها أنت محاربة مثل جدتك أسما يا زينب وأعرف أنك دائما ستكونين مصدر فخر أبوكي.

أشارت زينب بالإيجاب وهي تمسك يد أبوها وتقبلها ثم جاء دور ليلي نظر خورشيدلليلي بابتسامة أبوية حانية وهو يقول سوف احرص أن أعود قبل ميلاد حفيدي الأول فضحك الجميع فليلي لم تحمل بعد وجاء في الأخير دور جولفدان في الوداع

- جوري حبيبتي لولا أن السفر هذه المرة صعب لأخذتك معي كم يصعب علي قلبي السفر بدونك

- ستكون هناك سفريات كثيرة يا حبيبي لا تقلق تنتهي الحرب وسنذهب في رحلة طويلة نجوب بها بلدان كثيرة.

- أحبك يا جوري هل أخبرتك يوما كم أحبك

- نظرت جوري للأولاد وهي تبتسم

لا لم تخبرني كم تحبني حقا أيها الوسيم؟

- لا أعرف حقا لا أعرف كم أحبك ليس في قاموسي ومعرفتي ما يصف هذا الحب.

- تضحك جوري مجددا السفر جعلك شاعرا أم أنك تحاول أن تبكيني ثم بكت كثيرا ووضعت رأسها بين أحضانه.

جاء سمير وهو يهرول قلق أن يرحل خورشيد قبل أن يودعه وعندما نظر له خورشيد ضحك قائلا

- ها قد جاء سمير لينقذني من هذه اللحظات

- ضحك سمير وهو يغمز لخورشيد عد الجمايل يا باشا

- كمل جمايلك وخليك دايما جنب فاضل يا سمير

- أخويا الصغير وده بيتي التاني أنتم عيلتي ولا ايه؟

- طبعا يا سمير أنا بعتبرك واحد من ولادي أنت عارف

ثم ذهب فاضل وسمير لتوصيل خورشيد ليستقل قطاره كان قصر المنيل كالجسد بلا روح بعد رحيل خورشيد الجميع ينقصه شيء بداخل الجميع خوف لا يدري من أين جاء حتي الجدران باتت بارده السكون يخيم علي المكان.

اعتزلت جوري الجميع والتزمت غرفتها لا تبرحها غير أوقات الطعام بينما انشغلت زينب بدراستها وغاب فاضل عن البيت معظم الوقت فقد انخرط في العمل الصحفي والعمل في جريدة جديدة بدء بالعمل فيها واتجه للكتابة السياسية ليبعد عن كل فرصة تجمعه بلونا، أما ليلي فقد

تحققت بشري خورشيد لها وعرفت بحملها بعد أيام قليلة من سفره كان الجميع متلهف لخطاب من خورشيد أو خبر للاطمئنان عليه ولكن لظروف الحرب تأخر وصول رسائل منه أو هكذا ظنوا في بادئ الأمر مر علي رحيل خورشيد ما يقرب من شهر ولم يصلهم أي رسائل حتي ذلك اليوم الذي وصلتهم رسالة من علي ابنه الأكبر يخبرهم أن أبوه لم يصل إلي اسطنبول وأنه قلق عليه هنا قامت قيامة قصر المنيل فمعني عدم وصوله أنه تعرض لشيء ربما أسر أو أصيب أثناء سفره البري أسرع فاضل وسمير للتوجه إلي السفارة التركية للتحري من الأمر ولكنهم لم يجدوا إجابة تطمئنهم حاول سمير الاتصال بكل معارفه الصحفيين في الشام ربما سمعوا عن حادث أو أي خبر ينبأهمباختفاء خورشيد ولكن للأسف لم يتوصل لشيء كل هذا وجوري في حالة من الذهول لا تنطق بشيء غير أنها متأكدة أن حبيبها لا زال حي لم يتخيل أحد أن تكوننهاية خورشيد هكذا تنتهي بالاختفاء، ولم تكن الصدمة قليلة علي الجميع ولأن المصائب لا تأتي فرادي توفي العم عارف وهو يوصي الجميع بصغيرته أو هكذا لازال يراها جوري أصبح فاضل رجل البيت تكالبت عليه الهموم شعر أنه انكسر ظهره بعد اختفاء الأب.

وفي ليلة شتوية ممطره وبعد اختفاء خورشيد بثلاث شهور طويلة استيقظ قصر المنيل علي طرقات مسرعة علي الباب أيقظت جميع من في القصر نزلوا جميعا ربما جاء خبر عن خورشيد أو لعله عاد فتح فاضل الباب مسرعا ولكنه وقف متجمدا للحظات كانت جوري وزينب ومن بعدهم ليلي قد لحقوا بفاضل ليروا من يطرق بابهم في منتصف ليلة كهذه ولكنهم جميعا تفاجأوا عندما وجدوا فاضل واقفا أمامهلونا وهي ترتعد من البرد والخوف والدموع قد ملئت عيناها والمطر قد أغرق معطفها الطويل وهذا الوشاح الذي تلفه حول رأسها يقطر بماء المطر المنظر أصاب الجميع بالتجمد والصمت غير أن ليلي قطعت هذا الصمت وهي تتوجه لفاضل وتنظر له لتقول

- خير؟

كانت لونا تضع عينيها في الأرض تحاول إخفاء دموعها ولكنها عندما رأت ليلي عرفت أنها يجب أن تواجه ما لا يمكن الفرار من مواجهته فردت لونا علي ليلي.

- أسفة علي ازعاجكم في هذا الوقت ولكني مرغمه.

فردت ليلي وهي تبتسم بتهكم

- مرغمة؟؟

- نعم البوليس السياسي يلاحقني ولم أجد أحد ألجأ إليه غيركم.

- البوليس السياسي؟؟؟

هكذا نطق فاضل كانت جوري تسمع الحديث فطلبت من فاضل أن يدخل لونا وأن يغلق هذا الباب فورا استقبلت جوري لونا في صالون البيت وطلبت من زينب أن تأمر أحد الخدم بتحضير شيء دافئ للونا حاولت جوري أن تهدئ من روع الفتاة وأن تسمع منها قصتها لم تطق ليلي الموقف ككل فنظرت لجوري بنظرة لوم واستأذنتها أنها ستذهب لغرفتها.

- سأذهب أنا لغرفتي فإنني متعبة يبدوا أن تعب الحمل هذا لا ينتهي كانت ليلي تتكلم وتنظر للونا ويبدوا أن الأخري لم تكن علي علم بحمل زوجة فاضل فانتابتها رجفة بعد كلام ليلي ولكنها حاولت إخفاء ذلك نظرت جوري لليلي ببعض من العتاب ثم صعدت ليلي للأعلي بعد تأكد جوري من صعود ليلي بدأت تسأل لونا

- قولي لي يا ابنتي ما الذي يريده البوليس السياسي منك؟

- يريد القبض علي وتسليمي للمخابرات الانجليزية

نظر فاضل وجوري لبعضهما والدهشة أخرستهم، ولكن فاضل وقف يصرخ في لونا

- ما الذي فعلته لكل ذلك؟

- كنت مرغمة

- مرغمة؟؟؟ علي أي شيء؟؟

- علي نقل بعض المعلومات لإيطاليا عن طريق زوج أمي

صرخ فاضل

- جاسوسة أنتي يا لونا؟؟؟؟؟

وقفت جوري تهدأ فاضل وتطلب منه أن يخفض صوته حتي لا يسمعه الخدم كانت لونا تبكي بحرقة وهي تفرك يديها ببعضهما البعض والدموع قد صارت سيل من عينيها وبدأت تقص سرها الذي كانت تخفيه.

- ولدت لأب عربي وأم إيطالية تخلي والدي عني صغيرة وعاد لوطنه أما أنا عشت مع أمي التي تزوجت من ظابط بجيش إيطاليا كان رجل طموح بل طماع كان لا يبخل بشيء ليصل إلي مراكز أعلي وأن يبلغ رضا قادته بأي شيء وفي يوم جاء وبعد نهاية دراستي الثانوية يقول لي أنني يجب أن أذهب لزيارة لأهل أبي في الشام وأنني بعد ذلك سأقوم بزيارة مصر تفاجأنا أنا وأمي من طلبه وبعد ذلك فهمنا أنه يريدني أن أعمل لصالح الرايخ الثالث وانه عمل عظيم قد رشحني له بالطبع لم ترضي أمي وصرخت به بل وطردته من المنزل ولكن عشية هذا اليوم جاءوا الجنود وألقوا القبض علي أمي صرخت كثيرا استعطتهم ويسحلوا أمي أمام عيني وذهبت لزوجها بعد ذلك فساومني بالإفراج عن أمي مقابل طلباته ذهبت معه لمبني تابع للجيش وقابلت ضباط إيطاليين وألمان وقد دربوني علي كل شيء هنا قاطعها فاضل.

- كل شيء؟ ما الذي دربوكي عليه؟

- كيف أن ابني علاقات في المجتمع هنا في مصر وأي الفئات يجب أن أختار هنا قاطعها فاضل مجددا

- أي الفئات؟؟ بالطبع عسكريين وسياسيين وصحفيين مثلي أنا؟؟؟

- نعم

نطقتها لونا وهي تنظر للأرض هنا لم يستطيع فاضل تماسك نفسه فجذب لونا من ذراعها

- وتعترفين أيضا؟!

اسرعت جوري بتخليص لونا من أيدي فاضل

- اهدأ يا فاضل الفتاة لا تتحمل المزيد ألا تري وضعها نظرت جوري للونا وهي تسألها

- والآن يا ابنتي ما الذي تريده من؟

- لا اريد شيء اريد أن ابقي عندكم يومان فقط وبعد ذلك سأذهب من هنا؟

تنهدت جوري وهي تنظر لفاضل ثم عادت تنظر للونا

- ولما نحن؟

- أنا لا أثق بأحد غيركم أقسم لكي يا سيدتي أنني بعد أن دخلت منزلكم لم انقل كلمةعنكم ولم اذكركم في أي من تقاريري التي كنت أسلمها لقد احتفظت بكم لنفسي أنا لونا ثم نظرت لفاضل باكية وهي تقول

- أي شيء يخصكم كان صادق كان خاص بي وليس بهذا العمل البغيض الذي جبرت عليه لم اكذب عليكم هنا صاح فاضل مجددا

- لم تكذبي علينا؟! أنت في حد ذاتك كذبة كبيرة أنت مزيفة مجرد جاسوسة هنا أوقفت جوري ابنها ثم نظرت للونا قائلة

- اخفاءك أمر قد يعرض ابني بل يعرضنا جميعا للخطر وزوجي قد سافر وانقطعت أخباره ولا يمكنني الدخول في مشاكل في هذه الظروف ولكن لا يمكن أن أرد فتاة مثلك طرقت بابي ليلا لأتركها بهذا الوقت في الطرقات سأسمح لكي بالتواجد في البيت هذه الليلة وغدا نري ما الذي يمكن فعله.

نظرت لونا لجوري نظرة امتنان وعرفان بالجميل وهي تشكرها علي هذا الكرم ثم أمرت جوري فاضل باصطحاب لونا لغرفة عارف فمنذ وفاته لا أحد من الخدم يدخل إليها ثم أمرته أن يخبر زينب وليلي بأن يدعو أن الضيفة قد انصرفت هكذا مرت تلك الليلة لونا في غرفة عارف وعينيها لا تتذوق النوم من الخوف وفاضل بغرفته مع ليلي التي كانت تمثل النوم وهي يقظة تشعر بأنفاس زوجها المستيقظ طوال الليل يفكر بلونا.

أشرقت شمس اليوم التالي وهي تحمل متاعب جديدة وحمل جديد علي قلب جوري ما الذي تفعله مع تلك الفتاة أنها تصدقها وتتعاطف معها ولكن المخاطرة كبيرة اخفاء جاسوس وقت الحرب جريمة كبري والإنجليز لا يرحموا أحد وزوجهاوابناؤها في نظر الكثير غير مصريين ما الذي تفعله لترضي ضميرها وتحمي أسرتها؟؟

الأمر محير فكرت في أخبار سمير فمعارفه كثيرة ولكن مجرد أخبار هذا الأمر لأيأحد يعتبر تسليم للفتاة فسمير صحفي سياسي وربما هو أيضا مراقب دخلت زينب علي أمها فنظرت لها تقول

- لم يكن إلا ينقصنا لونا أيضا ألا يكفي ما نحن فيه

- نعم يا ابنتي ولكن قلبي مفطور علي تلك المسكينة ومصيرها

- رغم انني لا أحبها كما تعلمين ولكن كلما فكرت في ما فعلته من أجل أمها أتعاطف معها

- هل أدخلتي لها الفطور

- نعم دون أن يراني أحد ولكن إلي متي سوف يلاحظ الخدم حركة في الغرفة عاجلا أو أجلا

- أعرف يا زينب ولكن الفتاة قالت يومين

- وهل تعتقدين أنها ستذهب بعد يومين فقط كم أخاف أن يطول الأمر فليلي تغلي في غرفتها من وجود لونا هنا.

- أعلم يا زينب ولا تزيدي الأمر علي لا أعرف ماذا أفعل؟

- لو والدي هنا ماذا كان سيفعل؟

- والدك لا يرد أحد جاء لبابه يحتمي به ألا تذكرين قصته مع سمير

- نعم حقا لذلك وافقتي علي لونا

- الأمر مختلف سمير يدافع عن وطنه ولكن لونا جاسوسة تابعة للرايخ الثالث

- البعض يقول أن هتلر مختلف عن الانجليز وأفضل منهم

- هذا هراء يا زينب كلهم مستعمرين وطغاه انظري كيف جندوا لونا

- حقا انهم لا قلب لهم

- جميع الطغاة متشابهين يا ابنتي انجليز ألمان إيطاليين جميعهم مستعمرين

- تشتاقين يا أمي للعمل الوطني بعد أن حرمك أبي منه؟

- لم يحرمني أبوكي من شيء لقد انتهت ثورة١٩ وأنا أخترت أن أكون أما متفرغه لكمفقط

- والآن ماذا نفعل مع لونا

- سنتركها عندنا تقول أنها ستتصرف خلال يومين وفي غرفة عارف القديمة كانت لونا تجلس علي مقعد خشبي قديم يعلوه نافذة صغيرة تدخل منها أشعة الشمس منكسرة علي أرض الغرفة بينما بقي الطعام كما هو لم تلمسه لونا علي المنضدة بجانبه سمعت لونا طرقات باب الغرفة ولكنها لم ترد لعل أحد الخدم لقد قالت لها زينب أن تغلق الباب بالمفتاح خلفها خوفا أن يدخل الغرفة أحد بعد عدة طرقات سمعت صوت فاضل.

- أفتحي أنا فاضل

ترددت لونا قليلا وتوترت ولكنها في النهاية قررت أن تفتح لفاضل

دخل فاضل فنظر للطاولة ووجد عليها الطعام كما هو

- لماذا لم تأكلي هل تردين أن أتي لكي بطعام أخر؟

- لا شكرا أنا فقط لا أشعر بالجوع الآن

- أوصيت زينب أن تمر عليكي كل فترة لتتفقدك ربما أحتجتي لشيء

- شكرا لك

نظر فاضل لباب الحمام الملحق بالغرفة

- هل هذا الحمام بحالة جيدة؟

- نعم كل شيء جيد شكرا

أدرك فاضل أن لونا لا تنسي له ما فعله ليلة أمس فقال لها

- بالنسبة لليلة أمس أعتذر عن انفعالي عليكي

- تعتذر

قالتها وهي تنظر إليه بلوم ثم أدارت عينيها بعيدا عنه فقال فاضل

- ما الذي كنتي تريدين مني أن أفعله بعد ما اعترفتي لي به أمس؟

- لم أكن أريد شيء يا فاضل

- لونا أنت تعرفينني وهذا ليس أسلوبي

- أعرفك كنت أظن أعرفك قبل أن تهرب مني

- أنا لا أهرب من أحد

- وما الذي فعلته إذن ألم تهرب وذهبت وتزوجت؟!

- لم أفعل هذا إلا بعد ما رأيته منك في هذا الحفل الماجن في منزل هذا المنتج

- كان هذا جزء من مهمتي كان من المدعوين بعض الضباط المهمين وقد وصلت لي رسالة بأن أحاول أن أعرف منهم متي سيغادرون القاهرة.

- أنا لا أستطيع تخيل مهامك تلك يا لونا كيف هان عليك نفسك كيف ...

وقبل أن يكمل جملته وقفت لونا تقاطعه

- أنا لم أرخص نفسي يوما صدق أو لا أنا لم يتعدي معرفتي بهؤلاء غير هذه الحفلة وغير ذلك كانت بعض المعلومات كنت اسمعها في الجريدة في زياراتي ومقابلاتي كممثلة أنا لست العميلة الجيدة من الأساس ليسندوا إلي مهام أكبر أنا أقوم بذلك تحت التهديد وهم لا يثقون بي.

- إذن ما الذي أوقع بك

- قلت لك أنا لست مهمة لهذه الدرجة ما أوقع بي أنني قابلت أحد العملاء كان يسلمني رسالة وكان مراقبا فبحثوا واكتشفوا اسم زوج أمي.

- لماذا لم تحاولي البوح لي بالحقيقة يا لونا لماذا؟

- حاولت كثيرا ولكن كنت أخشي أن أوذيك معرفتك لمثل تلك المعلومات تعرضك للخطر وبعد الحفل حاولت التواصل معك لأعترف لك بكل شيء ولكنك ذهبت وتزوجت يا فاضل.

صمت فاضل وظل محدق بعين لونا فلم يجد غير الصدق فيهما اتجه فاضل للباب منصرفا دون أن ينطق كلمة واحدة ثم أغلقت لونا الباب من خلفه وعيونها تسيل منها الدموع وجسدها يرتجف ليس خوفا ولكن حزنا فما الفائدة الآن من أن يصدقها فاضل إن حياتها علي المحك وربما يقبض عليها في أي وقت لتواجهه حكمبالإعدام وحتي ولو استطاعت الهروب هل سترحم من قادتها لقد أصبحت كارت محروق والأغلب سيتم التخلص منها إنها في عداد الموتي علي أي حال وفاضل أصبح متزوجا وينتظر طفلا من زوجته ضاقت جدران الغرفة علي لونا وتحولت لزنزانة ضيقة، أما فاضل فغادر المنزل وهو يهيم علي وجهه والندم يعتصر قلبه هل تسرع؟ هل ظلم لونا أم ظلم ليلي أم أنه لم يظلم غير نفسه.

قابل فاضل سمير بالعمل ولكنه لم يستطع أن يبوح له شيء أي كلمة ممكن أن تكون حياة لونا ثمنا لها ما الذي يفعله ولم يشكو وجعه تذكر أباه فغلبته الدموع تسقط من عينه وهو يحاول أن يخفيها قبل أن يلمحها الحضور حوله.

أما ليلي فكانت في البيت تستشيط نارا وقد صارت كالعقاب الذي يحوم حول فريسته فأصبحت تنظر لباب الغرفة التي تسكنها لونا وعينيها تكاد تخرج علي الباب حتي رأتها زينب فربتت علي كتفها وهدأتها وأخذتها إلي غرفتها وجوري تتابع كل ذلك ولا تدري ما الذي تفعله الأمر أصبح

معقدا عاد فاضل للبيت ليجد الجميع في حالة الإنتظار له الجميع يريد منه الحلول توجه إلي غرفة والدته فوجدها تنتظره فقالت له

- ما الحل يا فاضل ماذا نحن فاعلون مع ضيفتك.

- ما تردينه يا أمي.

- ما أريده هي حماية عائلتي ولكن دون أن تتضرر تلك الفتاة.

- ما الذي تريدين مني أن أفعله شوري علي

- اذهب واسألها كيف يمكننا مساعدتها لتهرب بعيدا لخارج البلاد.

- خارج البلاد؟؟؟

قالها فاضل وهو شارد

- نعم يا فاضل لخارج البلاد وماذا تظن أنها تستطيع أن تظل مختبئة طواال؟؟!!

- سأذهب لها يا أمي ولكن صباحا لا يمكن أن اطرق بابا غرفتها في هذا الوقت ترك فاضل أمه وذاهبا إلي غرفته وهو يعرف ما ينتظره هناك عندما دخل فاضل الغرفةكانت ليلي ممددة علي الفراش متقوقعة علي نفسها صوت بكائها يكاد يكون مسموع ذهب ليتفقدها فوجد عينها مختفيتان من كثرة البكاء.

- لماذا تبكي يا ليلي

- أنت تعرف

- لا لا أعرف ما الذي يجعلك تبكي لوجود امرأة غريبة بالمنزل

- امرأة غريبة؟ كنت أعتقد أنها قريبة لك جدا

- لونا كانت صديقة ومنذ فترة لم أراها واليوم لجأت لي ما الذي أستطيع أن أفعله.

- لا شيء لا تفعل شيء سأنام أنا لأريحك

شهق فاضل وهو يحاول أن يروض غضبه وهو يردد بداخله

- ما الذي أفعله دلني يا الله.

اشرقت الشمس لتعلن عن يوما جديدا احضرت زينب للونا الفطور وبعض من ملابسها شكرتها لونا كثيرا فهذه الثياب الرثة لم تعد تطاق غيرت لونا ملابسها وجلست لتتناول الفطور وهي لا تبعد عينيها عن الباب تنتظر أن يترك عليه فاضل وحقا لم يخيب فاضل ظنها جاء في موعده المحدد مثل أمس ففتحت له باب الغرفة وادخلته لم يحاول فاضل أن ينظر لعينيها كثيرا رغم أنها كانت تطارده وحاول أن يغير الموضوع فقال

- أري أن ملابس زينب قد ناسبتك كثيرا

- نعم مشكورة زينب أنقذتني بملابسها تلك

- ما الذي تنوي أن تفعليه يا لونا ما هي خطتك للنجاة؟

- النجاة؟ هل تعتقد أنني سأنجو.

هنا رفع فاضل عينه لينظر للونا قائلا

- نعم ستنجين لن أتركك يا لونا لن أتخلي عنك

كانت كلمات فاضل كالبلسم الذي وضع علي قلب مجروح نظرت له لونا وقد عرف الابتسام لثغرها طريق

- حقا يا فاضل لن تتخلي عني

- نعم هذا وعد مني

- ووعدك يكفيني يا فاضل حتي ولو انتهت حياتي الآن عرفت أنك تحبني هنا أحمر وجه فاضل فهو لم يصرح لها بحبه ولكنها استمرت في الكلام

- لا يهمني شيء الآن غير أنك عرفت كل الحقيقة وعرف أنا أنني ما زلت في قلبك

- لونا

- لا تقل شيء أعرف أنك متزوج وهذه المرأة تحمل ابنك وأنا لا أطالبك بشيء يا فاضل.

موعد مع القدر

استمرت إقامه لونا في القصر لمدة أسبوعين كانت بالنسبة لها الحياة في جنات عدن وكيف لا وهي تعيش مع حبيبها تحت سقف واحد بينما مروا علي ليلي كعقود طويلة مرعبة خانقة كانت لا تنام ليلا من خوفها من القدر وأن يفرقها عن حبيبها بعد أن جمعهما، أما فاضل كانت الأفكار تتراقص في عقله أحيانا يتمني لو لا ما تصرع في الزواج من ليلي وأحيانا يشفق عليها ويعذبه ضميره.

كانت جوري تدرك حيرة ابنها ولكن ما الذي تستطيع أن تفعله كم تمنت وجود خورشيد بجوارها الآن إن غيابه وانقطاع أخباره يدمي قلبها وتزاحمت عليها الأحزان فصار جسدها نحيل وقدميها لا تقوي علي حملها، ولكن هي سيدة هذا البيت ويجب أن تفعله ما يجب ولذلك قررت التحدث مع لونا فأرسلت لها زينب لتحضرها لها ليلا حتي لا يراها أحد.

دخلت لونا علي جوري فوجدتها جالسة علي مقعد وتحمل بين يديها صورة قديمة لها مع خورشيد قد التقطت أثناء زيارتهم لبورصة فرحبت بها جوري وأشارت لها

- اجلسي هنا يا ابنتي تنهدت لونا وهي تنظر لجوري وقالت

- ابنتك؟ لا تعرفين كم أشعر بالراحة عندما أتحدث لك

- أتشتاقين لأمك؟

- نعم كثيرا

- لونا لا تسيئ فهمي ولكن يوجد ما يجب أن نتحدث عنه

- أعرف

- تعرفين

- نعم يجب أن أرحل

- ليس هذا ما أقصده ولكن وضعك أنت وفاضل وليلي المسكينة حامل أخشي أن تفقد حملها من كثرة الحزن والبكاء.

- أسفة علي كل شيء أعرف أنني السبب

- أتعرفين يا لونا يوما ما كنت في نفس وضعك هذا تقريبا

- كيف؟ لا أفهم

- عندما أحببت خورشيد كان متزوجا وأنا كنت غريبة ووحيدة في إسطنبول

- وما الذي فعلتيه؟

- كان الوضع علي قاسيا ولكنني رحلت

- تركتيه؟؟

- نعم كان يجب علي الابتعاد وبعدت عنه ست أعوام كامله تغيرت خلالها الظروف وعدنا والتقينا

- سأرحل

- أنا لا أقص عليكي هذا لترحلي يا لونا

- أعرف ولكن يتوجب عليا الرحيل وخاصة وجودي يمكن أن يسبب ضررا لفاضل

- وما الذي ستفعلينه يا ابنتي أين ستذهبين؟

- سأتصل ببعض من معارفي الايطاليين في الإسكندرية ويمكن أن يساعدونني في الهرب لإيطاليا.

- أليس هذا فيه خطورة عليكي؟

- في كل الأحوال الخطر أصبح يحاوطني.

مرت أيام قليلة بعد محادثة جوري ولونا وتحدد موعد سفر لونا للإسكندرية ولكن فاضل أصر علي سفر معها فسفرها بمفردها فيه مغامرة تهيأ الجميع لسفر لونا فأعطت جوري كل الخدم اجازة في ذلك اليوم وحرصت لونا علي توديع كل من في البيت وشكرهم ولكن كان هناك لقاء تخشاه وهو لقاء ليلي لم تستطع لونا التهرب منه فقد أتت ليلي بنفسها لغرفتها في تلك الليلة ودار حديثا بينهم.

- مرحبا ليلي

- مرحبا

ساد الصمت للحظات ولونا تحاول الهروب من عين ليلي

- شكرا أنك جئت لتوديعي

- أنا لم أتي لتوديعك تعرفين لما جأت

- فلما؟؟

- جئت أن أترجاكي يا لونا أن تتركي لي زوجي أنه كل ما أملك من تلك الحياة ذهبت أمي وخذلني أبي ولم يكن لي في الحياة أمل إلا فاضل أنت امرأة قوية ربما لا تفهمين كلامي هذا ولكن هنا قاطعتها لونا

- امرأة قوية؟! كم كنت اتمني أن أكون مثلما تقولين ولكن ربما أنا أتعس منك حظا كثيرا ولكن أقسم لكي أنني لن أهدم لكي عشك الصغير أن

وجودي بجوار فاضل يمثل خطرا عليه وهذا الذي لا يمكن أن أتقبله ولذلك ارحل الآن وخذي مني عهدا سيعود لكي فاضل وستربين ابناءك مع زوجك وأنا لا أخلف عهودي ابدا يا ليلي هنا تنهدت ليلي والدموع تفر من عينيها فليس سهلا أن تتسول زوجها من امرأة أخري وهنا دخل فاضل عليهما فنظر للونا وليلي ففهم ما دار بينهما ولكن ابتسامة لونا لليلي جعلته يدرك أن ليلي لم تسيئ التصرف معها أبدا فأستدار يقبل رأس ليلي ويقول

- سأقوم بتوصيل لونا لأقاربها بالإسكندرية ثم أعود لا تقلقي.

سافر فاضل ولونا بعربيته الخاصة ليلا وجوري والجميع يقتلها القلق علي فاضل قضي الجميع تلك الليلة في أرق وخوف ولم يناموا إلا باقتراب حلول الصباح وفي اليوم الثاني لم توقظهم إلا قرعات عنيفة علي الباب ودقات الجرس بشكل مخيف أستيقظ الجميع والهلع يعتصر قلوبهم فكان الطارق هو سمير وقد رسمت علي وجهه تعابر لا يفسر بين الحزن والغضب.

توجهت مباشرة إليه جوري وكأن قلبها كان قد أخبرها من قبل ما الذي سيقوله لها سمير

- ما الأمر يا سمير؟

- تم القبض علي فاضل

هنا صرخ الجميع باسمه

فاااااااضل

ثم سقطت ليلي مغشية عليها من هول الخبر وبعد دقائق من الذعر والهلع بدأ سمير يتكلم

- لماذا لم تخبروني بأمر لونا؟ ألست واحد من أهل هذا البيت؟ هل أعتبرتوني غريبا عنكم؟ هل نسيتم وصية خورشيد باشا في أن ارعاكم في غيابه؟

فردت جوري وقدمها لم تعد تساعدها علي المشي

- لم ننسي شيء ولكن الأمر كان مفاجأ وخشينا جميعا أخبارك حتي لا تتعرض حياة الفتاة للخطر هنا وضع سمير رأسه في الأرض

- الفتاة؟ لقد قتلت لونا

هنا وضعت جوري يديها علي فمها لكي لا تخرج صرختها حزنا علي الفتاة المسكينة

- كيف؟ كيف حدث ذلك؟

- كان كمينا لها كانت المخابرات البريطانية تنتظرها في البيت التي ستذهب له حاولت الهرب منهم فاطلقوا عليها النيران فقتلت في الحال.

- وفاااضل ما الذي اصابه؟

- لم يصيبه شيء لقد تحققت من الأمر الأخبار وصلت للجريدة صباحا تم القبض عليه والتحقيق معه الآن.

- يا الهي كن معه اه يا ابني المسكين كيف يمكن أن تكون حالته الآن وهو رأي الفتاةتقتل أمام عينيه؟

- المهم الآن أن نثبت أنه لم يكن يعرف شيء عن نشاط لونا وإلا سيحاكم بالجاسوسية.

أيام تمضي علي قصر المنيل وليالي حزينة خرجوا الرجال ولم يعودوا وبقت ثلاث سيدات وحيدات يدمي قلبهم الألم والحسرة محامي فاضل قال لهم أن لونا قبل قتلها أخبرت الجنود الانجليز أن فاضل لا علاقة له وانه صديق طلبت منه أن يوصلها للإسكندرية، ولكن بالطبع اصول فاضل التركية أثارت تشكك الانجليز ولذلك ما زال محتجز كانت جوري حريصة علي تتبع أي أخبار عن القضية فقد سمتها الصحف القضية الكبري وشبكة تجسس الرايخ الثالث لم يهم جوري ما يقولونه لا يهمها ابتعاد الناس عنها وتهربهم منها كانت تحاول التواصل لأى من معارف خورشيد للتوسط لرؤية ابنها ولكن لا أحد يمد لها يد العون.

وفي يوم من الأيام بينما تقلب الجريدة لمع أمامها اسم لقطب من أقطاب حزب الوفد وتوليه منصب كبيرا في الديوان الملكي كان هذا الاسم (إسماعيل كامل) تذكرته جوري علي الفور كان من تلاميذ طاهر ومن رفقاء بيت الأمة تعرفه جيدا من تلك الأيام ولكن هل يا تري يذكرها هو؟ ولكن جوري لم تملك خيار غير طرق كل باب قد يساعد ابنها اتصلت جوري علي الفور بسمير تطلب منه أن يتوسط لها للقاء اسماعيل وجاء لها الرد بعد أيام بموافقة الرجل علي لقاءها ذهب جوري للقاء الرجل واصطحبت معها زينب فلم تعد تستطيع المشي بدون مساعدة قابلها اسماعيل بحفاوة يبدو أنه رجلا وفي لم ينسي طاهر يوما تكلم عنه كثيرا وكيف أنه كان مثله الأعلي ووعد جوري بالاهتمام بالأمر وأن يحاول أن يقابل الملحق العسكري البريطاني، ولكن كان أمرا أخر حدث في تلك المقابلة ظهرت دلائله بعد أيام فيبدو أن اسماعيل قد أعجب بزينب ولما لا يعجب بها وقد ورثت جمال أمها وعقل ابيها ويبدو أن زينب هي الأخري قد أعجبت باسماعيل فراحت تهتم بالرد علي اتصالاته بنفسها وتسعد عندما يزورهم لينقل لهم بشري قرب الإفراج عن فاضل حتي أنه قال لجوري بشكل واضح أنه ينتظر خروج فاضل ليفاتحهم في أمر

خير تحدد موعد للإفراج عن فاضل وزف إسماعيل لهم النبأ ولكن فرحت جوري لم تكتمل لقد وصلت رسالة من إسطنبول تقول أن أحد السفن التي أغرقها الألمان ربما كان يستقلها خورشيد ولكن ليس هناك ما يؤكد أو تنفي ركوب خورشيد تلكالسفينة لم تقوي جوري منذ وصول تلك البرقية الصمود كثيرا أصبحت كهشيم يبعثره الرياح لا تقوي علي تحرك ولا الأكل حتي باتت أنفاسها تتعالي وهي تخرج من فمها الكلمات جاء يوم خروج فاضل ذهب كلا من إسماعيل وسمير لإحضاره كانت جوري تحارب لأن تبدو طبيعية أمام ابنها ولكنها تستطع وصل فاضل للبيت فوجد زينب وليلي بانتظاره كان فاضل محطما وقد تبدلت ملامحه وكتب عليها الحزن قصيدته عندما رأته زينب انفجرت في البكاء ولكن ليلي ذهبت تحضنه وتضع يده علي بطنها نظر فاضل لزوجته وعرف أن وصول ابنه قد اقترب فحاول أن يحارب نفسه ليبتسم ولكن غياب أمه اخافه

- أين أمي؟

- في غرفتها لا تخف

ردت عليه ليلي

صعد فاضل الدرج يطويه طيا ليري أمه كانت ترقد علي سريرها عندما رأته حاولت الوقوف لكنها لم تستطع فهرع إليها فاضل يحتضنها وامسك بيديها يقبلها فوجدها تطبق يديها علي ورقة فقرأها إنها الرسالة التي تخبرهم بأمر السفينة انتفض فاضل واحتضن أمه هامسا

- لا لم يمت أبي يا أمي اصبري سيعود هكذا يحدثني قلبي

نظرت له جوري والدموع من عينيها تنهمر.

مرت الأيام وجاء موعد ولادة ليلي يبدو أنها ولادة متعسرة كان صراخها يهز أركان البيت بينما كان الجميع منشغل بليلي كانت جوري تجلس علي المقعد تحمل صندوق خشبي قديم كانت تحتفظ داخله برسائل خورشيد لها في الماضي انفتح الشباك فجأة دخل رياح أطاحت بالمزهرية التي تحمل ورد الجوري حاولت جوري النهوض لتلملم ما قد انسكب ولكنها شعرت بألم يخترق صدرها فعادت إلي مكانها واحتضنت الرسائل بموضع الألم بينما وقف فاضل بالأسفل ينتظر بشرة ولادة زوجته سمع صوت زينب تصرخ توأمين فتهلل ليصعد ليجد زينب تخرج له.

- مبرووووك يا فاضل مبرووووك توأم ولدين

ولكن زينب فجأة تسمرت مكانها تنظر خلف فاضل ثم تصرخ

- باباااا

عاد خورشيد عاد مع مولد حفيديه قفز فاضل وزينب علي ابيهما كطفلين

- أين أمكم؟؟

- في غرفتها

فتح فاضل وزينب باب الغرفة مسرعين

- أمي قد عاد أبي

ومن خلفهما خورشيد يسرع للقاء حبيبته، ولكن جوري لم تتحرك ظلت ساكنة وقد تبعثرت الرسائل حولها فذبلت ابتسامه خورشيد وراح يحتضن حبيبته المبتسم التي صارت كقطعة من الثلج الأبيض النقي.

- جوري حبيبتي انهضي أنا هنا

دموعه كانت تغسل وجها فقد رحلت جوري وذهبت لجوار ربها .

بعد سنوات وفي شهر يوليو وقف خورشيد في حديقته ينظر للنيل وصوت المذياع خلفه يصدر منه صوت ضابط شاب يعلن عن ثورة جديدة للوطن وصوت فاضل وإسماعيل يتناقشون بالداخل بين مؤيد ومعارض الوطن مرة أخري سأل خورشيد نفسه مجددا ما هو الوطن؟

ولكنه نظر حوله فوجد أحفاده من فاضل وزينب يلهون حول زهور الجوري فتنهد وفرت من عينه دمعة الوطن هو ما قد قدمته لي جوري الحب الأمان والعائلة هذاهو الوطن.

تمت...

الفهرس

البوسفور ....
جولسن ....
الجوري ....
القرار ....
كومانوس ....
جوري ....
الحقيقة ....
إسطنبول ....
الرسالة ....
المؤامرة ....
الرحلة ....
الثورة ....
ليال المنيل ....
ليليان ....
اختفاء ....
ذهاب وعودة ....
ليلي العاشقة ....
حياة جديدة ....
موعد مع القدر ....

تدي درعها الذهبي وسيفها بخصرها، وخلفها جنديان مدرعان بالكامل، ويحملان بنادق حديثة، ولكن يضع كل منهما سيفه بجانب خصره كأنه تقليد الفرسان..

مولاتي الأميرة سيلفيا، لقد جهزنا البوابة ستنطلق بعد ثلاث دقائق.. يكتمل تحميل الطاقة وتبدأ رحلتك إلى الأرض..

قالها أحد علماء السوران الذي يوحي مظهره بأنه بشري أكثر ما أن يكون من السوران، **ولكنه استطرد قائلًا:**

الآن أقوم بتحميل البوصلة الإلكترونية..

ستجدين فيها بعض الاستخدامات الأخرى..

وهنا وأخرج من جيبه حقيبة صغيرة معدنية: ستجدين كل الأدوات التي قد تحتاجين إليها، ومعها ثلاث بطاريات مشحونة بالكامل تكفي لمدة عام.. بالطبع مولاتي لن تستغرق كل هذا الوقت..

نظرت له سيلفيا بحدة قائلة له بتعجرف قاسٍ:

ليس هذا من شأنك.

ثم التفتت إلى الجنديين المتأهبين وهي تقول لهما:

(ياكوفي). (سيزار) أأنتما جاهزان للصيد؟!

رفع كل منهما قناعه لتظهر ابتسامة شرسة تنم عن خبرة قتالية عالية وعزيمة فولاذية.

وبينما يشدان قامتهما إذ وقف بجانبهما مخلوق الجاسو الرهيب يزأر بعنف كأنما يثبت حضوره المهيب...

كان مشهدًا مرعبًا بحق.. هذا الفريق فريق الدمار والموت.. فريق عقد العزم على الفتك بأعداء المملكة.. ليس هناك تراجع عن هذا الأمر.. لقد حسمت الأميرة سيلفيا صاحبة التاج الذهبي أمر هؤلاء الهاربين...

بدأ العد التنازلي أمامها على الشاشة، وهي تتجه نحو البوابة بخطوات واثقة، عازمة على أمرها، يتبعها هذان الفارسان اللذان لا يقلان عنها قوة أو شدة أو شراسة...

صاحت الأميرة (سيلفيا) وهي تخطو بقدمها البوابة بقوة وحماس ألهب صدور جيشها الصغير:

الموت للعبيد.. الموت للمتمردين.. رددا خلفها وهما يعبران البوابة التي أصبحت بوابة الموت (للفارو).. ومن يعلم لمن أيضًا؟!...

لقد أرسلت أرض آنوس المجهولة لنا أشرس مقاتليها..

وأعنفهم على الإطلاق.. يحملون الموت والخطر... كل الخطر....

انتهى الجزء الأول

العدد القادم (فتاة من أرض آنوس)

كم لديك من السطور الجميلة التى أخذت
منك الكثير من المجهود والاعتناء
لكى تكون أفضل ما يمكن لتعبر بها عن شعور
داخلى لم تستطع أن تشاركه مع أحد غيرك.

مهما كانت سطورك
قصص... روايات... أشعار... مقالات
باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية

تواصل معنا
لتشارك سطورك مع العالم
٠١١٢٢٣٨٠٤٤٣